النص الكامل
الطبعة القانونية الأولى والوحيدة باللغة العربية

أغاثا كريستي

مَوْت اللّورد إدْجوير



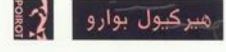




Agatha Christie



Lord Edgware Dies





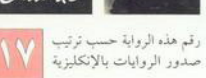
مَوْت اللّورد إدْجوير

لقد كُلِّف بوارو بأغرب مهمة يمكن أن يتخيلها حين تقدمت منه جين ويلكنسون قائلة: أريد مساعدتك يا سيد بوارو... إنني أريد التخلص من زوجي بأية طريقة!

ولم يلبث الزوج، اللورد إدجوير، أن قُتل. فما الذي سيفعله بوارو لحل لغز مقتل اللورد؟

لقد أرادت جين ويلكنسون أن تتخلص من زوجها بأية طريقة، وها هو ذا قد قُتل الآن. فمَن الذي قتله؟

رواية جديدة من روايات الكاتبة العملاقة التي تُعتبر أعظم مؤلفة في التاريخ من حيثُ انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر مَن كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبع منها ألفَي مليون نسخة!



رقم هذه الرواية حسب ترتيب صدور الروايات بالإنكليزية

الناشر وصاحب الحق الحصري بالطبعة العربية في جميع أنحاء العالم





US $ 4.00

سعر البيع ١٥ ريالاً

الفصل الأول

حفل مسرحي

تخلى الناس عن اهتمامهم الشديد والإثارة التي عاشوها عندما قُتل جورج ألفرد مارش، المعروف بالبارون إدجْوير الرابع، فقد أصبحت تلك الحادثة شيئاً من الماضي وحلّت محلها أحداث جديدة مثيرة، والناس -بطبعهم- ينسون بسرعة.

لم يُذكَر صديقي هيركيول بوارو علناً فيما يتعلق بتلك القضية، وأظن أن هذا كان بسبب رغبته، حيث لم يرغب أن يظهر اسمه فيها. وقد ظفر بالثناء شخص آخر، وذلك بالضبط ما كان بوارو يريده؛ إذ أنّ تلك القضية -حسب وجهة نظره الخاصة والغريبة- كانت واحدة من الإخفاقات التي انتهى إليها، وكان يقسم دائماً أن الذي دلّه على المسار الصحيح للقضية ملاحظة عابرة من رجل غريب في الشارع.

ومع ذلك فإن عبقريته هي التي كشفت حقيقة المسألة، وأشك في أنهم كانوا سيكتشفون الجاني الذي ارتكب الجريمة لولا هيركيول بوارو، ولذلك أُحسُّ بأن من المناسب الآن أن أكتب كل ما أعرفه

عن القضية التي أعرف جميع تفاصيلها تقريباً، كما يمكنني القول أيضا إنني -بهذا العمل- أحقق رغبة سيدة فاضلة.

أتذكر كثيراً ذلك اليوم عندما كنت في غرفة جلوس بوارو الصغيرة الأنيقة عندما سرد علينا -وهو يذرع الغرفة جيئة وذهاباً- مجمل القضية بطريقة الأستاذ الذي يحكي لتلاميذه قصة معينة، وسوف أبدأ روايتي من المكان الذي بدأ هو روايته منه: أحد مسارح لندن في واحدٍ من أيام حزيران من العام الماضي.

كانت كارلوتا آدمز قد أثارت اهتمام الجماهير في لندن في ذلك الوقت، ففي العام الماضي قدمت عدداً من العروض المسرحية أصابت نجاحاً باهراً، وفي هذا العام قدمت عرضاً مسرحياً لمدة ثلاثة أسابيع، وكانت تلك هي الليلة قبل الأخيرة في ذلك الموسم.

كانت كارلوتا آدمز فتاة أمريكية ذات موهبة مدهشة في التمثيل الفردي، لم تضطر إلى الاستعانة بالمساحيق على وجهها أو بالديكور خلفها، وبدا أنها قادرة على التحدث بطلاقة بكل اللغات، وقد كان عرضها تلك الليلة رائعاً حيث قدمت فيه مشهداً من فندق أجنبي، وقد تدافعت -خلال المشهد- جموع من السواح الأمريكيين والألمان والعائلات الإنكليزية المتوسطة والأرستقراطيين الروس والخدم.

لقد قدمت مشاهد مضحكة ومحزنة على السواء، ولقد كاد المشهد الذي أدته عن امرأة تشيكية تحتضر في المستشفى أن يدفع المشاهدين إلى البكاء، ولكن -بعد ذلك بدقيقة واحدة- ضحكنا ملء أفواهنا عندما قامت بدور طبيب أسنان يكدح في مهنته ويثرثر مع ضحاياه بلطف.

وانتهى برنامجها بفقرة سمّتها «بعض التقليد»، حيث بدت بارعة بصورة مذهلة، فمن دون استخدام أية مساحيق كانت ملامحها تتلاشى بشكل مفاجئ لتعيد -من ثَمّ- تشكيل نفسها لتشبه ملامح سياسي مشهور أو ممثلة معروفة أو سيدة مجتمع، وفي كل شخصية من هذه الشخصيات كانت تلقي خطاباً تقليدياً قصيراً، وقد كان اختيارها لتلك الكلمات ذكياً بحيث ركّزت حديثها على بعض من أهم القضايا والمشكلات، وقد كان من آخر الشخصيات التي قلّدتْها شخصية جين ويلكنسون، وهي ممثلة أمريكية شابة موهوبة ومشهورة في لندن، وقد كانت محاكاتها لها متقنة إلى أبعد الحدود، حتى لأشعر بالحيرة كيف أمكنها ذلك!

كنت معجباً -على الدوام- بجين ويلكنسون، وكنت أعتقد أنها ليست ممثلة ماهرة فقط، بل هي ذات قدرات مسرحية متفوقة كذلك. لقد كانت واحدة من الممثلات اللاتي تركن المسرح بعد زواجهن، ولكنها ما لبثت أن عادت إليه بعد ذلك بسنتين فقط، وكان زواجها قد تمّ على اللورد إدْجوير (الثري الغريب الأطوار) قبل ثلاث سنوات، إلاّ أن الإشاعات ما لبثت أن تحدثت عن تركها له بعد ذلك بوقت قصير، وعلى أية حال، فالمعلوم أنها كانت تمثّل أفلاماً في أمريكا بعد مضي عام ونصف على زواجها، كما أنها ظهرت في مسرحية ناجحة في لندن في هذا الموسم.

وطفقت أتساءل وأنا أراقب كارلوتا آدمز في تقليدها للشخصيات التي اختارتها: هل سيُسَرّ هؤلاء الأشخاص (وقد ظفروا على يدها بشيء من الدعاية المجانية) أم سيسوؤهم ما يمكن أن يُعتبر تشهيراً أو إبرازاً متعمداً لبعض النقائص والعيوب؟

وخطر ببالي أنني كنت سأستاء وأتضايق لو كنت واحداً ممّن شملهم التقليد. كنت سأسعى إلى إخفاء غيظي، ولكني ما كنت -قطعاً- لأحبّ أن يسخر بي أحدٌ على الملأ. إن المرء يحتاج إلى عقل متفتح وصبر واسع وتقدير لروح الفكاهة ليعجب بمثل ذلك التمثيل. وفي اللحظة التي توصلت فيها إلى هذه الاستنتاجات سمعت من ورائي ضحكة جميلة بصوت أجش، وعندما التفتُّ وجدت أن الجالسة على المقعد الذي ورائي مباشرة هي الليدي إدجوير (المعروفة أكثر بجين ويلكنسون)، والتي كانت الممثلة تقلدها على المسرح.

أدركت -على الفور- أن استنتاجاتي كانت كلها خاطئة؛ فقد كانت الليدي إدجوير تميل إلى الأمام وشفتاها منفرجتان من الضحك تبدو عليها ملامح الاستمتاع والإثارة.

وعندما انتهى مشهد «التقليد» صفّقَتْ بحرارة وهي تضحك وتلتفت إلى مرافقها، وكان رجلاً طويلاً وسيماً عرفت أنه ممثل مشهور في السينما أكثر منه على المسرح، كان ذلك هو بريان مارتن، بطل الشاشة الذي كان مشهوراً جداً في ذلك الوقت، وكان قد مثّل مع جين ويكلنسون في عدة أفلام سينمائية.

كانت الليدي إدجوير تقول: إنها رائعة، أليس كذلك؟

أجابها ضاحكاً: جين... أنت منفعلة جداً.

- إنها رائعة حقاً. أكثر مما كنت أحسب بكثير!

لم أسمع ردّ بريان مارتن عليها، فقد بدأت كارلوتا آدمز بأداء دور جديد مرتجل.

سوف أظل -دائماً- على اعتقادي بأن ما حدث بعد ذلك كان مصادفة غريبة جداً. فبعد انتهاء البرنامج ذهبت مع بوارو لتناول العشاء في فندق السافوي، وعلى الطاولة المجاورة لنا بالضبط كانت تجلس الليدي إدجوير وبريان مارتن وشخصان آخران لم أعرفهما، فأومأت إلى بوارو باتجاههم.

وفي تلك اللحظة وصل رجل وامرأة وجلسا إلى الطاولة التي تلي طاولة الليدي إدجوير. كان وجه المرأة مألوفاً ومع ذلك لم أستطع تحديده في تلك اللحظة، ثم أدركت -فجأة- أن المرأة التي أحدّق فيها لم تكن سوى كارلوتا آدمز! أما الرجل فلم أعرفه، كان أنيقاً مبتهجاً وإن بدا كالأبله إلى حد ما، ولم يكن من النوع الذي يثير إعجابي.

ارتدت كارلوتا آدمز ثوباً أسود، ولكن وجهها لم يكن من تلك الوجوه التي تلفت الانتباه أو التي تُعرَف على الفور. كان وجهاً من تلك الوجوه الحساسة المتغيرة والمتنكرة، فقد كانت قادرة على انتحال شخصية مغايرة بسهولة، ولكن لم تكن لها شخصية معروفة خاصة بها.

صارحت بوارُو بأفكاري هذه فيما أصغى إليّ بإمعان، وكان رأسه الذي يشبه البيضة قد مال لأحد الجانبين قليلاً عندما نظر إلى الطاولتين موضوع الحديث نظرة حادة.

- إذن هذه هي الليدي إدجوير؟ نعم، أتذكّرها. لقد رأيتها وهي تمثل... إنها ممثلة جميلة.

- كما أنها بارعة جداً كذلك.

- ربما.

- أنت لا تبدو مقتنعاً؟

- أعتقد أن هذا يعتمد على المشهد يا صديقي، إذا كانت هي محور المسرحية والآخرون يدورون من حولها، فهذا صحيح، فإنها تستطيع القيام بدورها. ولكن أشكّ في أنها تستطيع أداء دور صغير أو دور هامشي أداء صحيحاً! يجب أن تُكتب المسرحية عنها ومن أجلها، إنها تبدو لي من النساء اللاتي لا ينظرن إلاّ إلى أنفسهن فحسب.

وسكت بوارو قليلاً قبل أن يضيف على نحو غير متوقع: إن أمثالها من الناس يعيشون حياة مشحونة بالخطر.

قلت مدهوشاً: خطر؟!

- هل فاجأتك كلمتي هذه يا صديقي؟ نعم، خطر؛ لأن امرأة كهذه لا ترى إلاّ شيئاً واحداً فقط: نفسها! ومثل هؤلاء النساء لا يدركن أي خطر يحيط بهن. إن أخطاراً يمكن أن تنشأ عن العلاقات المتضاربة والمصالح الكثيرة في هذه الحياة، غير أنهنّ لا يرين إلاّ مصالحهن، وهكذا ستحدث الكارثة... عاجلاً أم آجلاً!

أثارت كلماته اهتمامي، وأقررت في نفسي أن مثل وجهة النظر هذه ما كانت لتخطر لي على بال. سألته: وماذا عن الأخرى؟

- الآنسة آدمز؟

انتقلت نظراته إلى طاولتها وأجاب مبتسماً: حسناً، ما الذي تريدني أن أقوله عنها؟

- فقط كيف تراها؟

- يا صديقي، هل تظنني صرت الليلة متنبئاً ينظر في الكف فيخمّن أوصاف صاحبه؟

- تستطيع أن تفعل ذلك أفضل من كثيرٍ من المحترفين.

- رأيك فيّ جميل جداً يا هيستنغز... وهذا يؤثر فيّ. ألا تعرف -يا صديقي- أن كل واحد منّا لغز غامض يحتوي على متاهة من الرغبات والشهوات والمواقف المتضاربة؟ نحن كذلك في الواقع، إننا نحكم على الآخرين من خلال المواقف الصغيرة، ولكن تسعة أحكام من كل عشرة نصدرها تكون خاطئة.

قلت وأنا أبتسم: ليس هيركيول بوارو.

- حتى هيركيول بوارو! أعرف تمام المعرفة أنك تعتقد دائماً بأنني مغرور، ولكنني أؤكد لك بأنني امرؤ في غاية التواضع في الواقع.

ضحكت وأنا أعلّق قائلاً: أنت... متواضع!؟

- أنا كذلك، ما عدا (وأنا أعترف) أنني أفتخر بشاربي قليلاً، لم أجد أي شارب يشبهه في أي مكان من لندن.

قلت بتحفظ: أنت آمن من هذه الناحية، كن واثقاً أنك لن تجد مثله. إذن فلن تجازف بإعطاء حكم على كارلوتا آدمز؟

- إنها فنانة! هذا يلخّص كل شيء تقريباً، أليس كذلك؟

- على أية تحال فأنت لا تعتبر أن حياتها محفوفة بالأخطار؟

قال بوارو بهدوء: نحن جميعاً كذلك يا صديقي، الحظ السيء قد يكون دائماً متربصاً بنا لينال منا، ولكن -بالنسبة لسؤالك- فأعتقد أن الآنسة آدمز سوف تنجح. إنها داهية، بل أكثر من ذلك! ورغم ذلك ما يزال يوجد سبب للخطر في حالتها... ما دمنا نتحدث عن الخطر.

- ماذا تقصد؟

- حب المال! إن حب المال قد يحرف مثل هذه عن الطريق الصحيح.

- قد يحدث هذا لكل واحد فينا.

- هذا صحيح، ولكن -على أية حال- فقد كنت أنا أو أنت سنرى الخطر المحدق... يمكننا أن نَزِنَ الحجج المؤيدة وتلك المعارضة، أما إذا كنت تهتم بالمال بشكل مفرط فإنك لن ترى غير المال، وسوف تعجز عن رؤية أي شيء آخر.

ضحكت من أسلوبه الجاد، وأضفت متعمداً إثارته: إنك تشبه إزميرالدا ملكة الغجر!

أجاب بوارو دون أن يبدو عليه التأثر: نفسية الشخصية تثير الاهتمام. لا يمكن للمرء أن يهتم بالجريمة من غير أن يكون مهتماً بعلم النفس! ليس فعل القتل المجرد هو الذي يثير اهتمام الخبير، بل النفسية الكامنة خلفه... هل تصغي إليّ يا هيستنغز؟

أكدّت له بأنني أصغي إليه تماماً.

- لاحظت -يا هيستنغز- كلما عملنا في قضية معاً أنك تلحّ عليّ دائماً أن أنظر في التصرفات المادية: تريدني أن أقيس آثار الأقدام وأفتش الأرض لفحص الأشياء الصغيرة. أنت لا تدرك أبداً أن المرء يستطيع الاقتراب من حل أية مشكلة وهو جالس على كرسيٍّ مغمضَ العينين. إن المرء يستطيع أن يرى بعين عقله.

قلت: أنا عندما أجلس على كرسيٍّ مغمضَ العينين يحدث لي شيء واحد فقط!

قال بوارو: لقد لاحظت ذلك... هذا غريب! في مثل هذه اللحظات يجب أن يعمل الدماغ بنشاط ولا يغرق في الاسترخاء والكسل. إن النشاط العقلي مثير جداً ومنبه للغاية. إنني أحس بمتعة نفسية عندما أوظّف الخلايا الرمادية الصغيرة في رأسي، وهي وحدها التي يمكن الوثوق بها لقيادة المرء إلى الحقيقة من خلال الضباب.

أخشى أنني قد اعتدت تحويل انتباهي كلما ذكر بوارو موضوع خلاياه الرمادية الصغيرة، فلقد سمعت منه هذه العبارة مرات عديدة

من قبل. وفي تلك اللحظة اتجه نظري نحو الأربعة الجالسين على الطاولة المجاورة، وعندما انتهى حديث بوارو قلت وأنا أضحك ضحكة صغيرة: لقد حققتَ نجاحاً يا بوارو؛ فالليدي إدجوير لا تكاد ترفع بصرها عنك.

قال بوارو محاولاً التظاهر بالتواضع: لا شك أن أحداً أبلغها عن هويتي.

قلت: أظن أن شاربك الشهير هو السبب؛ لقد جذبها جماله.

تحسس بوارو شاربه خلسة وقال معترفاً: صحيح أنه فريد من نوعه، أما أنت -يا صديقي- فإن «فرشاة الأسنان» (كما تسميها) التي تضعها فوق شفتك فظيعة للغاية، إنه شارب قصير يتنافى مع الطبيعة. أرجوك أن تحلقه يا صديقي!

قلت متجاهلاً طلب بوارو: إن السيدة تنهض، أظن أنها قادمة لتتحدث معنا. إن بريان مارتن يحتج لكنها لن تصغي إليه.

كان ذلك صحيحاً، فقد تركت جين ويلكنسون مقعدها بحركة مفاجئة وجاءت إلى طاولتنا. نهض بوارو على قدميه وهو ينحني لها، ونهضت أنا الآخر. قالت بصوت هادئ أجش: السيد هيركيول بوارو، أليس كذلك؟

- في خدمتك.

- سيد بوارو، أريد أن أتحدث إليك. إن ذلك ضروري جداً.

- بالتأكيد يا مدام، هلاّ جلست؟

- لا، لا؛ ليس هنا. أريد أن أتحدث معك على انفراد. سنصعد إلى جناحي في الفندق.

كان بريان مارتن قد انضم إليها، تكلم وهو يضحك ضحكة مستنكرة: يجب أن تنتظري يا جين، ما زلنا نتناول عشاءنا، وكذلك السيد بوارو.

لكن لم يكن من السهل تحويل جين ويلكنسون عن هدفها. قالت: وما الضير يا بريان؟ سنطلب إرسال العشاء إلى جناحي، هلاّ طلبت ذلك منهم؟

مشت خلفه وهو يعود أدراجه، وبدا كأنها تلح عليه فعل شيء معين. أظن أنه كان يقاوم بعناد وهو يهز رأسه ويعبس، لكنها تكلمت معه بلهجة أكثر تشدداً، وفي نهاية المطاف هز كتفيه وتراجع عن موقفه.

ونظرت -خلال ذلك كلّه- مرة أو مرتين إلى الطاولة التي كانت تجلس عليها كارلوتا آدمز، وتساءلت: هل كان لما تتحدث به جين ويلكنسون علاقة بهذه الفتاة الأمريكية أم لا؟

وبعد أن حصلت جين على ما تريد عادت مبتهجة، وقالت وهي توجّه إليّ ابتسامة ساحرة: سنصعد الآن إلى الجناح.

يبدو أنها لم تفكر في مسألة موافقتنا أو عدم موافقتنا على طلبها، لقد جرفتنا معها دون كلمة اعتذار. قالت وهي تتقدمنا نحو

المصعد: حظي عظيم إذ التقيتك هنا هذه الليلة يا سيد بوارو، كنت أفكر وأتساءل -لتوي- ما الذي كنت سأفعله حينما رفعت بصري فوجدتك على الطاولة المجاورة، وقلت في نفسي: سيخبرني السيد بوارو بما أفعله.

سكتت لتقول لعامل المصعد: الطابق الثاني.

بدأ بوارو: إن كان يمكنني مساعدتك..

- أنا متأكدة أنك تستطيع. لقد سمعت أنك رجل متفوق رائع، ويجب أن يخلصني شخصٌ من الورطة التي أنا فيها، وأشعر أنك الرجل الذي يستطيع ذلك.

خرجنا من المصعد إلى الطابق الثاني، وتقدمتْ أمامنا في الممر، ثم وقفنا أمام أحد الأبواب لندخل منه واحداً من أفخم الأجنحة في فندق سافوي.

ألقت معطف الفراء الأبيض الذي كانت تلبسه على أحد الكراسي وحقيبتَها الصغيرة المزدانة بالجواهر على الطاولة، وقالت وهي تجلس على كرسي: يا سيد بوارو... أريد أن أتخلص من زوجي بأية طريقة!

* * *

الفصل الثاني

حفل عشاء

استعاد بوارو رباطة جأشه بعد لحظة من الدهشة، وقال وعيناه تطرفان: ولكن يا مدام، التخلص من الأزواج ليس من اختصاصي.

- أعرف هذا بالطبع.

- إنك بحاجة إلى محام.

- أنت مخطئ في هذا تماماً؛ لقد سئمت وتعبت من المحامين. تعاملتُ مع محامين أمناء وآخرين محتالين، لكن أحداً منهم لم يُفِدْني شيئاً. المحامون يعرفون القانون فقط، ولكن لا يبدو أنهم يتمتعون بالذكاء أو الحاسة الخاصة.

- وهل تعتقدين أن هذه متوفرة لدي؟

ضحكت وهي تقول: سمعت أن لك ذكاء القط يا سيد بوارو.

- كيف؟ ذكاء القط؟! إنني لا أفهم تماماً.

- حسناً... أنت كذلك.

- مدام، قد يكون عقلي واسعاً أو لا يكون (وهو في الواقع كذلك... لماذا أتظاهر بغير الحقيقة؟) ولكن مسألتك الصغيرة ليست من اختصاصي.

- لا أرى مانعاً من ذلك. إنها مشكلة.

- مشكلة؟

- وهي صعبة. أعتقد أنك لست الرجل الذي يهرب من المصاعب.

- دعيني أهنئك على نفاذ بصيرتك يا مدام، ولكني -مع ذلك- لا أقوم بعمل تحريات من أجل الطلاق، ليس ذلك ممتعاً.

- يا عزيزي، لا أطلب منك أن تقوم بأعمال تجسس، هذا لن يفيد. ولكن يجب عليّ أن أتخلص من هذا الرجل، وأنا متأكدة أنك تستطيع أن تخبرني كيف أفعل ذلك.

سكت بوارو لحظة قبل أن يجيب، وعندما أجابها كانت نبرة صوته قد تغيرت: أخبريني أولاً يا مدام، لماذا أنت مهتمة كثيراً بالتخلص من اللورد إدجوير؟

لم تتأخر أو تتردد في الإجابة. كانت إجابتها سريعة وجاهزة وقد فتحت عينيها الزرقاوين الكبيرتين ببراءة: بالطبع، أريد الزواج ثانية. وما هو السبب الآخر الممكن؟

- ولكن الحصول على الطلاق أمر سهل بالتأكيد؟

- أنت لا تعرف زوجي يا سيد بوارو. إنه... إنه...

ارتعشت ثم قالت: لا أعرف كيف أشرح لك هذا. إنه رجل غريب، ليس مثل الآخرين.

سكتت ثم أكملت: ما كان ينبغي أن يتزوج أية امرأة! إنني أعرف ما أتحدث عنه... ليس بوسعي وصفه، لكنه رجل غريب لا يحتمل، فزوجته الأولى هربت منه وتركت وراءها رضيعاً عمره ثلاثة أشهر، ولم يطلقها أبداً فماتت بائسة في بلد أجنبي، ثم تزوجني. لم أستطع تحمل ذلك وكنت خائفة، فتركته وذهبت إلى الولايات المتحدة. ليست لديّ أسباب لطلب الطلاق، ولو طلبت منه ذلك فلن يلتفت إليّ، فهو رجل متعصب.

- في ولايات أمريكية معينة يمكنك الحصول على الطلاق يا مدام.

- هذا لا يفيدني. لن ينفع إذا كنت سأعيش في إنكلترا.

- هل تريدين العيش في إنكلترا؟

- نعم.

- مَن هو الرجل الذي تريدين الزواج به؟

- إنه دوق ميرتون.

سحبت نفساً عميقاً. لقد كان دوق ميرتون مصدر يأسٍ لأولئك الذين بحثوا له عن زوجة. كان شاباً ذا ميول رهبانية، إنكليزياً

كاثوليكياً متعصباً، ذُكر أنه كان خاضعاً تماماً لسيطرة والدته الدوقة العجوز المروعة. وقد اعتاد حياة متقشفة إلى أبعد الحدود، وكان يجمع تحف الفخار الصيني فيما أشيع عنه أنه ذو ميول فنية، وكان من المفترض أنه لا يهتم بالنساء أبداً.

قالت جين بانفعال: أنا أحبه كثيراً. إنه لا يشبه أي رجل قابلته، كما أن قصره رائع جداً، وستكون الحياة مع هذا الناسك الوسيم رومانسية ممتعة. وسوف أترك التمثيل عندما أتزوج، إذ يبدو أنني لم أعد أهتم به كثيراً.

قال بوارو ببساطة: لكن اللورد إدجوير يقف حجر عثرة في طريق هذه الأحلام الرومانسية.

- نعم، وهذا ما يدفعني إلى الجنون.

اتكأت بظهرها على الكرسي متأملة ثم قالت: لو كنا في شيكاغو لاستطعت التخلص منه بسهولة بالطبع، ولكن لا توجد هنا عصابات مسلحة يمكن استئجارها.

قال بوارو مبتسماً: هنا نعتبر أن كل كائن حي له الحق في الحياة.

- حسناً، أظن أنكم ستكونون في حال أفضل إذا تخلصتم من بعض رجال السياسة عندكم، وأعرف أن تخلصي من إدجوير لن يكون خسارة لكم، بل على العكس.

دق أحدهم الباب، ثم دخل النادل يحمل أطباق الطعام وتابعت

جين ويلكنسون مناقشة مشكلتها دون اهتمام بوجوده: لكني لا أريدك أن تقتله من أجلي يا سيد بوارو.

- أشكرك يا مدام.

- أظن أنك تستطيع أن تناقش هذا الأمر معه نقاشاً ذكياً مقنعاً لتجعله يوافق على فكرة الطلاق، أنا متأكدة أنك تستطيع ذلك.

- أظن أنك تبالغين في تقدير قدراتي على الإقناع يا مدام.

- آه! لكنك بالتأكيد تستطيع التفكير بطريقةٍ ما يا سيد بوارو.

فتحت عينيها الزرقاوين ثانية وقالت وهي تميل إلى الأمام: ألا تريد لي السعادة؟

قال بوارو بحذر: أحب أن يكون كل واحد سعيداً.

- نعم، ولكني لا أفكر بكل واحد، بل أفكر في نفسي فقط.

وعلّق بوارو مبتسماً: أظن أنك هكذا دائماً يا مدام.

قالت: أتراني أنانية؟

- لم أقل هذا يا مدام.

- أظن أنني كما قلت. لكنيّ أكره فعلاً أن أكون بائسة. إن هذا يؤثر في تمثيلي، وسأبقى بائسة جداً ما لم يوافق على الطلاق... أو يمُتْ!

أضافت متأملةً: "وبشكل عام سيكون موته أفضل بكثير، أقصد

أنني سوف أشعر بأنني تخلصت منه نهائياً". ثم نظرت إلى بوارو مستعطفة: هل ستساعدني يا سيد بوارو؟

نهضت وهي تلتقط المعطف الأبيض عن الكرسي، ووقفت تنظر في وجهه نظرة استجداء. وسمعت أصوات جلبة خارج الغرفة في الممر فيما كان الباب مفتوحاً قليلاً. وأكملت: إذا لم...

- "إذا لم"؟

قالت ضاحكة: فسأطلب سيارة أجرة وأذهب لكي أقتله بنفسي.

واختفت -وهي تضحك- في الغرفة المجاورة في الوقت الذي دخل فيه بريان مارتن مع الفتاة الأمريكية، كارلوتا آدمز ومرافقها، والشخصين اللذين كانا يتناولان العشاء معه ومع جين ويلكنسون، وقد قدمهما لي على أنهما السيد ويدبيرن وزوجته.

قال بريان: مرحباً، أين جين؟ أريد أن أخبرها بأنني نجحت في المهمة التي أوكلتها لي.

ظهرت جين عند مدخل باب غرفة النوم وهي تحمل بيدها أصبع أحمر الشفاه: هل أحضرتها؟ هذا رائع، إني معجبة بأدائك يا آنسة آدمز كثيراً. شعرت بأنني يجب أن أراك، تعالي وتحدثي معي في الداخل بينما أقوم بتجميل وجهي، إنه يبدو مخيفاً تماماً.

قبلت كارلوتا آدمز الدعوة. وألقى بريان مارتن بنفسه على أحد الكراسي، ثم قال: حسناً يا سيد بوارو، لقد أُسِرْتَ في الوقت

المناسب، هل أقنعتك جين بأن تقاتل في معاركها؟ قد تستسلم حالاً بعد ذلك، إنها لا تفهم كلمة «لا».

- ربما لم يصادفها ذلك الموقف.

- إن جين شخصية مثيرة جداً.

استند مارتن بظهره على الكرسي ثم قال: ليس لديها أي وازع؛ فهي لا تمتلك أدنى نصيب من الأخلاق، لا أقصد أنها غير أخلاقية بالضبط، فهي ليست كذلك، ولكنها ترى شيئاً واحداً فقط في الحياة، وهو ما تريده هي نفسها.

ضحك وتابع قائلاً: أعتقد أنها يمكن أن تقتل شخصاً وهي مبتهجة، وتحس بجرح كرامتها إذا أمسكوا بها وأرادوا أن يشنقوها لعملها هذا. إنها لا تفكر أبداً بعقل مستقيم، وتحسب أنها قادرة على استئجار سيارة والانطلاق نحو هدفها لإطلاق النار دون أية محاولة للتخفي أو الاستتار.

همس بوارو: "ما الذي يجعلك تقول هذا؟"، ثم سأل: إنك تعرفها جيداً يا سيد، أليس كذلك؟

- يجب أن أعترف بذلك.

ضحك مارتن ثانية، وفوجئت عندما لاحظت المرارة في ضحكته تلك، وخاطب الآخرين بقوة: هل توافقونني على هذا؟

وافقته السيدة ويدبيرن: آه! إن جين مغرورة، وهكذا تكون الممثلات، هذا إذا كانت تريد أن تُظهر شخصيتها.

لم يتكلم بوارو. كانت عيناه مركّزتين على وجه بريان مارتن ينظر إليه متأملاً نظرة لم أستطع فهمها. وفي تلك اللحظة خرجت جين من الغرفة المجاورة وكارلوتا آدمز وراءها. أظن الآن أن جين قد «جمّلت وجهها» . . . مهما كان الذي ترمز إليه هذه العبارة بالنسبة لقناعتها الخاصة، أما بالنسبة لي فكانت تبدو كما كانت من قبل بالضبط.

كان حفل العشاء الذي تبع ذلك حفلاً مرحاً رغم أنني شعرت بمشاعر خفية لم أفهمها جيداً في بعض الأحيان.

كانت جين ويلكنسون بعيدة عن كل لطف، وكان واضحاً أنها كانت تطمح إلى أمر واحد فقط في تلك الليلة، وهو مقابلة بوارو، وقد نفذت هدفها وحقّقت رغبتها دون تأخير. كان واضحاً -الآن- أنها مبتهجة جداً. وكنت متأكداً أن رغبتها في إضافة كارلوتا آدمز إلى قائمة المدعوين إلى العشاء مجرد نزوة لا غير، وأحسست أنها راضية جداً عن ذكائها الزائف رضا الطفل عن نفسه.

لا، لم تكن للمشاعر الخفية التي أحسست بها أية علاقة بجين ويلكنسون. إذن أين كانت تتجه هذه المشاعر؟

تفحصت الضيوف الواحد تلو الآخر... بريان مارتن؟ بدا واضحاً أنه لم يكن يتصرّف بصورة طبيعية، ولكني أوحيت إلى نفسي أن ذلك ربّما كان مجرّد صفة عادية لنجم سينمائي. لا بد أنه رجل مغرور وقد اعتاد التمثيل لدرجةٍ ما عاد معها قادراً على السلوك العفوي.

وبالمقابل كانت كارلوتا آدمز تتصرف على سجيتها. كانت فتاة هادئة ذات صوت منخفض يبعث على السرور، وتفحصتها باهتمام حيث وجدتها فرصة لفعل ذلك عن قرب. رأيت أنها ذات سحر مميز لكنه سحر معكوس التأثير نوعاً ما، يتشكل بعيداً عن الصخب والضجيج. وجدتها فتاة هادئة منسجمة مع ذاتها: شعر أسود ناعم، وعينان زرقاوان، ووجه شاحب، وفم صغير. بدت مسرورة من إطراءات جين لها وترحيبها بها، وكل فتاة يمكن أن تكون كذلك، ولكن أمراً حدث في تلك اللحظة بالضبط دفعني إلى إعادة النظر في ذلك الرأي المتسرع.

نظرت كارلوتا آدمز إلى مضيفتها التي تجلس مقابلها على الطاولة والتي كانت في تلك اللحظة تدير رأسها وتتحدث مع بوارو. كانت الفتاة تنظر إليها نظرات متفحصة غريبة وكأنها تكوّن فكرةً متأنّيةً عنها، وخطر لي -في نفس الوقت- أن عينيها الزرقاوين الشاحبتين تحملان عداء واضحاً لها. ربما كان ذلك وهماً فقط، أو ربما كانت نظرات حسد من ممثلة لممثلة أخرى؛ فجين كانت ممثلة ناجحة وكانت قد وصلت إلى قمة النجاح دون شك، أما كارلوتا فكانت في أول السلّم فحسب.

نظرت إلى الثلاثة الآخرين: السيد ويدبيرن وزوجته، ماذا عنهما؟ كان الزوج رجلاً طويلاً شديد النحول، أما زوجته فممتلئة الجسم، شقراء، فياضة المشاعر. بدا أنهما ثريان ويحبان كل شيء له علاقة بالمسرح، حتى لقد كرها أي حديث بعيد عنه. وبسبب غيابي الأخير عن إنكلترا وجداني جاهلاً لدرجة محزنة بهذه الأمور، وفي

النهاية أدارت لي السيدة ويدبيرن ظهرها ولم تعد تتذكر وجودي قربها.

كان آخر عضو في الحفل شاباً داكن البشرة صاحب وجه مرح مستدير، وكان يرافق كارلوتا آدمز، وانتابتني شكوك -من البداية- أنه ليس متزناً كما يبدو، وتأكدت هذه الفكرة لي بعد قليل؛ فقد ظهر أنه يعاني من كآبة عميقة، ففي النصف الأول من العشاء جلس صامتاً عابساً، وعند بداية النصف الثاني كشف نفسه لي معطياً انطباعاً بأنني أحد أصدقائه الحميمين وقال: "ما أريد قوله أنه ليس كذلك. كلا يا صديقي العزيز..."، وأطلق جملة من السباب البذيء ثم أردف قائلاً: هل أسألك... أقصد أنك إذا أخذت فتاة... حسناً، أقصد... تتدخل، تدور وتثير الأمور. ليس الأمر وكأنني قد قلت لها كلمة ما كان يجب أن أقولها... إنها ليست من هذا النوع، آه، انْسَ هذا كله. إن الفتاة مستقيمة، إنما الذي أقصده... ما الذي كنت أقوله؟

قلت مهدئاً: كنت تقول إن هذا عمل صعب.

- هذا كله لا يهم، لا يهم. كان يجب أن أقترض النقود من الخياط لحضور هذه الحفلة. إنه شخص كريم جداً وأنا مدين له بمال منذ سنوات، وهذا يجعل بيننا رابطة معينة. لا شيء مثل الرابطة بين اثنين يا صديقي العزيز، أنت وأنا... على فكرة، من أنت؟

- سمّني هيستنغز.

قال: لا تقل هذا. أقسم أنك رجل اسمه سبنسر جونز. عزيزي

سبنسر جونز العجوز... إن وجهك يشبه وجهه كثيراً. لو كنا مجموعة من الصينيين لما عرف بعضنا وجوه بعض!

بعد ذلك بدا وكأن أملاً جديداً قد تسلل إلى عقله فقال: "انظر إلى الجانب المشرق... ذات يوم عندما أكون في سن الخامسة والسبعين أو قريباً من ذلك سأصبح رجلاً غنياً، عندها سيكون عمي قد مات ويصبح في مقدوري أن أردّ ديني للخياط!". وطفق يبتسم من هذه الفكرة.

كان في هذا الشاب شيء يدفعك إلى الشفقة عليه: كان وجهه المستدير وشاربه الأسود الصغير يعطيان المرء انطباعاً بأنه مثل شيء مهجور في وسط صحراء. ولاحظت أن كارلوتا آدمز كانت تركز عليه نظرها، ثم ما لبثت -بعد نظرة خاطفة إليه- أن نهضت وغادرت الحفلة.

قالت جين: كان لطفاً منك أن تأتي إلى هنا، أحب كثيراً فعل الأشياء ارتجالاً... ألا تحبين ذلك؟

قالت كارلوتا آدمز (وقد بدا من طريقة كلامها ما دلّ على إحساسها بالاستياء): أنا لا أعمل شيئاً -عادة- إلاّ بعد أن أخطط له بعناية، فهذا يجنّبني القلق.

ضحكت جين وقالت: حسناً، على أية حال فالنتائج تثبت صحة كلامك. لا أظن أنني استمتعت بأي شيء أكثر من استمتاعي بعرضك هذه الليلة.

ظهر الارتياح على وجه الفتاة الأمريكية، وقالت بحماسة:

هذا لطف منك. كلامك هذا يعجبني؛ فأنا أحتاج إلى التشجيع... كلنا كذلك.

قال الشاب صاحب الشارب الأسود: كارلوتا، صافحي العمة جين واشكريها على هذه الحفلة وهيّا نذهب.

مشى نحو الباب بقوة وتبعته كارلوتا بسرعة، أما جين فقالت: حسناً، من هذا الذي جاء على غير توقع وناداني بالعمة جين؟ إنني لم ألحظ وجوده من قبل.

قالت السيدة ويدبيرن: لا تلتفتي لكلامه يا عزيزتي. كان طالباً ذكياً وهو في جامعة أكسفورد، لا تفكري بهذا الآن. أكره رؤية فتى واعد كهذا يفشل في النهاية. على أية حال يجب أن أذهب أنا وتشارلز الآن.

خرج ويدبيرن وزوجته بخطى متثاقلة وذهب بريان مارتن معهما.

- حسناً يا سيد بوارو؟

ابتسم لها قائلاً: نعم، ليدي إدجوير؟

- أرجوك لا تنادِني بهذا الاسم؛ أريد أن أنساه. إنك صاحب أقسى قلب في أوروبا!

- لا، لا، لست قاسي القلب.

- إذن هل ستذهب وترى زوجي وتجعله يفعل ما أريده منه؟

وعدها بوارو بحذر: سأذهب لأراه.

- وإذا ما رفض استقبالك (وهذا ما سيفعله...) فكّرْ بخطة ذكية. يقولون إنك أذكى رجل في إنكلترا يا سيد بوارو.

- مدام، عندما قلتِ إنني قاسي القلب ذكرتِ أوروبا، ولكن عندما ذكرت موضوع الذكاء قلت إنكلترا فقط.

- إذا أنجزت هذا العمل فسوف أقول إنك أذكى رجل في العالم.

رفع بوارو يده مستنكراً: مدام، لا أعدك بشيء. سوف أسعى -خدمةً لعلم النفس- إلى ترتيب لقاء مع زوجك.

- حلّله نفسياً كما تشاء، فقد يفيده هذا. ولكن يجب عليك أن تنجح من مهمتك... من أجلي. يجب أن أعيش حياتي الرومانسية يا سيد بوارو.

* * *

الفصل الثالث

الرجل ذو الضرس الذهبي

حدث ذلك بعد بضعة أيام حيث كنا جالسين على الإفطار، عندما رمى بوارو لي برسالة كان قد فتحها لتوه وقال: حسناً يا صديقي، ما رأيك بهذه؟

كانت الرسالة من اللورد إدجوير مكتوبة بكلمات جافة ورسمية وتحدد اليوم التالي موعداً للقاء في الساعة الحادية عشرة. لا بد من القول إنني فوجئت كثيراً؛ فقد كنت أستخفُّ بكلمات بوارو التي قالها للّيدي إدجوير وظننت أنه قالها مجاملةً ولم أعرف أنه اتخذ إجراءات فعلية لتنفيذ وعده.

عرف بوارو (وهو حاد الذكاء) ما يجول بخاطري، وطرفت عيناه قليلاً: نعم يا صديقي، لم أكن شارد الذهن تلك الليلة.

- لم أقصد هذا.

- نعم، نعم؛ لقد فكرت في نفسك بأن هذا الرجل العجوز المسكين كان ذاهلاً في الحفلة ووعد بأشياء لن يفي بها، أو أنه

لا يعتزم الوفاء بها، ولكن وعود هيركيول بوارو وعود مقدسة يا صديقي.

انتصب في جلسته متباهياً عندما قال كلماته الأخيرة هذه، وقلت بسرعة: طبعاً، طبعاً، أعرف هذا. لكني ظننت أن وعدك ذاك كان تحت تأثيرٍ معين.

- ليس من عادتي أن أترك آرائي تحت تأثير الآخرين يا هيستنغز. إن أكثر النساء جمالاً لا يمكنهن أن يؤثرن في آراء هيركيول بوارو! لا يا صديقي، كل ما في الأمر أنني مهتم بالمسألة.

- بعلاقات جين ويلكنسون العاطفية؟

- ليس هذا بالضبط. إن علاقتها العاطفية -كما تسميها أنت- علاقة عادية جداً... هي خطوة في العمل الناجح لامرأة جميلة. ولو لم يكن دوق ميرتون يحمل لقباً ولا يملك ثروة فإن تشابهه المثير مع ناسك حالم لم يكن سيثير السيدة. لا يا هيستنغز، ما يثير اهتمامي في هذه المسألة هو الحالة النفسية، تفاعل الشخصية. إنني أرحب بالفرصة التي ستجعلني أدرس اللورد إدجوير عن قرب.

- ولكنك لا تتوقع أن تنجح في مهمتك، أليس كذلك؟

- ولِمَ لا؟ كل رجل عنده نقطة ضعف. لا تتصور -يا هيستنغز- أنني لن أبذل جهدي للنجاح في المهمة الموكولة إليّ لأنني أدرس الحالة من وجهة نظر نفسية فقط. إنني أستمتع دائماً بممارسة موهبة الإبداع عندي.

كنت أخشى أن يشير إلى الخلايا الرمادية الصغيرة، وقد شعرت بالراحة لأنه لم يذكرها. قلت: إذن هل سنذهب غداً إلى ريجنت غيت الساعة الحادية عشرة؟

رفع بوارو حاجبيه: نذهب؟!

- بوارو! لن تتركني وحدي؛ إنني أذهب معك دائماً.

- لو كانت هذه جريمة أو قضية تسمم غامضة... آه؛ فهذه هي الأشياء التي تبعث في روحك البهجة! لكن هذه مجرد مسألة خلاف اجتماعي أريد تسويتها.

قلت عازماً: لا أريد سماع كلمة أخرى. سآتي معك.

ضحك بوارو ضحكة لطيفة، وفي تلك اللحظة دخل الخادم ليخبرنا أن رجلاً قد جاء... ولشدة دهشتنا كان زائرنا هو بريان مارتن.

بدا الممثل في ضوء النهار أكبر سناً، وكان يرتدي ملابس أنيقة بسيطة، وقد ظهر لي متوتر الأعصاب بشكل جليّ. قال مبتهجاً: صباح الخير يا سيد بوارو. أنا مسرور لرؤيتك والكابتن هيستنغز. بالمناسبة، أظن أنك مشغول جداً في الوقت الحاضر، أليس كذلك؟

ابتسم له بوارو ابتسامة لطيفة وقال: أبداً؛ في الوقت الحالي ليس عندي أي عمل مهم أقوم به.

ضحك بريان: ماذا دهاك؟ ألم تستدعِك شرطة سكوتلانديارد؟ ألا توجد أمور خطيرة لتحقق فيها لصالح الشرطة؟ لا أصدق هذا.

قال بوارو مبتسماً: أؤكد لك أنني غير مشغول الآن بأي عمل برغم أنني لا أتلقى إعانة بطالة بعد. الحمد لله.

قال بريان وهو يضحك مرة أخرى: حسناً، هذا من حسن حظي؛ إذ ربما أمكنك أن تؤدي لي خدمة.

نظر بوارو إلى الشاب متأملاً، ثم قال بعد قليل: هل عندك مشكلة؟

- الحقيقة: عندي... وليس عندي!

هذه المرة كانت ضحكته ساخرة. أشار بوارو إليه بالجلوس على أحد الكراسي وهو ينظر إليه بإمعان. جلس الرجل مقابلنا في حين جلست أنا على الكرسي المجاور لبوارو. وقال بوارو: والآن، دعنا نسمع كل شيء عن ذلك.

بدا أن بريان مارتن يجد بعض الصعوبة في البدء بالحديث؛ فقد قال: "المشكلة أنني لا أستطيع أن أخبرك بما أريد بالضبط". وتردد قليلاً قبل أن يضيف قائلاً: لقد بدأت المشكلة كلها في أمريكا.

- في أمريكا؟

- ما لفت انتباهي إليها كان مجرد حادث. كنت -في الواقع- مسافراً بالقطار عندما لفت انتباهي رجلٌ قبيح المنظر، ضئيل الحجم، حليق اللحية، يلبس نظارة، وله ضرس من ذهب.

- آه! ضرس من ذهب؟

- بالضبط، هذا -في الواقع- هو صلب الموضوع.

أومأ بوارو برأسه عدة مرات: بدأت أفهم... أكمل حديثك.

- حسناً، كما قلت: لاحظت الرجل فقط. وكنت مسافراً وقتها إلى نيويورك. وبعد ذلك بستة أشهر كنت في لوس آنجلوس، ورأيت الرجل ثانية. لا أعرف لماذا وكيف رأيته، لكن هذا ما حدث. حتى الآن لا شيء في الأمر.

- نعم؟

- بعد ذلك بشهر واحد أتيحت لي فرصة كي أذهب إلى سياتل، وبعد أن وصلت إلى هناك بوقت قصير رأيت صديقي هذا مرة أخرى، ولكنه كان -في تلك المرة- قد أطلق لحيته.

- أمر غريب ومحير!

- أليس كذلك؟ لم أتصور أن لذلك علاقة بي في ذلك الوقت، ولكني، عندما رأيت الرجل ثانيةً في لوس آنجلوس بلا لحية وفي شيكاغو بشارب وحاجبين مختلفين وفي قرية جبلية متنكراً بزي رجل متشرد... بدأت أتساءل؟

- أمر طبيعي.

- ربما استغربتَ شعوري الذي أحسستُ به بعد ذلك، ولكني لم أجد أي شك فيه، لقد أيقنتُ أنني مراقَب وأن الرجل يتبعني كظلّي.

- طبيعي أن تحسّ بذلك.

- أليس كذلك؟ ثم صار هذا الشعور يقيناً؛ فقد كان الرجل قريباً منّي مثل ظلي في أي مكان كنت، وإن كان يتنكر بطرق مختلفة، ولكني -لحسن الحظ- كنت أكشفه دائماً بسبب ضرس الذهب.

- آه، ضرس الذهب ذاك! إن وجوده صدفة سعيدة لك.

- كان كذلك فعلاً.

- اسمح لي يا سيد مارتن، ولكن ألم تتحدث مع الرجل أبداً؟ أما سألته عن سبب ملاحقته الدائمة لك؟

- لم أفعل في الواقع.

تردد الممثل ثم قال: فكرت أن أفعل ذلك مرة أو مرتين، لكني كنت أُقرر دائماً عكس ذلك. قدّرت أنه يجب أن أحترس من هذا الرجل دون أن أخبره أني كشفت أمره، فربّما أرسلوا إليّ رجلاً آخر غيره ليتعقبني لو أحسّوا أنني قد كشفت أمره.

- بالفعل. شخصاً ليس له ذلك الضرس الذهبي المفيد.

- بالضبط. قد أكون مخطئاً، ولكن هكذا قدّرت.

- تحدثتَ -يا سيد مارتن- بصيغة الجمع قبل قليل. مَن تقصد بقولك: أرسلوا، وأحسّوا؟

- مجرد حدس. أحسست أن هذه الصيغة أنسب للحديث، فقد افترضت (ولا أعرف السبب) وجود جماعة غير معروفة.

- هل لديك أي سبب لهذا الافتراض؟

- لا.

- تعني أنك لا تعرف من الذي يمكن أن يلاحقك كظلك أو لأي غرض؟

- ليست لديّ فكرة عن ذلك. على الأقل...

قال بوارو مشجعاً: أكمل.

قال بريان مارتن ببطء: خطرت لي فكرة. إنها مجرد تخمين.

- التخمين قد يكون مصيباً للغاية أحياناً.

- الأمر يتعلق بحادث حدث في لندن قبل سنتين. كان حادثاً بسيطاً، لكن لم يكن بالإمكان تفسيره أو نسيانه. لقد تعجبت وتحيرت منه كثيراً، فقط لأنني لم أجد تفسيراً له في ذلك الوقت، مما جعلني أميل إلى التساؤل إن كانت الملاحقة هذه متصلة بحياتي بطريقة أو بأخرى دون أن أتمكن من فهم السبب أو الكيفية.

- ربما بإمكاني أنا.

- نعم، ولكن كما ترى...

وعادت الحيرة والارتباك إلى بريان مارتن: الغريب أنني لا أستطيع أن أخبرك عن ذلك الحادث، أعني ليس الآن، ربما كنت قادراً بعد يوم أو نحو ذلك.

أكمل يائساً بعد أن رأى بوارو ينظر إليه متسائلاً: كما ترى، كانت هناك فتاة لها علاقة بالأمر.

- آه، إنها حلوى القصة! فتاة إنكليزية؟

- نعم، لماذا تسأل ذلك؟

- الجواب بسيط جداً. لا يمكنك أن تخبرني الآن لكنك تأمل أن تفعل ذلك بعد يوم أو يومين؛ وهذا يعني أنك تريد الحصول على موافقة الشابة؛ وهذا يعني أنها موجودة في إنكلترا، ولذلك فإنها إنكليزية (برغم أن هذا ليس مؤكداً). هل هذا تبرير جيد؟

- دون شك. والآن أخبرني يا سيد بوارو، إذا حصلت على موافقتها فهل ستنظر في هذا الأمر لصالحي؟

سكت بوارو، كان يبدو وكأنه يقلّب الأمر في ذهنه، وأجاب أخيراً: لماذا جئت إليّ قبل أن تذهب إليها؟

تردد ثم قال: أردت أن أقنعها بأن... تحل هذا الأمر. أقصد، بأن نطلب مساعدتك. ما أعنيه هو أنك إن حقّقت في هذه المسألة، فإنه لا حاجة لجعل هذا الأمر علنياً، أليس كذلك؟

قال بوارو بهدوء: هذا يعتمد.

- ماذا تعني؟

- إن كانت أية مسألة تتعلق بجريمة...

- آه! لا توجد في المسألة أية جريمة.

- أنت لا تعرف، قد تكون كذلك.

- ولكن هل كنت ستبذل جهدك من أجلها... من أجلنا؟

- هذا أمر طبيعي.

وسكت بوارو لحظة ثم قال متسائلاً: أخبرني، ما هو عمر هذا الرجل الذي كان يتبعك؟

- إنه شاب في نحو الثلاثين من العمر.

- آه! هذا ملفت للنظر فعلاً. نعم، هذا يجعل الأمر كله مثيراً للاهتمام أكثر.

حدقت فيه، وكذلك فعل بريان مارتن. أنا واثق أن ملاحظته هذه كانت غير مفهومة لنا نحن الاثنين. سألني بريان عنها عن طريق رفع حاجبيه، فأجبته بهزّ رأسي نفياً دلالةً على عدمِ الفهم.

همس بوارو: نعم، إنها تجعل القصة كلها مثيرة للاهتمام للغاية.

قال بريان مرتاباً: قد يكون أكبر قليلاً، لكني لا أعتقد ذلك.

- لا، لا؛ أنا متأكد أن ملاحظتك هذه دقيقة جداً يا سيد مارتن ومثيرة جداً، مثيرة بطريقة غير عادية!

أذهلت كلمات بوارو المبهمة بريان مارتن، وبدا لا يعرف ماذا سيقول أو يفعل بعد ذلك. بدأ يتحدث حديثاً غير هادف وقال: كانت حفلة رائعة في تلك الليلة. إن جين ويلكنسون أكثر النساء استبداداً.

قال بوارو وهو يبتسم: لديها رؤية أحادية الجانب؛ فهي ترى شيئاً واحداً باستمرار.

قال مارتن: كما أنها تفلت من أفعالها هذه دون عواقب. لا أعرف كيف يطيقها الناس!

قال بوارو وعينه تطرف: إن المرء يتحمل الكثير من امرأة جميلة يا صديقي، ولو كانت قبيحة لما أفلتت من العاقبة.

سلّمَ بريان قائلاً: هذا ممكن، لكنه يصيبني بالجنون أحياناً. ومع ذلك، فأنا مخلص لجين برغم أنني لا أعتقد أنها تدرك ما تقوله تماماً.

- على العكس، فأنا أعتقد أنها مدركة تماماً.

- لا أقصد هذا بالضبط... إن لديها كثيراً من عدم الاستقامة في عملها. أقصد أخلاقها.

- آه! أخلاقها؟

- إنها عديمة الإحساس بالمسؤولية الأخلاقية؛ فهي لا تعرف الخطأ والصواب في ميزاها.

- أتذكّرُ أنك قلت شيئاً من هذا في ليلة سابقة.

- كنّا نتحدث عن جريمة عند ذلك...

- نعم يا صديقي؟

- قلتُ إنني لن أفاجأ إذا ما ارتكبت جين جريمة.

قال بوارو متأملاً: لا بد أنك تعرفها جيداً. أظنك قد مثلت معها أفلاماً كثيرة، أليس كذلك؟

- بلى؛ أظن أنني أعرفها معرفة وثيقة، وأرى أنها يمكن أن تقتل، وبسهولة تامة.

- آه! هل هي عصبية المزاج؟

- لا، لا؛ أبداً. إنها باردة، أقصد أنها تُبعد كل من يعترض طريقها دون تفكير. ولا يستطيع المرء أن يلومها على ذلك... أقصد من الناحية الأخلاقية؛ فهي تعتقد أن على أي شخص يتدخل في شؤون جين ويلكنسون أن يرحل.

كانت المرارة ظاهرة في كلماته الأخيرة بشكل لم يكن ملحوظاً قبل ذلك، وتعجبت من الذكريات التي يسترجعها.

- أتعتقد أنها يمكن أن ترتكب جريمة قتل؟

راقبه بوارو بإمعان، فيما سحب نفساً عميقاً وهو يقول: ستفعل ذلك... قد تتذكر كلماتي هذه في يومٍ من الأيام. أنا أعرفها، وأقدّر أن بوسعها أن تقتل بنفس السهولة التي تشرب فيها شاي الصباح. إنني أعني ما أقوله يا سيد بوارو.

كان بريان قد نهض واقفاً وهو يردّد كلماته الأخيرة، وقال بوارو بهدوء: نعم، أرى أنك تعني ما تقول.

- إنني أعرفها بكل ما في الكلمة من معنى.

وقف عابساً لبعض الوقت، ثم قال بنبرة مغايرة: بالنسبة للموضوع الذي كنّا نتحدث عنه فسوف أبلغك خلال بضعة أيام يا سيد بوارو. هل ستتولى القيام به؟

نظر إليه بوارو لحظات دون أن يرد عليه، ثم قال أخيراً: نعم، سأتولاه؛ إنني أراه مثيراً.

أحسست بشيء غريب في النبرة التي لفظ بها بوارو كلماته الأخيرة، وعندما رافقت بريان مارتن إلى الباب قال لي وهو يهم بالمغادرة: هل فهمت ما كان يقصده بخصوص عمر ذلك الرجل؟ أقصد: لماذا كان مهتماً بأنه في حدود الثلاثين من عمره؟ لم أفهم ذلك على الإطلاق.

اعترفت قائلاً: ولا حتى أنا.

- لا يبدو أن له مغزى. ربما كان يمازحني.

قلت: لا؛ بوارو ليس كذلك، ومادام يقول إن لهذه النقطة دلالتها فالأمر كما يقول.

- حسناً، أنا لا أفهمها، كما أنني مسرور لأنك لا تعرفها أنت الآخر. لا أحب أن أشعر بأنني أحمق.

خرج من البيت، فيما عدت إلى صديقي وبادرته قائلاً: بوارو، ماذا كان غرضك من سؤاله عن عمر الرجل الذي كان يطارده؟

- ألا تفهم ذلك؟ مسكين أنت يا هيستنغز!

ابتسم وهز رأسه، ثم سأل: ما رأيك في لقائنا هذا بشكل عام؟

- لدينا القليل جداً حتى نحكم عليه. لو عرفنا أكثر...

- حتى من غير أن نعرف مزيداً، ألم تخطر لك بعض الأفكار المعينة يا صديقي؟

رنّ جرس الهاتف في تلك اللحظة (وهو ما أنقذني من خزي الاعتراف بأن أية فكرة ذات شأن لم تخطر ببالي) ورفعت السماعة فإذا المتحدث امرأة، وكان صوتها واضحاً واثقاً وهي تقول: معك سكرتيرة اللورد إدجوير. يأسف اللورد إدجوير لاضطراره أن يلغي الموعد مع السيد بوارو غداً صباحاً لأنه سيذهب إلى باريس غداً لسبب طارئ. يمكنه مقابلة السيد بوارو لبضع دقائق الساعة الثانية عشرة والربع صباح هذا اليوم إن كان ذلك يناسبه.

استشرت بوارو فردّ قائلاً: بالتأكيد يا صديقي، سنذهب إلى هناك هذا الصباح.

كررت هذه الكلمات في السماعة، فأجابتني صاحبة الصوت الواضح: عظيم، الثانية عشرة والربع هذا الصباح.

ثم وضعت السماعة.

* * *

الفصل الرابع

مقابلة

وصلت مع بوارو إلى بيت اللورد إدجوير في ريجنت غيت ونحن في حالة من الترقب المثير، ورغم أنني لم أكن مغرماً بعلم النفس مثل بوارو إلاّ أن الكلمات القليلة التي ذكرتْها الليدي إدجوير عن زوجها قد أثارت فضولي، وكنت مهتماً بمعرفة النتيجة التي سأتوصل إليها من المقابلة.

كان البيت مهيباً، جميل البناء، أنيقاً، ولكنه كان كئيباً بعض الشيء. لم يكن ثمة أصيص زهور على عتبات النوافذ ولا أي شيء من مثل هذه الأشياء التافهة.

فُتح لنا الباب على الفور، ولكن الذي فتحه لم يكن خادماً أبيض الشعر كما هي العادة المتبعة، بل على العكس من ذلك، فقد فتح لنا الباب شاب أنيق جداً لم أرَ له مثيلاً في أناقته. كان طويلاً أشقر الشعر وسيماً، ورغم وسامته فقد أبغضت فيه شيئاً من الخنوثة تجلّت في نعومة صوته، كما أنه ذكّرني، وبطريقة غريبة، بشخص؛ شخص التقيت به هو الآخر مؤخراً، لكنني لم أستطع تذكره.

سألنا عن اللورد إدجوير، فقال الرجل: من هذا الطريق يا سيدي.

عبرنا الصالة وهو يتقدمنا، ومررنا بجانب الدرج إلى بابٍ في آخر الردهة. وبعد أن فتحه أعلن وصولنا بذلك الصوت الناعم الذي لم أثق به غريزياً.

كانت جدران الغرفة التي قادنا الخادم إليها (والتي بدا أنها غرفة المكتبة) مرصوصةً بالكتب، وكان الأثاث أنيقاً رغم أنه داكن اللون، أما الكراسي الرسمية فلم تكن مريحة أبداً. وكان اللورد إدجوير، الذي نهض لاستقبالنا، رجلاً طويلاً في نحو الخمسين من عمره: شعره أسود قد خالطه الشيب، ووجهه رفيع، وابتسامته ساخرة، وكان يبدو سيء المزاج قاسياً، وفي عينيه شيء خفي غريب. أما سلوكه معنا فكان رسمياً فظاً.

- سيد هيركيول بوارو؟ الكابتن هيستنغز؟ أرجو أن تجلسا.

كانت الغرفة باردة، ويدخل من نافذتها ضوء خفيف فتضيف الظلمة إلى جو الغرفة شيئاً من الرهبة. حمل اللورد إدجوير رسالة عرفت أنها بخط يد صديقي وقال: اسمك مألوف لدي يا سيد بوارو بالطبع؛ ومَن لا يعرفك؟

انحنى بوارو أمام هذا الإطراء، وأكمل اللورد: "لكني لا أستطيع تفهم موقفك في هذه المسألة. أنت تقول إنك ترغب برؤيتي نيابة عن..."، وسكت قليلاً ثم أضاف: زوجتي!

قال الكلمة الأخيرة بطريقة غريبة، وكأنه نطقها بجهد كبير. قال صديقي: هذا صحيح.

- أعرف أنك محقق في الجريمة يا سيد بوارو.

- أنا أحقق بكل أنواع المشكلات يا لورد إدجوير.

- فعلاً، وماذا تكون مشكلتي أنا؟

كانت نبرة السخرية واضحة الآن في كلماته، ولكن بوارو لم يلتفت إليها وقال: لقد حصل لي الشرف في الاتصال بك نيابة عن الليدي إدجوير، وكما تعلم فإن الليدي إدجوير ترغب في... الطلاق.

قال اللورد إدجوير بفتور: أعرف هذا تماماً.

- وقد اقترحَتْ أن أناقش هذا الأمر معك.

- لا يوجد شيء للمناقشة.

- إذن فأنت ترفض؟

- أرفض؟ لا بالتأكيد.

ربما توقع بوارو أيّ جواب غير ذلك الذي سمعه. إذ نادراً ما كنت أرى صديقي مذهولاً، ولكنني رأيته كذلك هذه المرة، وكان شكله مضحكاً: فغر فاه ولوح يديه في الهواء ورفع حاجبيه... كان يبدو كالرسوم المتحركة في صحيفة هزلية. صاح مستفسراً: أكيد؟ ما هذا؟ أنت لا ترفض؟

- أنا متحير من سبب دهشتك يا سيد بوارو.

- هل أنت موافق على طلاق زوجتك؟

- أنا راغب بذلك بالتأكيد. إنها تعرف ذلك تماماً؛ فقد كتبت لها رسالة وأخبرتها بذلك.

- كتبتَ لها وأخبرتها بذلك؟

- نعم؛ قبل ستة أشهر.

- ولكني لا أفهم... لا أفهم أي شيء على الإطلاق.

لم يقل اللورد إدجوير شيئاً، فيما أردف بوارو مستغرباً: فهمت أنك تعارض مبدأ الطلاق.

- لا أظن أن مبادئي من شأنك يا سيد بوارو. صحيح أنني لم أطلق زوجتي الأولى؛ لم يكن ضميري يسمح لي بفعل ذلك، أما زواجي الثاني فأعترف -صراحةً- بأنه كان غلطة. وعندما طلبتْ زوجتي الطلاق رفضت بصراحة، وقبل ستة أشهر كتبت إليّ ثانية وكانت تلحّ بهذا الأمر. وقد عرفت أنها كنت تريد الزواج ثانية، ربما بممثل سينمائي أو زميل لها، وفي ذلك الوقت كنت قد غيّرت رأيي؛ فكتبت لها رسالة وهي في هوليوود أخبرها بذلك. لا أعرف لماذا أرسلتك إليّ... أظن أنها مسألة تتعلق بالمال.

قال هذه الكلمات الأخيرة بنبرة ساخرة مرة أخرى. وهمس بوارو: غريب... غريب جداً! في هذا الأمر شيء لا أفهمه أبداً.

أكمل اللورد إدجوير: بالنسبة للمال فقد هجرتني زوجتي بمحض إرادتها؛ إن كانت ترغب في الزواج برجل آخر فيمكنني السماح لها بفعل ذلك بحرية، ولكن لا يوجد سبب يدعوني لإعطائها بنساً واحداً من أموالي، ولن تأخذه!

- إنها لم تطرح أي موضوع يتعلق بتسوية مالية.

رفع اللورد إدجوير حاجبيه دهشة وهمس ساخراً: لا بد أن جين ستتزوج رجلاً غنياً.

قال بوارو: يوجد شيء لا أفهمه.

كانت الحيرة بادية على وجهه فيما هو مستغرق في التفكير، ثم قال: لقد فهمت من الليدي إدجوير أنها اتصلت بك مراراً من خلال المحامين.

ردّ اللورد إدجوير بجفاف: نعم؛ محامين إنكليز ومحامين أمريكان، محامين من كل نوع، غث وسمين، وفي النهاية كما قلت لك: كتبت إليّ رسالة بنفسها.

- هل رفضت طلبها من قبل؟

- نعم، هذا صحيح.

- لكنك غيرت رأيك عندما استلمت رسالتها. لماذا غيرت رأيك لورد إدجوير؟

قال محتدّاً: لم يكن ذلك بسبب رسالتها. لقد حدث أن تغيرت آرائي، هذا كل ما في الأمر.

- لقد كان التغير مفاجئاً نوعاً ما.

لم يجبه اللورد إدجوير.

- ما هي الظروف الخاصة التي دفعتك لتغيير موقفك يا لورد إدجوير؟

- هذا شأني الخاص يا سيد بوارو... لا أستطيع الدخول في هذا الموضوع. دعنا نَقُلْ: إنني فهمت فوائد الانفصال تدريجياً، حيث إنني كنت أعتبر زواجي هذا علاقة فاسدة، وأرجو أن تغفر لي صراحتي هذه. لقد كان زواجي الثاني غلطة.

قال بوارو بهدوء: زوجتك تقول نفس الكلام.

- حقاً؟

لمعت عيناه ببريق غريب، ولكنه تلاشى على الفور. ثم نهض بشكل يوحي بأن اللقاء قد انتهى، وعندما ودّعناه أصبح أسلوبه أقل تحفظاً: أرجو أن تسامحني على تغيير الموعد؛ يجب أن أذهب إلى باريس غداً.

- لا حرج، لا حرج أبداً.

- إن الرحلة -في الواقع- لحضور مزاد على بعض الأعمال الفنية. لقد رأيت تمثالاً صغيراً أعجبني، فهو يشخّص الموت، وأنا أستمتع بالأعمال التي تشخص الموت. أنا دائماً هكذا... ذوقي غريب!

مرة أخرى ابتسم ابتسامة غريبة فيما كنت أنظر إلى الكتب الموجودة على الأرفف القريبة مني. رأيت كتاب «ذكريات كازانوفا» وكتاباً آخر عن أساليب التعذيب في العصور الوسطى. وتذكرت كيف كانت جين ويلكنسون ترتعد قليلاً وهي تتحدث عن زوجها. لم يكن ذلك تمثيلاً، بل رعباً حقيقياً، ولقد حملني ذلك على التساؤل: أي نوع من الرجال كان جورج ألفريد سانت فينسنت مارش، المعروف بالبارون إدجوير الرابع؟

ودَّعنا وداعاً لطيفاً وهو يضغط على الجرس، وخرجنا من الغرفة فيما كان الخادم الوسيم ينتظر في الصالة. وعندما التفتّ لإغلاق باب المكتبة نظرتُ ورائي إلى داخل الغرفة نظرة خاطفة، وكدت أصيح وأنا أفعل ذلك! لقد تجهّم ذلك الوجه اللطيف المبتسم، حيث زمّ شفتيه واتّقدت عيناه غضباً، وبدا ثائراً ثورة مجنون. ولم أعد أتعجب لماذا تركت امرأتان اللورد إدجوير، إنما الذي أدهشني -فعلاً- هو قدرة ذلك الرجل الخارقة على ضبط نفسه. لقد بدت أعصابه مسترخية باردة خلال اللقاء واتّسم بكل الأدب والتحفظ الممكنين!

وعندما وصلنا الباب الأمامي فُتح باب عن يميننا، فإذا نحن بفتاة تقف من خلفه، ولكنها ما لبثت أن تراجعت إلى الوراء قليلاً عندما وقع نظرها علينا. كانت فتاة طويلة نحيلة سوداء الشعر شاحبة الوجه، وقد نظرت إلينا برهةً بعينين سوداوين خائفتين ثم تراجعت إلى داخل الغرفة ثانية كأنها خيال وأغلقت الباب.

لحظات وكنا قد خرجنا إلى الطريق حيث طلب بوارو سيارة

أجرة، وما لبثنا أن دخلنا السيارة وطلب من سائقها أن يتوجه إلى فندق سافوي. قال وعيناه تطرفان: حسناً يا هيستنغز، لم يجرِ هذا اللقاء كما تخيلت في نفسي.

- رجل غريب اللورد إدجوير هذا!

سردت له كيف نظرتُ خلفي قبل أن أغلق باب المكتب وما رأيته. أومأ برأسه ببطء وتأمل قائلاً: أتوقع أنه على حافة الجنون يا هيستنغز. أظنّه يمارس كثيراً من الرذائل الغريبة ويخفي تحت مظهره اللامبالي غريزة عميقة الجذور من الوحشية.

- لا عجب إذن أن تتركه زوجتاه.

- كلامك صحيح.

- بوارو، هل لاحظت الفتاة وأنت خارج؟ فتاة داكنة الشعر وجهها شاحب.

كان صوته هادئاً وهو يجيبني: نعم، لاحظتها يا صديقي. فتاة شابة خائفة وحزينة.

- من تظنها؟

- قد تكون ابنته.

- لقد بدت خائفة. لا بد أن هذا البيت كئيب بالنسبة لفتاة شابة.

- نعم. آه! ها قد وصلنا يا صديقي. والآن سنبلغ الليدي بالأخبار الطيبة.

كانت جين في الفندق، وبعد الاتصال بها هاتفياً أخبرنا الموظف أن بوسعنا الصعود إلى جناحها. وقد قادنا إلى الجناح أحد الخدم ثم فتحت لنا الباب امرأةٌ كبيرة في العمر أنيقة الهندام تضع نظارة ولها شعر رمادي مرتب. نادتْها جين من غرفة النوم بصوتها الأجش: هل هذا هو السيد بوارو يا إليس؟ اطلبي منه أن يجلس وسأحضر خلال لحظات.

جاءت جين ويلكنسون وهي تسأل متلهّفة، وطمأنها بوارو: كما قلتُ يا مدام بالضبط؛ الوضع حسن بكل ما في الكلمة من معنى.

- يا إلهي، ماذا تعني؟

- إن اللورد إدجوير مستعد تماماً للموافقة على الطلاق.

- ماذا؟!

ما أدري أكان ذلك الذهول الذي بدا على وجهها تعبيراً حقيقياً صادقاً أم هو جزء من قدرات ممثلة بارعة!

قالت: سيد بوارو، لقد نجحت في هذا العمل على الفور! بمثل هذه السرعة؟ إنك عبقري. كيف فعلت ذلك بالله عليك؟

- مدام، لا تطريني بما لا أستحق. لقد كتب إليك زوجك رسالة قبل ستة أشهر تراجع فيها عن معارضته للطلاق.

- ما هذا الذي تقوله؟ كتب إلي؟ أين؟

- فهمت أن ذلك كان وأنت في هوليوود.

- لابدّ أن هذه الرسالة قد ضلّت طريقها؛ فأنا لم أستلمها قط. لقد كنت أفكر وأخطط وأنا على درجة من الغيظ يكاد يصيبني الجنون طوال تلك الأشهر.

- الظاهر أن اللورد إدجوير يظن بأنك ترغبين في الزواج بممثل.

- أمر طبيعي... هذا ما أخبرته به.

إبتسمت ابتسامة طفولية قبل أن تتحوّل فجأة معالم وجهها لتعبّر عن نظرة خوف وهي تسأل: هل أخبرته عن موضوعي أنا والدوق يا سيد بوارو؟

- لا، لا. اطمئني؛ فأنا أحفظ الأسرار.

- إن لديه -كما ترى- طبيعة خسيسة غريبة؛ فهو إذا أحسّ بأن زواجي بميرتون ربما يُعلي من مكانتي فسوف يسعى لإفشال خطتي بالتأكيد، ولكن ممثل السينما أمر مختلف. ومع ذلك فقد فوجئت. نعم، لقد فوجئت. ألا تحسّين أنت أيضاً بالمفاجأة يا إليس؟

لاحظت أن الخادمة كانت تتحرك في المكان جيئة وذهاباً وهي ترتب الأغطية المبعثرة على الكراسي. كنت قد ظننت أنها تعمّدت أن تتنصّت على حديثنا، ولكنني أدركت الآن أنها كانت موضع ثقة جين التامة. قالت الخادمة بحقد: نعم يا سيدي؛ لا بد أن اللورد تغير كثيراً عمّا كنا نعرفه.

قال بوارو: أنت لا تستطيعين فهم موقفه، فهو موقف محيّر، أليس كذلك؟

- بلى، ولكن لا حاجة للقلق من هذا على أية تحال. هل يهم معرفة السبب الذي جعله يغير رأيه ما دام قد غيّره؟

- قد لا يثير هذا الأمر الصغير اهتمامك يا مدام، ولكنه يثير اهتمامي أنا.

لم تلتفت جين له وهي تكمل حديثها: الشيء المهم أنني أصبحت حرة... أخيراً.

- ليس بعد يا مدام.

نظرت إليه حانقة: حسناً، سأصبح حرة... نفس الشيء.

بدا أن بوارو لا يعتقد أن الأمر سيّان.

قالت جين: الدوق في باريس. يجب أن أرسل له برقية الآن، وأرجو ألاّ تكون أمه العجوز فظة!

نهض بوارو مستئذناً: أنا مسرور -يا مدام- لأن كل شيء يسير كما ترغبين.

- وداعاً يا سيد بوارو، وشكراً لك كثيراً.

- أنا لم أفعل شيئاً.

- على أية حال فقد جئت بالأخبار الطيبة، وأنا شاكرة لك كثيراً... إنني حقاً شاكرة لك.

وأخذ بوارو يحدّثني ونحن في طريقنا خارج الجناح: إذن هكذا الأمر... الأنانية نفسها! إنها لا تفكر ولا تريد أن تعرف لماذا لم

تصلها تلك الرسالة. لاحظ يا هيستنغز؛ إنها امرأة داهية في عملها، لكنها تفتقر -فيما عدا ذلك- إلى الذكاء. حسناً، إن المرء لا يمكن أن يكون كاملاً.

قلت بتحفظ: إلاّ هيركيول بوارو.

أجاب بهدوء: أنت تهزأ بي يا صديقي. أقترحُ -على أية حال- أن نسير قليلاً على الجسر؛ فأنا بحاجة إلى الهدوء لأرتّب وأنظّم أفكاري.

التزمت الصمت المطبق ونحن نسير على الجسر مترقباً تصريح بوارو، ثم تكلّم أخيراً ونحن بجانب النهر: هذه الرسالة تثير اهتمامي... توجد أربعة حلول لتلك المشكلة يا صديقي.

- أربعة؟

- نعم. أولاً: لعلها ضاعت في البريد، وهذا يحدث كما تعرف، لكنه لا يحدث كثيراً. نعم، ليس كثيراً. لو كان العنوان خاطئاً لكان المفترض أن تُعاد إلى اللورد إدجوير منذ مدة طويلة... إنني أميل إلى استبعاد هذا التفسير برغم أنه قد يكون صحيحاً. الحل الثاني: هو أن سيدتنا الجميلة كذبت عندما قالت إنها لم تستلمها أبداً، وهذا ممكن بالتأكيد! إن تلك السيدة الفاتنة تستطيع أن تكذب من أجل مصلحتها مُظهرةً براءة الطفولة، لكنني لا أدرك يا هيستنغز مصلحتها في ذلك، وإذا عرفتْ أنه موافق على طلاقها فلماذا ترسلني لكي أطلب منه أن يفعل ذلك؟ هذا لا معنى له. الحل الثالث: هو أن اللورد إدجوير يكذب. فإذا كان أحدهما يكذب فإن المرجح -عندها- أن يكون

الزوج لا الزوجة، لكنني لا أرى وجود هدف للكذبة. لماذا يزعم أنه بعث رسالة قبل ستة أشهر؟ لماذا لا يوافق على طلبي ببساطة؟ لا. إنني أميل إلى الاعتقاد بأنه أرسل تلك الرسالة فعلاً رغم أنني لا أستطيع تخمين الدافع الذي جعله يغير موقفه فجأة. وهكذا نأتي إلى الحل الرابع: وهو أن شخصاً ما قد أخفى تلك الرسالة، وهنا -يا هيستنغز- ندخل في دوامة واسعة مثيرة من التفكير، لأن تلك الرسالة يمكن أن تكون قد أُخفيت في أي من البلدين: أمريكا أو إنكلترا. وكائناً مَن كان هذا الذي أخفاها فإنه أراد لذلك الزواج أن يستمر! هيستنغز، إنني مهتم للغاية بمعرفة الأشياء الكامنة وراء هذه المسألة. ثمة شيء ما... أنا واثق أن ثمة شيئاً ما.

وسكت، ثم أضاف ببطء: شيئاً عجزت إلى الآن عن إدراكه، سوى لمحة خاطفة منه!

* * *

الفصل الخامس

جريمة

كان اليوم التالي هو الثلاثين من حزيران، وكانت الساعة التاسعة والنصف عندما قيل لنا إن المفتش جاب موجود في الطابق الأرضي ويريد رؤيتنا على أحر من الجمر. ولم نكن قد رأينا مفتش سكوتلاندیارد منذ بضع سنين.

قال بوارو: آه، جاب الطيب! ترى ماذا يريد؟

أجبته بسرعة: مساعدة... لا بد أنه يحقق في قضية معينة وجاء إليك لتساعده.

لم أكن أحمل للمفتش جاب الودّ الذي كان بوارو يحمله، كما أنني لم أحب طريقته في انتزاع المعلومات من بوارو، بالرغم ممّا كنت ألمسه من استمتاع بوارو نفسه بذلك، الأمر الذي كنت أفسّره على أنه إرضاء لبعض غروره. أما ما كان يضايقني أكثر في جاب فهو نفاقه وزعمه بأنه لا يفعل مثل هذا الأمر.

قلت هذا لبوارو، فضحك قائلاً: أنت ملكي أكثر من الملك

يا هيستنغز. ولكن يجب أن تتذكر أن جاب المسكين يريد أن يحفظ ماء وجهه، وهذا ما يدفعه إلى التصرف على ذلك النحو... هذا أمر طبيعي.

أظهرت عدم اقتناعي بذلك الأسلوب ولكن بوارو لم يوافقني، فقد قال: المظهر الخارجي شيء تافه، لكنه ما يهم الناس. إنه هو الذي يدفعهم إلى الشعور بالاحترام والتقدير.

كنت أعتقد -شخصياً- بأن مقداراً ضئيلاً من عقدة النقص لن يؤذي جاب بشيء، ولكن لم يكن في الجدال حول هذه المسألة فائدة، كما أنني كنت مهتماً بمعرفة السبب الذي جاء جاب من أجله.

حيّانا نحن الاثنين بحرارة وأضاف قائلاً: أرى أنكما ذاهبان لتناول الإفطار... ألم تجعل الدجاج يضع بيضاً مكعَّب الشكل بعدُ يا سيد بوارو؟

كانت عبارته تلك إشارة إلى شكوى من بوارو حول الأحجام المختلفة للبيض التي كانت تزعجه وتتعارض مع حاسته المرهفة في التناسب. وقال بوارو مبتسماً: ليس بعد. ولكن ما الذي جاء بك لزيارتنا في هذا الوقت المبكر أيها الطيب جاب؟

- الوقت ليس مبكراً بالنسبة لي؛ فأنا قد استيقظت وبدأت العمل منذ ساعتين. أما بالنسبة لزيارتي هذه فسببها جريمة قتل.

- جريمة قتل؟

أومأ جاب برأسه موافقاً: لقد قُتل اللورد إدجوير في منزله في ريجنت غيت الليلة الماضية... طعنته زوجته بالسكين في رقبته.

صحت: زوجته؟!

تذكرت بسرعة كلمات بريان مارتن صباح اليوم السابق. هل تراه تنبأ بما كان سيحدث؟ وتذكرت -أيضاً- كلام جين الصريح عن قتله. لقد وصفها بريان مارتن بأنها تفتقر إلى المسؤولية الأخلاقية. كانت من هذا النوع، نعم، قاسية القلب ومغرورة وغبية. لقد كان مصيباً في حكمه.

كل هذا دار في رأسي بينما كان جاب يكمل: نعم، إنها ممثلة معروفة جيداً؛ جين ويلكنسون. تزوجته قبل ثلاث سنوات، ولم ينجحا في زواجهما ففارقته.

بدا بوارو متحيراً مهموماً، وما لبث أن قال متسائلاً: ما الذي جعلك تعتقد بأنها هي القاتلة؟

- ليس في الأمر اعتقاد؛ لقد تم التعرف إليها. كما أنه لم يكن في الأمر إخفاء أو مواربة، فقد ذهبت بسيارة أجرة...

كررت الكلمة بلا وعي: سيارة أجرة... وتذكرت كلماتها في فندق سافوي تلك الليلة.

وأكمل جاب: قرعت الجرس وسألت عن اللورد إدجوير. كان ذلك في العاشرة ليلاً، وعندما قال الخادم إنه سيخبره قالت له بكل برودة: "لا حاجة لذلك؛ فأنا الليدي إدجوير، وأظن أنه في المكتبة".

وهكذا سارت وفتحت الباب ودخلت وأغلقته وراءها. واستغرب الخادم تصرفها ولكنه لم ير بأساً في الأمر، ونزل إلى الطابق السفلي ثانية، وبعد ذلك بعشر دقائق سمع صوت الباب الأمامي وهو يغلق. وهكذا فهي لم تمكث طويلاً. رفع بصره إلى الساعة فوجدها الحادية عشرة ليلاً تقريباً، وفتح باب المكتبة فوجدها معتمة مما دفعه إلى الاعتقاد بأن سيده قد ذهب إلى النوم. وفي الصباح اكتشفت إحدى الخادمات جثته، وكانت مطعونة في مؤخرة الرقبة تحت شعره مباشرة.

- ألم يصرخ؟ ألم يسمع أحدٌ شيئاً؟

- يقولون إنهم لم يسمعوا. إن أبواب المكتبة عازلة للصوت، كما أن كثيراً من أهل البيت يتحركون محدثين جلبة، والطعن بهذه الطريقة يسبب الوفاة بسرعة مذهلة. قال الطبيب إنها طعنة نافذة إلى النخاع العظمي، أو شيء قريب من هذا. إذا ضربت شخصاً على هذا المكان بالضبط فإنه يقتل على الفور.

- هذا يدل على معرفة الجاني بالموضع القاتل بالضبط، مما يعني أن له دراية طبية.

- نعم، هذا صحيح، وهذه نقطة لصالحها كما هو ظاهر، لكني متأكد أن الأمر صدفة لا غير؛ فقد حالفها الحظ بصورة مدهشة كما يحصل مع بعض الناس أحياناً.

قال بوارو: لن تكون محظوظة إلى هذا الحد عندما يقودها ذلك إلى حبل المشنقة يا صديقي؟

- لقد كان ذلك حماقة منها... ذهابها إلى البيت بهذه الطريقة وإعطاء اسمها وكل هذه الأمور.

- فعلاً؛ إن ذلك الأمر لغريب.

- ربما لم تعتزم قتله، فلعلهما تشاجرا ثم أخرجت سكين الجيب وطعنته طعنة واحدة.

- أوَكانتْ سكين جيب؟

- شيء كهذا حسب قول الأطباء. أيّاً كانت أداة الجريمة فقد أخذتها معها؛ إذ لم توجد أداة الجريمة مع الجثة.

هز بوارو رأسه تعبيراً عن استيائه: كلا، كلا يا صديقي، لم يكن كذلك. أنا أعرف السيدة؛ إنها لا تستطيع القيام بمثل هذا العمل المروع وبمثل هذه القوة، وإلى جانب ذلك فمن غير المحتمل أن تحمل معها سكين جيب. قليل من النساء يفعلن ذلك، وجين ويلكنسون ليست منهن بالتأكيد.

- هل قلت إنك تعرفها يا سيد بوارو؟

- نعم، أعرفها.

لم يقل جاب شيئاً آخر في تلك اللحظة، بل وقف يحدّق في بوارو متسائلاً، وفي النهاية جازف بسؤاله: هل تحتفظ بمعلومات معينة يا سيد بوارو؟

- آه! هذا يذكرني بشيء. ما الذي أحضرك إليّ؟ الأمر ليس

مجرد تمضية وقت من النهار مع رفيق قديم، أليس كذلك؟ لديك هنا جريمة قتل جميلة واضحة، القاتلة فيها معروفة وكذلك الدافع، على فكرة: ما هو الدافع بالضبط؟

- أرادت الزواج برجل آخر. لقد سمعوها تقول هذا قبل أقل من أسبوع، كما سمعوها أيضاً وهي تهدد، وقالت إنها تعتزم أن تطلب سيارة أجرة وتذهب لتقتله.

- آه! إن معلوماتك جيدة، جيدة جداً. لا بد أن شخصاً ما كان ميّالاً جداً لمساعدتك بهذه المعلومات.

أحسست أن عينيّ جاب تتساءلان، ولكنه -رغم ذلك- ظلّ صامتاً ولم يبادر بالسؤال، وأخيراً قال بشيء من التأكيد: نحن نحتاج أن «نسمع» يا سيد بوارو... هذه وظيفتنا!

أومأ بوارو برأسه. وفيما هو منصت لجاب خلال حديثه كان قد مدّ يده فأخذ الصحيفة اليومية، وكان جاب قد جاء بها معه وفتحها وبدأ بقراءتها وهو في انتظارنا ثم ألقى بها جانباً عندما دخلنا. وبشكل آليّ طوى بوارو الصحيفة ورتّبها من وسطها. لقد كانت عيناه مثبتتين على الصحيفة ولكن عقله كان بعيداً عنها غارقاً في حيرة شديدة، وقال على الفور: أنت لم تجبني. ما دامت الأمور كلها تسير بيسر وسهولة فلماذا جئت إليّ؟

- لأنني سمعت بأنك كنت موجوداً في ريجنت غيبت، منزل القتيل، صباح أمس.

- فهمت.

- وحالما سمعت ذلك قلت في نفسي: لا بد من وجود شيء ما. لقد أرسل اللورد في طلب السيد بوارو، فلماذا؟ ما الذي كان يشك فيه؟ ما الذي كان يخشاه؟ وقبل أن أقوم بأي فعل جازم كان عليّ أن أتحدث معك.

- ما الذي تعنيه بقولك: «أي فعل جازم»، أظن أنه اعتقال السيدة؟

- بالضبط.

- ألم ترها بعد؟

- بل رأيتها، كان الذهاب إلى فندق سافوي أول شيء فعلته، فما كان يمكن أن أدعها تهرب.

- آه! إذن فأنت...

سكت. وبدت على عينيه الآن ملامح مختلفة بعد أن كانتا مركزتين على الصحيفة أمامه متأملاً. رفع رأسه وتكلم بنبرة مغايرة: وما الذي قالته يا صديقي، إيه؟ ما الذي قالته؟

- قلت لها العبارة المعتادة -بالطبع- بخصوص طلب أقوالها وحذرتها. إنك لا تستطيع اتهام الشرطة الإنكليز بالظلم.

- برأيي أنهم كذلك إلى حد الحماقة. ولكن أكمل حديثك، ما الذي قالته السيدة الكريمة؟

- أصيبت بالهستيريا... هذا ما حدث. تكورت وفردت ذراعيها

ثم ألقت بنفسها على الأرض بقوة. آه! لقد فعلت ذلك بطريقة جيدة، أعترف بذلك، كانت تمثيلية رائعة.

قال بوارو بلطف: إذن أنت تظن أن حالتها الهستيرية لم تكن حقيقة، أليس كذلك؟

طرفت عينا جاب: ماذا ترى؟ لست من النوع الذي يمكن خداعه بمثل هذه الحيل. لم تفقد وعيها، كانت تجرب ذلك فقط، أقسم أنها كانت تستمتع بذلك.

- نعم؛ أعتقد أن ذلك كان ممكناً. وماذا حدث بعد ذلك؟

- آه، أُغمي عليها! أقصد أنها تظاهرت بذلك. وكانت تئن وتجأر، ثم جاءت تلك الخادمة صاحبة الوجه النكد وأعطتها النشادر، وفي النهاية تعافت وطلبت محاميها. أرادت أن لا تقول شيئاً إلاّ بوجوده. في لحظة من اللحظات كانت هستيرية ثم في لحظة أخرى تطلب محاميها. أود أن أسألك الآن: هل هذا سلوك طبيعي يا سيدي؟

قال بوارو بهدوء: في هذه الحالة يعتبر سلوكاً طبيعياً تماماً.

- هل تعني أنه طبيعي بسبب كونها مذنبة، وهي واثقة من ذلك.

- لا؛ أبداً. إنما أقصد بسبب مزاجها، في البداية تُظهر لك كيف تقوم بأداء دور زوجةٍ تعلم فجأة بخبر وفاة زوجها، ثم بعد إشباع غريزتها بالتمثيل يحملها ذكاؤها الفطري على أن تطلب محامياً.

لا يمكنك اعتبارها مذنبة لمجرّد ابتكارها ذلك المشهد التمثيلي واستمتاعها بأدائه. هذا فقط يدلّ على أنها ممثلة بالفطرة.

- لا يمكنها أن تكون بريئة، هذا أكيد.

- أنت متأكد جداً، أظن أن ذلك صحيح. هل قلت إنها لم تُدلِ بأية أقوال؟

ابتسم جاب وهو يقول: رفضت أن تقول كلمة واحدة بلا محاميها، وقد اتصلت الخادمة تطلبه، فتركتُ اثنين من رجالي هناك وجئت إليك مباشرة. اعتقدت أنه يجب عليّ معرفة الذي كان يجري قبل أن أباشر الأمور.

- ومع ذلك فأنت متأكد؟

- أنا متأكد بالطبع، لكي أريد جمع أكبر قدر ممكن من الحقائق. ستحدث ضجة كبيرة حول هذه الجريمة، وسوف تملأ أخبارها الصحف، وأنت تعرف ما هي الصحف.

- حديث صحف... كيف تفسر هذا يا صديقي؟ إنك لم تقرأ صحيفتك الصباحية قراءة متمعنة بما فيه الكفاية.

مال بجسمه فوق الطاولة وأصبعه على فقرة في صفحة أخبار المجتمع. وقرأ جاب الفقرة بصوت مرتفع:

> أقام السير مونتاغو كورنر حفل عشاء ناجحاً جداً الليلة الماضية في منزله على النهر في تشيسويك، وكان من بين الحاضرين السير جورج والليدي دو فيس

> والسيد جيمس بلانت (الناقد المسرحي المشهور) والسير أوسكار هامرفلدت (من أستوديوهات أوفرتن السينمائية) والسيدة جين ويلكنسون (الليدي إدجوير) وآخرون.

بدا جاب مشدوهاً لحظات، ثم ضبط نفسه وقال: وما علاقة هذا بالأمر؟ لقد أرسل هذا الخبر إلى الصحيفة مسبقاً، سترى ذلك. سترى أن السيدة لم تكن هناك أو أنها حضرت متأخرة... ربما في الساعة الحادية عشرة أو قريباً من ذلك. يجب ألاّ تأخذ كل شيء يكتب في الصحف على أنه كلام مقدس. أنت بالذات يجب أن تعرف هذا.

- أعرف، أعرف، كل ما في الأمر أنني وجدت الأمر غريباً.

- مثل هذه المصادفات تحدث. أعرف أنك صاحب خبرة كبيرة يا سيد بوارو، ألا تصادف مثل هذه الأمور؟ هل تريد أن تخبرني لماذا أرسل اللورد إدجوير في طلبك؟

هز بوارو رأسه: لم يرسل اللورد إدجوير في طلبي. أنا الذي طلبت منه أن يحدد لي موعداً.

- حقاً؟ لماذا؟

تردد بوارو دقيقة ثم قال ببطء: سأجيب عن سؤالك، لكني أحب أن أجيب عنه بطريقتي الخاصة.

تأفف جاب، وأحسست بتعاطف خفي معه؛ فبوارو يثير الغيظ

الشديد أحياناً. وأكمل بوارو: سأطلب منك أن تأذن لي بالاتصال بشخص بالهاتف حتى أطلب منه أن يأتي إلى هنا.

- أي شخص؟

- السيد بريان مارتن.

- الممثل السينمائي؟ وما علاقته بالأمر؟

- أظن أنك ستجد ما يقوله مثيراً للاهتمام... وربما يساعدك، هلاّ تكرمت علي يا هيستنغز؟

رفعت سماعة الهاتف واتصلت، وتحدث صوت بريان مارتن الناعس بعد بضع دقائق: مرحباً... من يتكلم؟

همست وأنا أغطي السماعة بيدي: ماذا أقول له؟

قال بوارو: أخبره بأن اللورد إدجوير قتل وأنني لن أنسى له معروفه لو جاء إلى هنا على الفور لرؤيتي.

كررت هذه الكلمات بدقة متناهية، وسمعت صيحة دهشة في الطرف الثاني. قال مارتن: يا إلهي، إذن فقد فعلتْها! سآتي على الفور.

سأل بوارو عن الذي قاله، وأخبرته بالذي ذكره فقال: آه... «إذن فقد فعلتها».

وبدا عليه السرور وهو يقول: هل هذا ما قاله؟ إذن فالأمر كما ظننت... الأمر كما ظننت!

نظر جاب إليه نظرة استغراب وقال: لا أستطيع أن أفهمك يا بوارو. في البداية بدا وكأنك تعتقد أن المرأة قد لا تكون القاتلة، أما الآن فإنك تبدو وكأنك كنت تعرف الحقيقة من البداية.

ابتسم بوارو ولم يقل شيئاً.

* * *

الفصل السادس
الأرملة

وفى بريان بوعده وكان عندنا في أقلّ من عشر دقائق، وخلال الفترة التي كنّا ننتظر فيها وصوله كان بوارو يتحدث في موضوعات متفرقة ورفض إرضاء فضول جاب رفضاً قاطعاً.

كان واضحاً أن ذلك النبأ قد أزعج الممثل الشاب كثيراً، فقد كان وجهه شاحباً متجعداً. قال وهو يصافحنا: يا إلهي! هذا عمل فظيع يا سيد بوارو. لقد صدمت صدمة عنيفة، ومع ذلك لا أستطيع القول إنني فوجئت. توقعت أن يحدث شيء مثل هذا... أنت تذكر قولي ذلك لك يوم أمس؟

قال بوارو: بالطبع، بالطبع. أتذكّر تماماً ما قلته لي أمس. دعني أقدمك للمفتش جاب المسؤول عن هذه القضية.

نظر بريان مارتن إلى بوارو نظرة تأنيب وهمس: لم أكن أعرف. كان يجب أن تنبهني لهذا.

أومأ برأسه للمفتش ببرود، وجلس وقد زمّ شفتيه بقوة. قال

معترضاً: لا أفهم سبب طلبك مني الحضور إلى هنا؛ فأنا ليست لي علاقة بكل هذا.

قال بوارو بلطف: أظن أن ثمة علاقة، ففي جريمة قتل كهذه يجب على المرء أن يضع أحقاده الخاصة وراءه.

- لا، لا. لقد مثّلت مع جين. أعرفها جيداً، فهي صديقتي.

قال بوارو بقوة: ومع ذلك، فعندما سمعت بمقتل اللورد إدجوير قفزت فوراً إلى نتيجة مفادها أنها هي التي قتلته.

جفل الممثل: "هل تريد أن تقول...؟"، وجحظت عيناه جحوظاً بارزاً: هل تريد أن تقول إنني مخطئ وإنها لا علاقة لها بالجريمة؟

تدخّل جاب قائلاً: لا، لا يا سيد مارتن. لقد فعلتها دون شك.

جلس الشاب على كرسيه مرة أخرى وهمس: ظننت في البداية أنني ارتكبت خطأ فاحشاً.

قال بوارو حازماً: في مسألة من هذا النوع يجب أن لا تدع الصداقة تؤثر فيك.

- حسناً، ولكن...

- هل تريد يا صديقي أن تضع نفسك في صف امرأة ارتكبت جريمة قتل؟ إن القتل أبشع جرائم الإنسانية.

تنهد بريان مارتن: أنت لا تفهمني تماماً. إن جين ليست مجرمة عادية، إنها لا تميز بين الخطأ والصواب... هي غير مسؤولة.

قال جاب: هذه مسألة يقررها المحلفون.

قال بوارو بلطف: هيّا، هيّا. لم يكن الأمر وكأنك كنت تتهمها، فهي في موضع الاتهام أصلاً. لا يمكنك أن ترفض إخبارنا بما تعرفه؛ عليك واجبٌ نحو المجتمع -أيها الشاب- يجب أن تؤديه.

تنهّد بريان مارتن وقال: أعتقد أنك على حق، ما الذي تريدني أن أخبركم به؟

نظر بوارو إلى جاب. سأله جاب: هل سمعت الليدي إدجوير تصدر تهديدات ضد زوجها؟

- نعم، مرات عدة.

- ماذا قالت؟

- قالت: إن لم يعطها حريتها فإنها ستتخلص منه.

- وهل كان ذلك مزاحاً؟

- لا. أظن أنها كنت تعني ما تقوله. قالت ذات مرة إنها ستأخذ سيارة أجرة وتذهب لكي تقتله. ألم تسمع هذا يا سيد بوارو؟

كان ينظر إلى بوارو نظرة مثيرة للشفقة، وأومأ بوارو بالإيجاب.

واصل جاب أسئلته: عرفنا -يا سيد مارتن- أنها كانت تريد الطلاق لكي تتزوج رجلاً آخر. هل تعرف من هو هذا الرجل؟

أومأ بريان برأسه.

قال جاب: من يكون؟

- إنه دوق ميرتون.

قال المفتش بحدة: دوق ميرتون؟ آه! إنها طموحة جداً، أليس كذلك؟ يقال إنه أحد أغنى الرجال في إنكلترا.

أومأ بريان برأسه، ولم أستطع فهم موقف بوارو بالضبط؛ فقد استند إلى ظهر الكرسي مشبكاً بين أصابعه، وحركة رأسه الإيقاعية توحي برضاه التام كالذي يضع شريطاً في مسجل ويستمتع بما يسمعه.

- أما كان زوجها سيطلقها؟

- لا، لقد رفض ذلك رفضاً قاطعاً.

- هل أنت واثق من هذا الأمر كحقيقة لا شك فيها؟

- نعم.

قال بوارو وهو يتدخل في الحديث فجأة: والآن فأنت ترى كيف دخلتُ في هذا الموضوع أيها الطيب جاب. لقد طلبتْ الليدي إدجوير مني أن أقابل زوجها وأحاول إقناعه بالموافقة على الطلاق، وقد أخذت موعداً منه لهذا الصباح.

هز بريان مارتن رأسه وقال واثقاً: لم يكن ذلك سيفيد، لم يكن إدجوير ليوافق أبداً.

قال بوارو وهو ينظر إليه نظرة ودّ: ألا تظن ذلك؟

- أنا واثق من ذلك. كانت جين تعرف ذلك من كل قلبها، وهي لم تكن واثقة تمام الثقة بأنك ستنجح في مهمتك، فهي كانت قد فقدت الأمل لعناد الرجل في مسألة الطلاق.

ابتسم بوارو، وظهرت عيناه فجأة أكثر اخضراراً وهو يقول بهدوء: إنك مخطئ يا عزيزي. لقد رأيت اللورد إدجوير أمس، وقد وافق على الطلاق.

لم يكن من شك بأن هذا الخبر قد صعق بريان مارتن تماماً. كان يحدق إلى بوارو وعيناه تكادان تقفزان خارج رأسه. غمغم قائلاً: أنت... أنت رأيته أمس؟

قال بوارو بأسلوبه المنهجي: ووافق على الطلاق.

صاح الشاب مؤنباً: ووافق على الطلاق؟! كان يجب أن تخبر جين على الفور.

- لقد فعلت ذلك يا سيد مارتن.

صاح مارتن وجاب معاً: فعلت ذلك؟!

ابتسم بوارو وهو يقول بهدوء: هذا يضعف الدافع قليلاً، أليس كذلك؟ والآن يا سيد مارتن، دعني ألفت انتباهك إلى هذا.

أراه خبر الصحيفة، فقرأه بريان بغير كبير اهتمام وقال: هل تعني أن هذا يُعَدّ دليلاً على براءتها؟ أظن أن إدجوير قد قُتل بالمسدس في وقت ما من مساء أمس.

قال بوارو: لقد طعن ولم يقتل بالرصاص.

وضع مارتن الصحيفة على الطاولة ببطء، وقال حزيناً: أخشى أن هذا لن يفيد، فجين لم تذهب إلى ذلك العشاء.

- وكيف عرفت؟

- لقد أخبرني شخص بذلك، ولا أذكر الآن من هو.

قال بوارو متأملاً: هذا أمر مؤسف.

نظر جاب إليه نظرة استغراب وقال: لا أستطيع فهمك يا سيد بوارو. يبدو أنك حريص على أن لا تظهر هذه المرأة مذنبة.

- لا، لا يا صديقي. أنا لستُ متعاطفاً معها كما تظن، ولكن القضية تبدو -بصراحة- منافية للمنطق كما تعرضها.

- ما الذي تقصده بأنها منافية للمنطق؟ إنها لا تنافي عقلي.

رأيت الكلمات وهي تتراقص فوق شفتي بوارو، لكنه كتمها. وبدلاً من ذلك قال: عندنا امرأة شابة تريد -كما تقول- التخلص من زوجها. هذه نقطة لا أجادل فيها؛ فقد أخبرتني بذلك صراحة. حسناً، كيف تفعل ذلك؟ لقد كررت عدة مرات وبصوت مرتفع وواضح أمام شهود بأنها تفكر في قتله، ثم تخرج بعد ذلك ذات أمسية وتزور

بيته وتكشف عن نفسها ثم تطعنه وتذهب. ماذا تسمي هذا يا صديقي الطيب؟ هل هذا العمل من الفطر السليمة؟

- كان عملاً أحمق بالطبع.

- أحمق؟ إنه الجنون بعينه!

قال جاب وهو ينهض: حسناً، عندما يفقد المجرمون عقولهم يكون ذلك من مصلحة الشرطة. يجب أن أعود إلى السافوي الآن.

- هل تأذن لي بمرافقتك؟

لم يُبْدِ جاب أي اعتراض، فانطلقنا وتركنا بريان مارتن كارهاً. كان يبدو في حالة عصبية سيئة، وقد رجانا بإلحاح أن نبلغه أي تطور يحدث في القضية.

قال جاب: "إنه عصبي المزاج"، ووافقه بوارو.

وجدنا في فندق السافوي رجلاً وصل لتوه كأنه من رجال القانون، وذهبنا جميعاً إلى جناح جين. تحدث جاب إلى أحد رجاله سائلاً باقتضاب: هل حدث شيء؟

- أرادت استعمال الهاتف!

قال جاب بلهفة: مَن الذي اتصلت به؟

- اتصلت تطلب ثوب حداد.

دخلنا الجناح، وكانت الأرملة الليدي إدجوير تجرب القبعات

أمام المرآة وهي تلبس لباس حداد كما كان يظهر في الأفلام القديمة. حيتنا بابتسامة مشرقة: "سيد بوارو، جميل منك أن تأتي بسرعة"، ثم خاطبت محاميها: سيد موكسون، أنا مسرورة لمجيئك، اجلس إلى جانبي وأخبرني عن الأسئلة التي يجب الرد عليها. يبدو أن هذا الرجل يعتقد بأنني خرجت وقتلت جورج هذا الصباح.

قال جاب: بل الليلة الماضية يا مدام.

- لكنك قلت هذا الصباح، الساعة العاشرة.

- قلت: العاشرة مساء.

-حسناً، لا أعرف أيهما: صباحاً أم مساءً.

قال المفتش متجهماً: إن الساعة الآن العاشرة تقريباً.

فتحت جين عينيها بدهشة وهمست: هذه نعمة! لقد مرت سنوات دون أن أستيقظ في وقت مبكر كهذا. لا بد أنك جئت إلى هنا وقت الفجر.

قال السيد موكسون بصوته الرسمي المضجر: لحظة أيها المفتش، متى حدثت تلك الجريمة المذهلة؟

- نحو الساعة العاشرة ليلة أمس يا سيدي.

قالت جين متحمسة: "هذا جميل. كانت هناك حفلة... آه!"، ثم غطت فمها فجأة وقالت: ربما كان يجب أن لا أقول هذا.

كانت تنظر بعينيها إلى المحامي نظرات استغاثة وخوف. أجابها

المحامي: إن كنت الساعة العاشرة ليلة أمس موجودة في حفلة، ليدي إدجوير، فلا أرى أي مانع من أن تبلغي المفتش بهذه الحقيقة... لا مانع إطلاقاً.

قال جاب: هذه صحيح. لقد طلبت منك فقط أن تبلغيني عن تحركاتك مساء أمس.

- أنت لم تفعل هذا. لقد قلت شيئاً كالساعة العاشرة صباحاً، وعلى أية حال فقد أصبتني بصدمة عنيفة. لقد أغمي عليّ يا سيد موكسون.

- ماذا بخصوص هذه الحفلة ليدي إدجوير؟

- كانت في منزل السير مونتاغو كورنر، في تشيسويك.

- متى ذهبت إلى هناك؟

- كان العشاء في الساعة الثامنة والنصف.

- ومتى تركت الفندق؟

- تحركتُ بحدود الثامنة، ونزلت في فندق البيكاديلي بالاس لفترة قصيرة لأودّع صديقة أمريكية كانت ستغادر إلى الولايات المتحدة، السيدة فان دوزين، ووصلت إلى تشيسويك في التاسعة إلاّ ربعاً.

- ومتى غادرت؟

- الساعة الحادية عشرة والنصف تقريباً.

- هل جئت إلى هنا مباشرة؟

- نعم.

- في سيارة أجرة؟

- لا، بسيارتي الخاصة. استأجرتها من شركة ديملر.

- وعندما كنتِ في حفل العشاء، ألم تغادري؟

- حسناً، لقد...

- إذن أنت فعلاً تركت العشاء؟

كان ذلك مثل كلب صغير ينقض على فأر.

- لا أفهم ما تقصده. لقد نادوني للرد على الهاتف عندما كنّا على العشاء.

- من الذي اتصل بك؟

- أظن أنها كانت حيلة، سمعت صوتاً يقول: "أأنت الليدي إدجوير؟"، وقلت "نعم، هذا صحيح"، ثم سمعت أصوات ضحك على الجهة الأخرى ووُضعت السماعة.

- هل ذهبت خارج البيت للاتصال؟

فتحت جين عينيها من الدهشة: بالطبع لا.

- كم غبت عن طاولة العشاء؟

- نحو دقيقة ونصف.

توقف جاب بعد ذلك. كنت مقتنعاً تماماً أنه لم يصدق كلمة واحدة مما قالته، ولكن بعد أن سمع روايتها لم يكن بإمكانه فعل أي شيء آخر إلا أن يؤكد أو ينفي أقوالها هذه. وما لبث أن خرج بعد أن شكرها ببرود، وهممنا نحن كذلك بالمغادرة ولكنها نادت بوارو: سيد بوارو، هلاّ خدمتني قليلاً؟

- بالتأكيد يا مدام.

- أرسل برقية باسمي إلى الدوق في باريس. إنه موجود في فندق كريلون ويجب أن يعرف هذا الأمر، وأن لا أحب أن أرسلها بنفسي إذ أظن أن عليّ أن أبدو أرملة مسكينة أسبوعاً أو أسبوعين.

قال بوارو بهدوء: لا حاجة لإرسال برقية يا مدام؛ سيظهر الخبر في الصحف هناك.

- أنت ذكي! سينشر في الصحف بالطبع. من الأفضل أن لا نرسل برقية. أحس أن الأمر يرجع إليّ في المحافظة على مظهري الحالي حتى يسير كل شيء على ما يرام. أريد أن أقوم بالدور المطلوب من الأرملة؛ فهو نوع من الاحترام. فكرت في إرسال إكليل زهور وأظن أن عليّ الذهاب إلى الجنازة. ما رأيك؟

- ستذهبين إلى التحقيق أولاً يا مدام.

- أظن ذلك صحيحاً.

وفكرت قليلاً ثم أضافت: لا أحب مفتش سكوتلانديارد هذا على الإطلاق. لقد أرعبني يا سيد بوارو!

- حقاً؟

- يبدو أنني محظوظة لأنني غيرت رأيي وذهبت إلى حفل العشاء.

كان بوارو ذاهباً إلى الباب، وفجأة التفت عندما سمع هذه الكلمات: ما هذا الذي تقولينه يا مدام؟ هل غيرت رأيك؟

- نعم، كنت أعتزم عدم حضور العشاء؛ فقد كنت أعاني من صداع شديد بعد ظهر أمس.

تلفظ بوارو بكلمات غير واضحة، وبدا أنه يجد صعوبة في الكلام، ثم سألها أخيراً: هل... هل قلت هذا لأي شخص؟

- قلت ذلك بالتأكيد. كنّا مجموعة كبيرة نتناول الشاي وأرادوا منّي أن أذهب معهم لحفل ورفضت. قلت لهم إن رأسي يؤلمني بشكل فظيع وإنني سأذهب إلى البيت وسأتغيب عن حفل العشاء.

- وما الذي جعلك تغيرين رأيك يا مدام؟

- أصرّتْ علي إليس؛ قالت إنني لا أستطيع رفض الدعوة، فالسير مونتاغو العجوز ذو نفوذ قوي ونزوات غريبة، وهو سريع الغضب. ولم أهتم بذلك، فعندما أتزوج ميرتون سأتخلص من كل هذا. لكن إليس (التي تأخذ جانب الحذر دائماً) قالت إن عقبات قد تحول دون تحقيق هذا الزواج، وقد رأيت أنها كانت على حق. على أية حال فقد ذهبت.

قال بوارو جاداً: لا بد أنك تدينين لأليس بكثير من الامتنان يا مدام.

- أظن ذلك. لقد سجل المفتش كل هذا الحديث على شريط، أليس كذلك؟

ضحكتُ، لكن بوارو لم يضحك، وقال بصوت منخفض: ومع ذلك فإن هذا يجعل المرء يفكر كثيراً... نعم، يفكر كثيراً.

صاحت جين: إليس.

وجاءت الخادمة من الغرفة المجاورة، فخاطبتها جين قائلة: لقد قال السيد بوارو إنني محظوظة جداً لأنك جعلتِني أذهب إلى الحفلة الليلة الماضية.

نظرت إليس إلى بوارو عابسة ومستاءة: ليس من اللائق الإخلال بالمواعيد يا سيدتي، إنك تحبين ذلك كثيراً، ولكن الناس لا يغفرون ذلك دائماً، وهم يكرهون من يفعل هذا.

التقطت جين القبعة التي كانت تجربها عندما دخلنا وجربتها ثانية، ثم قالت حزينة: أكره الأسود، لم ألبسه من قبل أبداً، لكنني أظن أن عليّ الاعتياد عليه كوني أرملة أراعي التقاليد، كل هذه القبعات مخيفة جداً. اتصلي بمحل القبعات الآخر يا إليس، فأنا أحب أن يراني الناس بمظهر لائق.

وانسحبتُ مع بوارو من الغرفة بهدوء.

* * *

الفصل السابع
السكرتيرة

لم نحسّ بغياب جاب الذي عاد بعد ساعة تقريباً وألقى بقبعته على الطاولة وقال إنه يائس تماماً.

قال بوارو متعاطفاً: هل قمت بالاستعلام؟

أومأ جاب برأسه عابساً، وهدد قائلاً: "إنها لم ترتكب الجريمة ما لم يكن أربعة عشر شخصاً يكذبون عليّ". ثم أكمل: أصارحك -يا سيد بوارو- بأنني كنت أتوقع أن أجد أن العمل مدبر. من حيث الظاهر لا أجد شخصاً سواها يُحتمَل أن يكون قد قتل اللورد إدجوير. إنها الإنسانة الوحيدة التي لديها دافع لذلك.

- لا أعتقد ذلك. هلاّ أكملت؟

- حسناً، كما قلت: فقد كنت أتوقع وجود عمل مدبر، فأنت تعرف هؤلاء الممثلين... إنهم يتحدون جميعاً لحماية صديق لهم. ولكن هذه قضية مختلفة؛ فالناس الذين كانوا هناك الليلة الماضية كانوا جميعاً من علية القوم ولم يكن أحد منهم صديقاً قريباً لها، بل

إن بعضهم لم يكن يعرف البعض الآخر، وشهادتهم -لذلك- مستقلة وموثوقة. كنت أرجو أن أكشف أنها قد انسلّت خارج البيت نصف ساعة أو قريباً من ذلك. كان يمكنها أن تفعل ذلك بسهولة: تدّعي أنها تريد وضع مساحيق على وجهها أو أي عذر آخر شبيه، ولكن لا، فقد تركت الطاولة فعلاً -كما أخبرتنا- لكي ترد على مكالمة هاتفية، لكن كبير الخدم كان معها. وعلى فكرة، حدث ما قالته لنا؛ فقد سمع ما قالته: "نعم، صحيح؛ أنا الليدي إدجوير". ثم وضع الطرف الآخر السماعة. هذا أمر غريب. ليس لهذا أي علاقة بالأمر.

- ربما لا، لكنه مثير للاهتمام. هل كان الذي اتصل بها رجلاً أم امرأة؟

- أظن أنها قالت إنها امرأة.

قال بوارو متأملاً: غريب!

قال جاب وقد نفد صبره: هذا لا يهم. دعنا نرجع إلى الجزء المهم، فقد سار كل شيء في تلك الليلة كما قالت بالضبط: وصلت هناك الساعة التاسعة إلاّ ربعاً وغادرت الساعة الحادية عشرة والنصف وعادت إلى هنا ثانية الساعة الثانية عشرة إلاّ ربعاً. لقد رأيت السائق الذي أوصلها، إنه أحد العاملين في شركة ديملر، وقد رآها العاملون في فندق السافوي وهي تدخل، وأكدوا على الوقت.

- هذا جيد... يبدو مقنعاً للغاية.

- إذن فماذا عن أولئك الذين رأوها في ريجنت غيت؟ لم يكن رئيس الخدم وحده هو الذي رآها، بل سكرتيرة اللورد إدجوير

أيضاً. إنهما يقسمان بأن الليدي إدجوير هي التي جاءت إلى البيت الساعة العاشرة.

- كم مضى على وجود كبير الخدم هناك؟

- ستة أشهر، وهو -بالمناسبة- شاب وسيم.

- نعم، فعلاً. هذا جيد يا صديقي، إن كان يعمل هناك منذ ستة أشهر فقط فإنه لا يستطيع التعرف إلى الليدي إدجوير لأنه لم يكن قد رآها من قبل.

- إنه يعرفها من صورها في الصحف. وعلى أية حال فقد كانت السكرتيرة تعرفها، إنها تعمل مع اللورد إدجوير منذ خمس سنوات أو ست سنوات وهي الوحيدة التي كانت متأكدة تماماً.

- آه! أريد رؤية السكرتيرة.

- حسناً، لِمَ لا تأتي معي الآن؟

- شكراً لك يا صديقي؛ سأكون مسروراً من ذلك. أرجو أن تشمل هيستنغز في دعوتك هذه.

ابتسم جاب وقال عبارة لم أستسغها: لِمَ لا؟ «فحيثما يذهب السيد يتبعه كلبه»!

ثم قال: هذه تذكرني بقضية إليزابث كانينغ. هل تتذكرها؟ كيف أن نحو عشرين شاهداً من الجانبين أقسموا بأنهم رأوا الغجرية ماري سكوايرز في مكانين مختلفين من إنكلترا. كانوا شهوداً معروفين

بسمعتهم الجيدة أيضاً، كما أن أي امرأة لم تكن تشبهها بوجهها البشع ذاك. لم يتم كشف ذلك اللغز أبداً، والأمر هنا مشابه كثيراً لتلك الحالة. لدينا هنا كثير من الأشخاص المحايدين مستعدون للقسم بأن المرأة كانت موجودة في مكانين مختلفين في آن واحد. أيهم يقول الحقيقة؟

- كان يجب أن لا يكون اكتشاف ذلك صعباً.

- هذا برأيك. لكن تلك المرأة، الآنسة كارول، كانت تعرف الليدي إدجوير حق المعرفة. أعني أنها كانت تعيش معها في البيت من آنٍ لآخر، ولا يُحتمَل أن تخطئ في التعرف إليها.

- سنرى ذلك عمّا قريب.

سألتُه: من سيرث عنه اللقب؟

- ابن أخيه، الكابتن رونالد مارش. إنه منغمس في ملذاته كما فهمت.

سأله بوارو: ماذا يقول الطبيب في وقت الوفاة؟

- علينا أن ننتظر التشريح حتى نتأكد بالضبط، لكن الساعة العاشرة تنسجم مع الواقع تماماً. آخر مرة شوهد فيها حياً كانت بعد التاسعة ببضع دقائق عندما ترك طاولة العشاء واتجه إلى المكتبة، وفي الساعة الحادية عشرة كانت غرفته معتمة عندما اتجه كبير الخدم إلى النوم، ولذلك لا بد أنه كان ميتاً في ذلك الوقت، لأنه لن يجلس في المكتبة في الظلام.

أومأ بوارو برأسه متأملاً. وانطلقنا -بعد لحظات- إلى البيت الذي كانت ستائره مسدلة في هذا الوقت، حيث فتح لنا الباب كبير الخدم الوسيم ذاته.

دخل جاب أمامنا، وتبعته أنا وبوارو، وكان الخادم قد فتح الباب من جهته اليسرى ووقف وظهره إلى الحائط في ذلك الجانب، ولما كان بوارو عن يميني وهو أصغر حجماً مني فإن الخادم لم يَرَهُ إلاّ بعد أن دخلنا إلى الصالة، ولأنني كنت قريباً منه فقد سمعت شهيقه المفاجئ ورأيته يحدق ببوارو والخوف بادٍ على وجهه. وحاولت أن أُبعد هذه الواقعة عن تفكيري، رغم أنها كنت جديرة بالملاحظة.

سار جاب نحو غرفة الطعام التي كانت عن يميننا وأمر كبير الخدم أن يتبعه. ثم قال: والآن، يا ألتون، أريدك أن تسرد لي ذلك ثانية وبحرص شديد. هل كانت الساعة العاشرة عندما جاءت هذه السيدة؟

- الليدي؟ نعم يا سيدي.

سأله بوارو: كيف عرفتها؟

- هي أخبرتني عن اسمها يا سيدي، وبالإضافة إلى ذلك فقد رأيت صورها في الصحف، كما أنني رأيتها وهي تمثل أيضاً.

أومأ بوارو برأسه، وسأل جاب: ماذا كانت تلبس؟

- كانت تلبس الأسود يا سيدي، ثوباً أسود فضفاضاً وقبعة صغيرة سوداء، وكانت تلبس عقداً من اللؤلؤ وقفازين رماديين.

نظر بوارو إلى جاب نظرة فيها تساؤل. وتابع الخادم روايته، وكانت تتفق تماماً مع الرواية التي سردها جاب علينا. سأله بوارو: هل جاء أحد آخر وقابل سيدك في ذلك المساء؟

- لا يا سيدي.

- كيف كان الباب الأمامي مغلقاً؟

- إنني -في العادة- أغلق المزلاج عندما أذهب للنوم (وذلك نحو الساعة الحادية عشرة)، ولكني تركته دون إغلاق في الليلة الماضية لأن الآنسة جيرالدين كانت في الأوبرا.

- وكيف وجدته في الصباح؟

- كان مغلقاً يا سيدي؛ فقد أغلقته الآنسة جيرالدين عندما دخلت.

- متى دخلتْ؟ هل تعرف؟

- أظن أن ذلك كان في الساعة الثانية عشرة إلاّ ربعاً تقريباً.

- إذن فلم يكن ممكناً فتح الباب من الخارج بلا مفتاح، أما من الداخل فكان من الممكن فتحه -بسهولة- بواسطة إدارة مقبض الباب، وذلك خلال المساء كلّه حتى الثانية عشرة إلاّ ربعاً.

- نعم يا سيدي.

- كم مفتاحاً للمزلاج كان موجوداً هنا؟

- كان للّورد مفتاحه الخاص يا سيدي، ويوجد مفتاح آخر في درجٍ في الصالة أخذته الآنسة جيرالدين معها ليلة البارحة، ولا أعرف إن كانت توجد مفاتيح أخرى.

- ألا يوجد مفتاح مع أي شخص آخر في البيت؟

- لا يوجد يا سيدي؛ فالآنسة كارول تقرع دائماً.

لمّح بوارو بأن ذلك كان كل ما رغب بالسؤال عنه، وذهبنا نبحث عن السكرتيرة، فوجدناها مشغولة بالكتابة على مكتب ضخم.

كانت الآنسة كارول امرأة جميلة مرحة، بحدود الخامسة والأربعين من عمرها، قد بدأ الشيب يخالط شعرها الأشقر، وقد وضعت نظارة أنفية لمعت تحتها عيناها الزرقاوان الثاقبتان، وعندما تكلمَتْ عرفتُ صوتها الواضح المتكلف الذي كانت تتحدث به معي على الهاتف. قالت بعد أن قدمنا جاب لها: السيد بوارو... نعم؛ كان الموعد الذي حددته صباح أمس معك.

- بالضبط يا آنسة.

لا بد أنها أثارت إعجاب بوارو؛ فقد كانت مثالاً للدقة والتنظيم. قالت: حسناً -حضرةَ المفتش جاب- ما الذي يمكنني فعله؟

- نريد أن نسألك فقط إن كنت متأكدة تماماً من أن الليدي إدجوير هي التي جاءت إلى هنا الليلة الماضية؟

- هذه هي المرة الثالثة التي تسألني فيها هذا السؤال. أنا متأكدة بالطبع؛ لقد رأيتها.

قال بوارو: أين رأيتِها يا آنسة؟

- في الصالة. لقد تحدثتُ مع كبير الخدم دقيقة ثم عبرَتُ الصالة وفتحت باب المكتبة ودخلت.

- وأين كنتِ وقتها؟

- في الطابق الأول، أنظرُ إليها من أعلى.

- وهل أنت متأكدة أنك لم تكوني مخطئة؟

- دون شك؛ لقد رأيت وجهها بوضوح.

- أليس من الممكن أن يكون قد تم تضليلك بواسطة واحدة تشبهها؟

- أبداً؛ فأوصاف جين ويلكنسون مميزة، لقد كانت هي نفسها.

نظر جاب إلى بوارو وكأنه يريد أن يقول: "أرأيت"؟

سألها بوارو فجأة: هل كان للّورد إدجوير أي أعداء؟

- هذا هراء.

- ماذا تقصدين بقولك هذا يا آنسة؟

- أعداء! الناس ليس لهم أعداء في هذه الأيام.

- ومع ذلك فقد قُتل اللورد إدجوير.

- قتلته زوجته.

- أليست الزوجة عدواً؟

- أنا متأكدة من أن هذا الذي حدث أمر غير طبيعي على الإطلاق. لم أسمع عن حدوث مثل هذا الأمر أبداً؛ أقصد بالنسبة لأي شخص من طبقتنا الاجتماعية.

كان واضحاً أن فكرة الآنسة كارول هي أن المجرمين الذين يرتكبون جرائم القتل يجب أن يكونوا من السُّكارى الذين ينتمون إلى الطبقات الدنيا.

- كم عدد مفاتيح الباب الأمامي؟

أجابت الآنسة كارول على الفور: اثنان. كان اللورد إدجوير يحمل معه واحداً دائماً، وأما الآخر فكان يُحفَظ في دُرجٍ في الصالة لكي يأخذه أي واحد يريد أن يتأخر خارج البيت، وكان يوجد مفتاح ثالث لكن الكابتن مارش أضاعه، إنه يتّسم بعدم المبالاة.

- هل يأتي الكابتن مارش إلى البيت كثيراً؟

- كان يعيش هنا حتى ثلاث سنوات مضت.

سألها جاب: ولماذا ترك البيت؟

- لست واثقة تماماً، ولكن أحسب أنه لم ينسجم تماماً مع عمّه.

قال بوارو بهدوء: أعتقدُ أنك تعرفين أكثر من هذا قليلاً يا آنسة.

نظرت إليه نظرة خاطفة وقالت: لست ثرثارة يا سيد بوارو.

- لكنك تستطيعين إخبارنا بالحقيقة المتعلقة بالإشاعات عن الخلاف الكبير بين اللورد إدجوير وابن أخيه.

- لم يكن الخلاف كبيراً كما تظن؛ فاللورد إدجوير كان رجلاً صعب المراس ليس من السهل الانسجام معه.

- حتى أنتِ وجدت هذا؟

- لا أتكلم عن نفسي، فأنا لم أختلف مع اللورد إدجوير أبداً؛ فقد كان يجدني دائماً محل ثقة.

- ولكن بالنسبة للكابتن مارش...

أصر بوارو على هذا الموضوع وشجعها بهدوء لتكشف معلومات أكثر. هزّتْ الآنسة كارول كتفيها وقالت: كان مبذراً فأغرق نفسه في الديون، وكانت بينهما مشكلة أخرى لا أعرف طبيعتها بالضبط. لقد تشاجرا، وقد حظر عليه دخول البيت... هذا كل ما أعرفه.

أغلقت فمها بقوة، وكان واضحاً أنها لا تريد أن تقول مزيداً.

كانت الغرفة التي قابلناها فيها في الطابق الأول، وعندما غادرنا الغرفة سحبني بوارو من ذراعي وقال: انتظر دقيقة واحدة، ابقَ هنا

يا هيستنغز من فضلك. سأنزل أنا مع جاب، راقب إلى أن ندخل المكتبة ثم تعال إلينا.

مضى عليّ وقت طويل منذ تخليت عن توجيه أسئلة لبوارو تبدأ بكلمة «لماذا؟»؛ تماماً مثل الجيش: «لا تهتم بالسؤال لماذا، ولكن اهتم بالعمل أو الموت»! على أية حال لم يصل الأمر -لحسن الحظ- إلى الموت، وخمنت أنه ربما شك في أن كبير الخدم كان يتجسس عليه وأراد أن يتأكد من شكّه.

وقفت هناك أنظر من فوق الدرج، وذهب بوارو وجاب إلى الباب الأمامي أولاً بعيداً عن نظري، ثم عادا وظهرا ثانية وهما يسيران ببطء في الصالة. تابعت النظر إلى ظهرَيْهما إلى أن دخلا إلى المكتبة، وانتظرت دقيقة فيما لو ظهر كبير الخدم ولكن لم تكن هناك إشارة على وجود أي شخص، ولذلك نزلت الدرج ركضاً وانضممت إليهما.

كانت الجثة قد رُفعت من مكانها بالطبع، وكانت الستائر مسدلة والغرفة مضاءة، فيما وقف بوارو وجاب وسط الغرفة ينظران حولهما.

قال جاب: "لا شيء هنا"، وردّ بوارو مبتسماً: للأسف! لا يوجد أثر قدم، ولا قفاز سيدة، ولا حتى بقايا رائحة عطر! لا شيء ممّا يجده رجل التحري في القصص البوليسية!

قال جاب مبتسماً: الشرطة يُصوَّرون دائماً في القصص البوليسية على أنهم عميان كالخفافيش.

الفصل العاشر

جيني درايفر

كان عملنا التالي هو زيارة الطبيب الذي أعطتنا الخادمة عنوانه، وقد وجدناه رجلاً عجوزاً ثرثاراً غير واضح في حديثه. كان قد سمع عن بوارو وأظهر متعة شديدة في التقائه مباشرة. ثم سأل بعد هذه المقدمة: وما الذي يمكنني فعله لك يا سيد بوارو؟

- لقد استُدعيتَ صباح هذا اليوم إلى شقة الآنسة كارلوتا آدمز.

- آه، نعم. إنها فتاة مسكينة، كما كانت ممثلة ذكية أيضاً. لقد حضرت عروضها مرتين. أمر محزن جداً أن تنتهي هذه النهاية. لا أعرف لماذا تتناول الفتيات هذه المخدرات!

- إذن فأنت تعتقد أنها كانت مدمنة على المخدرات؟

- لا أجزم بذلك من الناحية الطبية، على أية حال فلم تكن تأخذها تحت الجلد؛ فلا آثار للحقن على جلدها. من الواضح أنها كانت تأخذها عن طريق الفم. الخادمة قالت إنها نامت نوماً طبيعياً،

لكن الخادمات لا يعرفن الحقيقة أبداً، أظن أنها كانت تتناول الفيرونال كل ليلة، ومن الواضح أنها كانت تأخذها من مدة طويلة.

- ما الذي حملك على هذا الاعتقاد؟

- هذا... أين وضعت ذلك الشيء؟

كان يبحث في حقيبة صغيرة، وأخيراً قال: "آه! ها هي". وأخرج حقيبة يد صغيرة سوداء مراكشية وهو يقول: سيجري تحقيق بالطبع، ولذا أحضرت هذه معي حتى لا تعبث بها الخادمة.

فتح الطبيب الحقيبة وأخرج منها علبة ذهبية صغيرة مكتوباً عليها بأحجار الياقوت الحرفان «ك.أ». كانت علبة قيّمة، وفتحها الطبيب، فإذا بها مليئة بالمسحوق الأبيض. أوضح باختصار: فيرونال. انظر إلى ما كتب في الداخل.

كان محفوراً على غطاء العلبة من الداخل: «إلى ك.أ من د. باريس، العاشر من تشرين الثاني. أحلام سعيدة».

- حسناً، ونحن الآن في حزيران، وهذا يوضح أنها معتادة على تناول هذا المخدر منذ ستة أشهر على الأقل، ولأن السنة غير مكتوبة فقد تكون ثمانية عشر شهراً أو سنتين ونصفاً، أو غير ذلك...

قال بوارو عابساً: باريس، د؟

- نعم. هل يعني هذا لك شيئاً؟ على فكرة، فأنا لم أسألك عن سر اهتمامك بهذه القضية. لا بد أن لديك أسباباً مقنعة، أظن أنك تريد أن تعرف إن كانت الحادثة انتحاراً أم لا؟ الحقيقة أنني لا أعرف،

ولا أحد يستطيع أن يعرف. حسب أقوال الخادمة كانت الآنسة آدمز مرحة تماماً بالأمس. إنه يبدو حادثاً غير مقصود؛ فالفيرونال مادة غامضة، ويمكنك أن تتناول منه كمية كبيرة جداً دون أن يقتلك ويمكن أن تتناول كمية قليلة جداً وتموت، ولهذا فهو يعتبر عقاراً خطيراً. لا أشك في أنهم سيعتبرونها وفاة عرضية في التحقيق. أخشى أنني لا أستطيع مساعدتك أكثر من ذلك.

- هل لي أن أفحص حقيبة الآنسة الصغيرة؟

- بالتأكيد، بالتأكيد.

أخرج بوارو محتويات الحقيبة الصغيرة. كان بداخلها منديل ناعم مكتوب على زاويته الحروف «ك.م.أ» وأحمر شفاه وورقة نقدية من فئة الجنيه وبعض القطع النقدية الصغيرة ونظارة طبية.

تفحص بوارو النظارة باهتمام، كانت مطلية بالذهب وذات شكل بسيط من النوع الذي يلبسه الأكاديميون. قال: غريب! لم أعرف أن الآنسة آدمز كانت تلبس نظارة... ربما كانت للقراءة؟

رفعها الطبيب لينظر إليها، ثم قال مؤكداً: لا؛ هذه نظارات تلبس عند الخروج من البيت وعدساتها قوية جداً، لا بد أن الشخص الذي يلبسها يعاني من قصر شديد في النظر.

- أنت لا تعرف إن كانت الآنسة آدمز...

- لم أعالجها من قبل أبداً. لقد استُدعيتُ مرة لمعاينة إصبع الخادمة المتسمم، ثم لم أذهب إلى الشقة أبداً بعد ذلك. لقد

رأيت الآنسة آدمز في تلك المرة لحظة واحدة وكانت دون نظارة بالتأكيد.

شكر بوارو الطبيب وغادرنا. كانت ملامح الحيرة بادية على بوارو واعترف قائلاً: ربما أكون مخطئاً.

- بخصوص انتحال الشخصية؟

- لا، لا. يبدو لي أن هذا أكيد. أقصد بالنسبة لوفاتها؛ فمن الواضح أنها كانت تحتفظ بالفيرونال بحوزتها، ومن المتحمل أنها كانت مرهقة ومتعبة الليلة الماضية وعزمت على الراحة.

ثم وقف فجأة ساكناً (وهو ما أدهش المشاة بجانبه) وضرب كفاً بكف وصاح مؤكداً: لا، لا! لم يحدث ذلك الحادث بمثل هذا التوافق! لم يكن حادثاً عرضياً، لم يكن انتحاراً. كلا، لقد أدت دورها وبعملها هذا وقعتْ شهادة وفاتها، وربما تم اختيار الفيرونال لأنها -ببساطة- عُرفت بتناوله من وقت لآخر، ولأنها كانت تحتفظ بتلك العلبة في حقيبتها. ولكن، إن كان هذا صحيحاً فلا بد أن يكون القاتل شخصاً يعرفها جيداً. من يكون -يا هيستنغز- الشخص المرموز له بالحرف «د» على العلبة الذهبية؟ إنني مستعد لدفع أي مبلغ لمعرفة من يكون.

ولم يزل بوارو واقفاً مستغرقاً في التفكير فقلت له: بوارو، أليس من الأفضل أن نواصل مسيرنا؟ إن الجميع ينظرون إلينا بدهشة.

- أنت محق، برغم أنه لا يضايقني أن يحدق الناس فينا. ذلك لا يقطع تسلسل أفكاري على أية حال.

همست: لقد بدأ الناس يضحكون.

- هذا غير مهم.

لم أوافقه على ما قاله. كنت أخاف من ارتكاب أي فعل ينافي الذوق، أما بوارو فالشيء الوحيد الذي يمكن أن يخيفه هو احتمال أن تؤثر الرطوبة أو الحرارة في شاربه الشهير.

قال بوارو وهو يلوح بعصاه: سنأخذ سيارة أجرة.

أشرنا إلى سيارة، وطلب بوارو من سائقها الذهاب إلى محل جنيفيف في شارع موفات.

* * *

ظهر أن المحل كان واحداً من تلك المحلات التي تعرض في واجهتها الزجاجية في الطابق السفلي قبعات وأوشحة غريبة الشكل. وحيث أن الورشة تقع في الطابق العلوي، فقد كانت رائحة العفن تفوح من الدرج.

بعد أن صعدنا الدرج وصلنا إلى باب مكتوب عليه: «جنيفيف. مرحباً بالزوار». وبعد أن دخلنا وجدنا أنفسنا في غرفة صغيرة مليئة بالقبعات بينما جاءت امرأة شقراء مهيبة تنظر إلى بوارو بارتياب.

سألها بوارو: الآنسة درايفر؟

- لا أعرف إن كانت تستطيع رؤيتك. ماذا تريد من فضلك؟

أرجو أن تخبري الآنسة درايفر أن صديقاً للآنسة آدمز يريد رؤيتها.

لم تكن للحسناء الشقراء حاجة للاستمرار في هذه المهمة؛ فقد أزيحت ستارة مخملية سوداء بقوة وخرجت منها امرأة صغيرة الحجم حمراء الشعر متقدة الحيوية، وسألت قائلة: ماذا في الأمر؟

- هل أنت الآنسة درايفر؟

- نعم، ماذا قلتَ عن كارلوتا؟

- هل سمعت الأخبار المحزنة؟

- أية أخبار محزنة؟

- لقد ماتت الآنسة آدمز وهي نائمة الليلة الماضية... تناولت جرعة زائدة من الفيرونال.

اتسعت عينا الفتاة وصاحت: يا له من أمر بغيض! كارلوتا المسكينة؟ لا أصدق ذلك. لقد كانت تمتلئ أمس نشاطاً وحيوية.

قال بوارو: ومع ذلك فالخبر صحيح. الساعة الآن الواحدة، وأرجو أن تشرفيني بقدومك معي ومع صديقي لتناول الغداء؛ فأنا أريد أن أسألك بعض الأسئلة.

نظرت الفتاة إليه من أعلى إلى أسفل. كانت مخلوقة صغيرة الحجم تبدو كلاعبة ملاكمة، وقد ذكرتني بكلب صيد صغير. سألته بفظاظة: من أنت؟

- اسمي هيركيول بوارو، وهذا صديقي الكابتن هيستنغز.

انحنيت لها، وراحت تنقل نظرها بيننا نحن الاثنين، ثم قالت فجأة: لقد سمعت باسمك، سآتي معك.

نادت الشقراء: دوروثي؟

- نعم، جيني.

- ستأتي السيدة ليستر بعد قليل بخصوص طراز ديسكارت الذي نخيطه لها. جربي معها قبعات الريش الأخرى. وداعاً، لا أظن أنني سأتأخر كثيراً.

أخذت قبعة صغيرة سوداء وثبتتها على إحدى أذنيها، ووضعت على أنفها مسحوقاً، ثم نظرت إلى بوارو وهي تقول: أنا جاهزة.

كنا نجلس -بعد ذلك بخمس دقائق- في مطعم صغير في شارع دوفر. قالت جيني درايفر: والآن، أريد أن أعرف معنى هذا كله، ما الذي كانت كارلوتا تورط نفسها فيه؟

- إذن فقد كانت تورط نفسها في شيء يا آنسة؟

- من الذي سيوجه الأسئلة، أنت أم أنا؟

قال بوارو مبتسماً: كانت فكرتي أن أقوم أنا بذلك. لقد أُخبرت بأنك كنت صديقة حميمة للآنسة آدمز.

- صحيح.

- جيد، إذن أريد منك -يا آنسة- أن تقبلي تأكيدي المتواضع

على أن ما أفعله هو في صالح صديقتك المتوفاة. أؤكد لك أن هذا صحيح.

مرت لحظات من الصمت عندما كانت جيني درايفر تفكر في هذه المسألة، وفي النهاية أومأت برأسها إيماءة سريعة علامة على موافقتها وهي تقول: أصدّقك. تفضل، ما الذي تريد معرفته؟

- فهمت -يا آنسة- أن صديقتك قد تناولت الغداء معك أمس.

- هذا صحيح.

- هل أخبرتْك عن خططها الليلة الماضية؟

- لم تذكر الليلة الماضية بالذات.

- لكنها قالت شيئاً؟

- لقد ذكرت شيئاً قد يكون هو الذي تريد الوصول إليه الآن... وأنتبهك إلى أنها كانت تتكلم في أمور شخصية.

- هذا مفهوم.

- حسناً، دعني أفكّر قليلاً. أعتقد أنه من الأفضل أن أشرح الأمور بكلماتي الخاصة.

- أرجوك يا آنسة.

- حسناً... كانت كارلوتا منفعلة، رغم أنها قليلاً ما تنفعل، فهي ليست من هذا النوع من الناس. وهي قد لمّحت إلى أنها لا تستطيع

الحديث صراحةً عما كان يسبب لها الانفعال، حيث قد وعدت أن لا تفعل، ولكن كان واضحاً أنها تخفي شيئاً ما... شيئاً أظن أنه يتعلق بخدعة كبيرة.

- خدعة؟

- هذا ما قالته. لم تقل كيف أو متى أو أين. إنما فقط...

سكتت وهي تعبس، ثم أكملت قائلة: حسناً؛ إن كارلوتا ليست من النوع الذي يستمتع بالمزاح السمج أو الخدع أو أشياء كهذه، فهي فتاة جادة عميقة التفكير. ما أعنيه هو أن شخصاً ما دفعها لهذا العمل المثير، وأعتقد... هذا هو اعتقادي وليس شيئاً قالته لي، أرجو أن لا يلتبس عليك الأمر.

- نعم، نعم، أفهم هذا تماماً. ما الذي كنتِ تعتقدينه؟

- أظن... بل إني متأكدة... أن الأمر يتعلق بالمال بشكل أو بآخر. الحق أنه لم يكن شيء ليثير كارلوتا غير المال؛ فقد كانت مجبولة على ذلك. لقد منحها الله واحداً من أفضل العقول في أمور العمل، ولم يكن يثيرها أو يرضيها إلا المال. كان الأمر يتعلق بمبلغ كبير من المال، وأظنها كانت تراهن على شيء ما، وكانت متأكدة تماماً أنها ستفوز. ومع ذلك لم يكن هذا صحيحاً تماماً، أقصد أن كارلوتا لم تكن من الذين يراهنون... لم أعرف عنها ذلك أبداً. وعلى أية حال فأنا واثقة من أن الأمر يتعلق بالمال.

- هل قالت ذلك بالفعل؟

- لا. قالت فقط إنها ستكون قادرة على فعل هذا وذاك في المستقبل القريب، وكانت تريد أن تحضر أختها الصغيرة من أمريكا لتلتقي بها في باريس. لقد كانت تحبها كثيراً... هذا كل ما أعرفه. هل هذا ما تريده؟

أومأ بوارو برأسه: نعم، هذا يؤكد نظريتي. ولكني أعترف بأنني كنت أؤمل نفسي بمزيد. لقد توقعت أن تكون الآنسة آدمز ميّالة إلى السرية، لكنني رجوت أنها -بحكم كونها امرأة- لن تمانع بكشف هذا السر لأفضل صديقاتها.

اعترفت جيني: لقد حاولت استدراجها لتبوح لي بذلك، لكنها ضحكت وقالت إنها ستخبرني بالأمر يوماً ما.

سكت بوارو لحظة ثم قال: هل تعرفين اسم اللورد إدجوير؟

- ماذا؟ الرجل الذي قتل؟ لقد قرأت اسمه في ملصق قبل نصف ساعة.

- نعم. هل تعرفين إن كانت الآنسة آدمز تعرفه أم لا؟

- لا أظن ذلك... بل أنا متأكدة أنها لم تكن تعرفه. آه! انتظر دقيقة.

قال بوارو متلهفاً: نعم يا آنسة؟

قالت: "ما هو ذاك؟"... قطبت جبينها وعقدت حاجبيها وهي تحاول أن تتذكر، ثم قالت: نعم، تذكرت الآن. لقد ذكرته مرة بمرارة شديدة.

- مرارة؟

- نعم، قالت... ماذا قالت؟ إن رجلاً كهذا يجب أن لا يُسمَح له بتدمير حياة الآخرين بسبب وحشيته وعدم تفهمه. وقالت... نعم، لقد قالت إنه من النوع الذي يكون موته حدثاً جميلاً للجميع.

- متى قالت هذا يا آنسة؟

- أظن أن ذلك كان قبل نحو شهر.

- كيف تطرقتما إلى هذا الموضوع؟

حاولت جيني درايفر أن تتذكر لبعض الوقت لكنها هزت رأسها في النهاية وقالت: لا أستطيع أن أتذكر. ذُكر اسمه على نحو غير متوقع، وقد يكون ذلك في الصحيفة. على أية حال أتذكّر أنني استغربت حماسة كارلوتا الشديدة وحنقها على رجل لم تكن تعرفه.

وافقها بوارو متأملاً: "أمر غريب بالتأكيد"، ثم سألها: هل تعرفين إن كانت الآنسة آدمز معتادة على تناول الفيرونال أم لا؟

- لا أعرف هذا. لم أرها أبداً تتناوله أو تذكر أنها تتعاطاه.

- هل رأيت في حقيبتها علبة ذهبية صغيرة مكتوباً عليها بالزمرّد الحرفان «ك.أ» ؟

- علبة ذهبية صغيرة؟ لا؛ أنا واثقة من أنني لم أرها.

- هل يمكن أن تعرفي أين كانت الآنسة آدمز في تشرين الثاني الماضي؟

- دعني أتذكر. أعتقد أنها عادت إلى أمريكا في تشرين الثاني، في نهاية الشهر وقبل ذلك التاريخ كانت في باريس.

- وحدها؟

- بالطبع وحدها! آسفة... ربما لم تكن تقصد ذلك. لا أعرف لماذا يوحي أي ذكر لباريس دائماً بالأسوأ؟ إنه في الحقيقة مكان جميل ومحترم. لكن كارلوتا لم تكن من النوع الذي يقضي عطلة نهاية الأسبوع في الأسفار، إن كان هذا ما تريد أن تصل إليه.

- أريد أن أسألك سؤالاً مهماً جداً يا آنسة: هل من رجل كانت تهتم به الآنسة آدمز اهتماماً خاصاً؟

قالت جيني ببطء: الإجابة على ذلك هي: «لا». لقد كانت كارلوتا -منذ عرفتها- مهتمة بعملها وأختها الرقيقة. كانت تحسّ أنها المسؤولة عن العائلة وأن جميع أفراد الأسرة يعتمدون عليها، وكانت تؤمن بهذا بقوة. ولذلك فإن الإجابة هي: لا...

- آه! وهل هذه إجابة تامة؟

- لن أتعجب إذا كانت كارلوتا غير مهتمة بأي رجل في الفترة الأخيرة.

- آه!

- أذكّرك بأن هذا تخمين من جانبي فقط. كنت مفتونة بسلوكها. لقد كانت مختلفة، لم تكن حالمة تماماً ولكن شاردة الذهن، وكانت

تبدو مختلفة إلى حد ما. آه! لا أستطيع شرح ذلك. إنه شيء تشعر به امرأة أخرى، وبالطبع قد أكون مخطئة في هذا تماماً.

أومأ بوارو برأسه وقال: شكراً لك يا آنسة. شيء آخر: هل للآنسة آدمز صديقة أخرى يبدأ اسمها بالحرف «د»؟

قالت جيني درايفر متأملة: د، د؟ لا، أنا آسفة. لا أعرف أي واحدة يبدأ اسمها بهذا الحرف.

* * *

الفصل الحادي عشر
المرأة الأنانية

لا أظن أن بوارو كان يتوقع لسؤاله إجابة غير هذه، ومع ذلك هز رأسه بحزن واستغرق في تفكير عميق. مالت جيني درايفر إلى الأمام وذراعاها على الطاولة وقالت: والآن، هل ستقول لي أي شيء؟

قال بوارو: يا آنسة، قبل كل شيء دعيني أهنئك. كانت إجاباتك عن أسئلتي ذكية بطريقة فريدة. من الواضح أنك ذكية يا آنسة، والآن تسألين إن كنت سأخبرك بأي شيء، وإجابتي عن ذلك أنني لن أخبرك بالكثير... سأخبرك ببضع حقائق مجردة فقط يا آنسة.

سكت ثم قال بهدوء: لقد قُتل اللورد إدجوير في مكتبه في البيت الليلة الماضية، وقد جاءت إلى البيت الساعة العاشرة مساء أمس سيدة أظن أنها صديقتك الآنسة آدمز، وطلبت رؤية اللورد إدجوير زاعمةً أنها الليدي إدجوير. كانت تلبس باروكة ذهبية وانتحلت شخصية الليدي إدجوير الحقيقية التي (ربما تعلمين) هي السيدة جين ويلكنسون الممثلة. بقيت الآنسة آدمز (إن كانت هي المرأة...) بضع

لحظات فقط، ثم تركت البيت في الساعة العاشرة وخمس دقائق، لكنها لم تعد إلى بيتها إلى ما بعد منتصف الليل، حيث ذهبت إلى النوم بعد أن تناولت جرعة زائدة من الفيرونال. أظن أنك فهمت الآن -يا آنسة- مغزى بعض أسئلتي التي كنت أسألك إياها.

سحبت جيني نفساً عميقاً وقالت: نعم، فهمت الآن. أظن أنك على حق يا سيد بوارو. أقصد أنك على حق بأن المرأة كانت كارلوتا، لسبب واحد على الأقل؛ وهو أنها اشترت مني أمس قبعة جديدة.

- قبعة جديدة؟

- نعم؛ قالت إنها تريد قبعة تغطي الجانب الأيسر لوجهها.

هنا لا بد لي أن أكتب بضع كلمات للتوضيح لأنني لا أعرف متى ستُقرأ كلماتي هذه. لقد رأيت كثيراً من أنواع القبعات في زمني: القبعة المائلة إلى الأمام، والقبعة الملتصقة بمؤخرة الرأس، وكثيراً من الأشكال الأخرى. وفي شهر حزيران هذا بالذات كانت القبعة الدارجة على شكل طبقِ شُرْبةٍ مقلوب وكانت تُلبس ملتصقةً بإحدى الأذنين تاركةً جانب الوجه الآخر والشعرَ مكشوفين.

سألها بوارو: هذه القبعات توضع عادة على الجانب الأيمن من الرأس، أليس كذلك؟

أومأت الخياطة الصغيرة برأسها وأوضحت: لكننا نحتفظ ببضع قبعات من تلك التي توضع على الجانب الأيسر من الوجه، لأن فريقاً من النساء يفضّلْنَ كشف جانب وجههن الأيمن على الأيسر، كما أنّ منهن المعتادات على فرق الشعر على أحد الجانبين فقط.

ولكن، هل كان من سبب خاص لطلب كارلوتا قبعة تغطي جانب وجهها الأيسر؟

تذكرت أن باب البيت في ريجنت غيت كان يفتح جهة اليسار، ولذلك فإن أي شخص يدخل سيراه الخادم من ذلك الجانب كاملاً. وتذكرت -أيضاً- أن جين ويلكنسون (كما لاحظت الليلة الماضية) كانت لها شامة صغيرة على طرف عينها اليسرى.

قلت ذلك منفعلاً، ووافقني بوارو وهو يومئ برأسه متحمساً: إنه كذلك، إنه كذلك. هذا تفكير سليم تماماً، نعم، هذا يوضح سبب شرائها تلك القبعة.

انتصبت جيني في جلستها فجأة وقالت: سيد بوارو؟ هل تعتقد أن كارلوتا هي الفاعلة؟ أقصد أنها قتلته. هل تعتقد ذلك؟ لا يمكن أن يكون ذلك لمجرد أنها تكلمت عنه كلاماً مريراً.

- لا أعتقد ذلك. لكن الأمر غريب... أقصد كونها قالت مثل هذا الكلام. أريد أن أعرف سبب هذا. ما الذي فعله؟ ما الذي عرفته عنه لتتحدث بهذه الطريقة؟

- لا أعرف، لكنها لم تقتله. لقد كانت... آه، كانت مستقيمة جداً.

أومأ بوارو مستحسناً كلامها: نعم، نعم، هذا كلام جميل. إنها نقطة سيكولوجية، وأنا أوافقك على ذلك، هذه كانت جريمة علمية.

- علمية؟

- لقد عرف القاتل أين يغرس سكينه بالضبط حتى تصل إلى العصب الذي يتوسط قاعدة الجمجمة حيث يتصل بالحبل الشوكي.

قالت جيني متأملة: هذا يظهر وكأن الفاعل طبيب.

- هل كانت الآنسة آدمز تعرف أي طبيب؟ أقصد هل كان لها صديق يعمل طبيباً؟

هزت جيني رأسها نافية: لم أسمع عن واحد أبداً، ليس هنا على أية حال.

- سؤال آخر: هل كانت الآنسة آدمز تلبس نظارة أنفية؟

- نظارة؟ أبداً.

قطب بوارو حاجبيه، ثم سأل: على فكرة، هل كانت الآنسة آدمز تعرف بريان مارتن الممثل السينمائي؟

- نعم. كانت تعرفه منذ كانت طفلة كما أخبرتني، ومع ذلك لا أظن أنها كانت تراه كثيراً. لعلها كانت تلقاه على فترات متباعدة، وقد خبرتْني أنه مغرور جداً.

نظرت إلى ساعتها وصاحت: يا إلهي! يجب أن أذهب على عجل. هل أفدتك في شيء يا سيد بوارو؟

- نعم، سأطلب منك مساعدة أخرى عما قريب.

- أنا رهن إشارتك. لقد خطط شخص هذا العمل الوحشي ويجب أن نعرف من هو.

ابتسمت فجأة وتركتنا مسرعة. وقال بوارو بعد أن دفع الفاتورة: شخصية مثيرة!

قلت: إنني معجب بها.

- رائع جداً أن نلتقي بصاحبة عقل ذكي.

قلت متأملاً: ربما كانت قاسية قليلاً، فسماعها خبر وفاة صديقتها لم يسبب لها أية صدمة كما كنت أتوقع.

وافق بوارو بجدية: إنها ليست من النوع الذي ينهار بالتأكيد.

- هل حصلتَ على ما كنت ترجوه من هذا اللقاء؟

هز رأسه: لا. كنت آمل... كنت آمل كثيراً في الحصول على مفتاح لكشف شخصية «د» التي أهدتها العلبة الذهبية الصغيرة، وقد فشلت في هذا. ولسوء الحظ كانت كارلوتا آدمز فتاة متحفظة، لم تكن تثرثر عن أصدقائها أو علاقاتها. ومن ناحية أخرى قد لا يكون الشخص الذي اقترح عليها الخدعة صديقاً لها على الإطلاق. ربما كان مجرد شخص اقترح هذا العمل عليها (على أساس الرهان دون شك) مقابل الحصول على مال. ربما شاهد هذا الشخص العلبة الذهبية التي كانت تحملها معها وانتهز فرصة ليكشف ما كانت تحتويه.

- ولكن كيف جعلها تتناوله؟ ومتى؟

- مضى وقت كان باب الشقة فيه مفتوحاً، عندما خرجت الخادمة لتضع الرسالة في البريد... ولكن هذا لا يقنعني؛ فهو يعتمد كثيراً على المصادفة. على أية حال، لننطلق الآن إلى العمل؛ فما زال لدينا أمران يجب أن نتحرى عنهما.

- وما هما؟

- الأول هو المكالمة الهاتفية مع ذلك الرقم المحلي. يبدو لي أنه من الممكن أن تكون كارلوتا آدمز قد اتصلت بذلك الرقم عند عودتها لتبلغ نجاحها في المهمة. ولكن، من ناحية أخرى، أين كانت ما بين الساعة العاشرة وخمس دقائق ومنتصف الليل؟ ربما كانت على موعد مع الشخص الذي حملها على تلك الخدعة، وفي تلك الحالة قد تكون المكالمة الهاتفية مع صديق.

- وما هو الأمر الثاني؟

- آه! هذا هو ما آمل منه خيراً، الرسالة يا هيستنغز... الرسالة التي أرسلتها لأختها. من المحتمل (أقول: من المحتمل فقط) أنها ذكرت فيها عملها الذي عملته كله، ولم تكن ستعتبر هذا نقضاً لعهدها حيث أن الرسالة لم تكن ستقرأ قبل أسبوع وفي بلد غير هذا البلد.

- إن كان هذا صحيحاً فإنه أمر مذهل!

- لا يجب أن نبني كثيراً على هذا يا هيستنغز. إنها فرصة وهذا كل ما في الأمر. لا، يجب أن نعمل الآن بادئين من الطرف الآخر.

- وماذا تعني بالطرف الآخر؟

- دراسة دقيقة لهؤلاء الذين يربحون من وفاة اللورد إدجوير مهما كان ذلك الربح.

قلت: وأولهم ابن أخيه وزوجته...

أضاف بوارو: والرجل الذي أرادت الليدي أن تتزوجه.

- الدوق؟ إنه في باريس.

- صحيح، لكنك لا تستطيع أن تنكر أنه طرف مستفيد. ثم العاملون في البيت: كبير الخدم وبقية الخدم. من يعرف الأحقاد التي يكنونها له؟ لكني -شخصياً- أعتقد أن نقطة الهجوم الأولى لنا يجب أن تنطلق من مقابلة أخرى مع الآنسة جين ويلكنسون. إنها داهية، وقد تكون قادرة على الإيحاء لنا بشيء.

* * *

مرة أخرى اتجهنا إلى السافوي حيث وجدنا السيدة محاطة بالعلب ومناديل الورق بينما كانت الأجواخ السوداء ملقاة على المقاعد. بدت جين مستغرقة في التفكير وقد ظهرت عليها ملامح الجد، وكانت ما زالت تجرب قبعة صغيرة سوداء أمام المرآة.

- سيد بوارو؟ تفضل بالجلوس، هذا إن كان هنا أي شيء يمكنك أن تجلس عليه. إليس، ارفعي الملابس عن بعض الكراسي.

- مدام، إنك تبدين فاتنة!

بدت جين جادة: لا أريد لعب دور المرأة المنافقة يا سيد بوارو، ولكن يجب عليّ أن أراعي المشاعر العامة، ألا تعتقد ذلك؟ أقصد أنه يجب عليّ التزام الحذر. على فكرة، لقد تلقيت برقية من الدوق.

- من باريس؟

- نعم، من باريس. برقية حذرة بالطبع ويفترض أن تكون برقية عزاء ومواساة، لكنني أستطيع قراءة ما بين سطورها.

- أهنئك يا مدام.

أطبقت يديها وخفضت صوتها الأجش: سيد بوارو، لقد كنت أفكر... كل شيء يبدو معجزة، ها أنا ذا قد انتهت مشكلاتي كلها! لا قلق بعد الآن من موضوع الطلاق ولا متاعب. لقد خلا طريقي الآن وكل شيء أصبح سالكاً... هذا يشعرني بالرهبة!

نظر بوارو إليها وقد أمال رأسه قليلاً على أحد الجانبين. كانت جادة تماماً. قال: هل ترين الأمر هكذا يا مدام؟

قالت جين هامسة: الأمور تسير على ما يرام بالنسبة لي. لقد فكرت وفكرت في الآونة الأخيرة في مسألة موت إدجوير، وها هو ذا قد مات. كأنما... كأنما جاء ذلك استجابة لدعائي.

تنحنح بوارو وقال: لا أستطيع القول إنني أنظر إلى الأمر كما تنظرين إليه يا مدام؛ فشخصٌ ما قد قتل زوجك.

أومأت برأسها: بالطبع.

- ألم يخطر ببالك أن تتساءلي: من هو ذلك الشخص؟

حدقت إليه وقلت: وهل يهم هذا؟ أقصد: ما علاقة هذا بالأمر؟ أستطيع الزواج بالدوق خلال أربعة أشهر أو خمسة تقريباً...

ضبط بوارو نفسه بصعوبة: نعم يا مدام، أعرف هذا. ولكن عدا ذلك ألم يخطر لك أن تسألي نفسك مَن قتل زوجك؟

قالت وقد بدا أنها قد فوجئت بهذه الفكرة: لم أفكر بذلك.

سألها بوارو: ألا يهمك أن تعرفي؟

- ليس كثيراً. أظن أن الشرطة سيكشفون الأمر. إنهم أذكياء جداً، أليس كذلك؟

- هذا ما يقال. أنا أيضاً سأجعل من مهمتي كشف الفاعل.

- حقاً؟ كم هو غريب!

- ولماذا غريب؟

- لا أعرف.

أعادت نظراتها إلى الملابس، وبسرعة لبست معطفاً من الساتان ونظرت الى نفسها في المرآة. سألها بوارو وعيناه تطرفان: هل تمانعين في ذلك؟

- بالطبع لا يا سيد بوارو؛ بل أحب أن تستخدم ذكاءك لكشف الفاعل وأتمنى لك كل النجاح.

- مدام، أريد منك أكثر من التمنيات... أريد رأيك.

قالت جين وهي شاردة تميل رأسها على كتفها: رأيي؟ بماذا؟

- من تظنين قاتل اللورد إدجوير؟

هزت جين رأسها: ليست عندي أية فكرة!

لوت كتفيها وهي تجرب الملابس ثم أمسكت بالمرآة اليدوية. قال بوارو بصوت مرتفع وشديد: **مدام! من تظنين أنه قتل زوجك؟**

هذه المحاولة نجحت؛ فقد نظرت جين إليه نظرة خوف وقالت: أظن أنها جيرالدين.

- من هي جيرالدين؟

لكن جين حولت نظرها ثانية وهي تقول: إليس، ارفعي هذا عن كتفي الأيمن قليلاً. نعم يا سيد بوارو؟ جيرالدين هي ابنته. لا يا إليس، الكتف الأيمن... هذا أفضل. آه! هل يجب أن تذهب يا سيد بوارو؟ إنني شاكرة لك كثيراً لكل شيء عملته... أقصد موضوع الطلاق. سأذكر دائماً أنك شخص رائع.

* * *

الفصل الثاني عشر
الابنة

عندما عدنا إلى شقتنا وجدنا على الطاولة رسالة أرسلت باليد. أخذها بوارو وفتحها بدقته المعهودة ثم ضحك وقال: ماذا تقول في هذه يا هيستنغز؟

أخذت منه الرسالة التي حملت خاتم المنزل ١٧ ريجنت غيت، وكانت مكتوبة بخط يد مميز تسهل قراءته. وقرأت تلك الرسالة الغريبة:

سيدي العزيز،

سمعت أنك كنت في البيت هذا الصباح مع المفتش، وأنا شديدة الأسف لأن الفرصة فاتتني للحديث معك. سأكون ممتنة لك كثيراً لو خصصت لي من وقتك بضع دقائق لرؤيتك في أي وقت من بعد ظهر اليوم، إن كان هذا مناسباً لك.

المخلصة: جيرالدين مارش.

قلت: غريب! لماذا تريد رؤيتك يا ترى؟

- هل غريب أنها تود رؤيتي؟ إنك غير مهذب يا صديقي.

كانت لبوارو عادة تثير الغيظ، وهي المزاح في اللحظة غير المناسبة. وقال وهو يمسح ذرة غبار تخيل وجودها على قبعته: "سنذهب إلى هناك على الفور يا صديقي"، ثم وضع القبعة على رأسه. وقلت له: جين ويلكنسون زعمت أن جيرالدين قد تكون قتلت أباها، وهذا الزعم يبدو لي سخيفاً. إن هذا رأي لا يقول به غير امرئ ناقص العقل.

- عقل... عقل؟ ماذا نعني -حقيقةً- بهذا المصطلح؟ إنكم تقولون في لغتكم إن لجين ويلكنسون عقل أرنب، وهذا مصطلح يُقصد به الحط من قدر الموصوف، ولكن فكّرْ في الأرنب قليلاً: إنه موجود ويتكاثر، أليس كذلك؟ وهذا -بعرف الطبيعة- علامة على التفوق العقلي. إن الليدي إدجوير الجميلة لا تعرف التاريخ أو الجغرافيا ولا حتى قواعد الأدب والفن دون شك، ولكن عندما تأتي مسألة اختيار الملابس والزواج المصلحي وشق طريقها الخاص فإن نجاحها يكون غير عادي. إن رأي الفيلسوف في مسألة قتل اللورد إدجوير لن يفيدني، وإن يكن الباعث على القتل من وجهة نظر الفيلسوف ذا فائدة عظيمة، ولأن من الصعب تقرير ذلك فإن قليلاً من الفلاسفة يكونون مجرمين. لكن رأياً لامبالياً من الليدي إدجوير قد يكون مفيداً لي؛ لأن وجهة نظرها ستكون مادية ومرتكزة على معرفة الجانب الأسوأ في الطبيعة البشرية.

قلت موافقاً: ربما كان في هذا شيء من الصحة.

- ها قد وصلنا. إنني متشوق لمعرفة السبب في رغبة الفتاة برؤيتي.

قلت مستاء: إنها رغبة طبيعية. لقد قلت ذلك قبل ربع ساعة... الرغبة الطبيعية في رؤية شيء فريد عن قرب.

وأجابني بوارو وهو يقرع جرس الباب: قد تكون أنت الذي أثار إعجابها أول أمس يا صديقي.

تذكرت الذعر الذي لاح في وجه الفتاة وهي تقف عند مدخل الباب. كنت لا أزال أرى عينيها السوداوين المتقدتين ووجهها الشاحب. لقد أحزنتني نظرتها تلك إلى حدٍّ بعيد.

طُلِب إلينا أن نصعد إلى الطابق العلوي حيث غرفة استقبال كبيرة، وبعد لحظات جاءت جيرالدين مارش. وفي تلك اللحظة تعمّق في ذهني انطباعي السابق عن هذه الفتاة الطويلة النحيلة ذات الوجه الشاحب والعينين السوداوين الكبيرتين.

كانت هادئة بالنسبة لصغر سنها لدرجة ملفتة للنظر. قالت: جميل منك أن تأتي على الفور يا سيد بوارو، وأنا آسفة لأنني لم أرك هذا الصباح.

- هل كنت نائمة بالطابق السفلي؟

- نعم، لقد أصرت عليّ الآنسة كارول، سكرتيرة والدي، لفعل ذلك، وقد كانت لطيفة معي للغاية.

كانت في صوت الفتاة نبرة حقد غريبة حيرتني. وقال بوارو متسائلاً: كيف يمكنني خدمتك يا آنسة؟

ترددت دقيقة ثم قالت: في اليوم الذي سبق مقتل والدي، جئتَ لرؤيته، أليس كذلك؟

- بلى يا آنسة.

- لماذا؟ هل أرسل في طلبك؟

لم يجبها بوارو على الفور، بل تظاهر بالتفكير العميق، وأظن أنها كنت حركة ذكية محسوبة من طرفه؛ فقد أراد حثها على الحديث أكثر. لقد أدرك أنها كانت من النوع غير الصبور وتريد إنجاز كل شيء بسرعة خاطفة.

سألت: هل كان خائفاً من شيء؟ أخبرني... أخبرني... يجب أن أعرف. ممّن كان خائفاً؟ لماذا؟ ما الذي قاله لك؟ آه! لماذا لا تتكلم؟

كنت متأكداً -منذ البداية- أن هدوءها الظاهر لم يكن طبيعياً، وها هو الآن قد فارقها. مالت إلى الأمام وهي تفرك يديها بطرف ثوبها بعصبية واضحة.

قال بوارو ببطء: الذي جرى بيني وبين اللورد إدجوير كان سراً.

ولم تبرح عيناه وجهها أبداً!

- إذن فقد كان بخصوص... أقصد؛ لا بد أنه كان شيئاً يتعلق بالعائلة. أنت تجلس هنا وتعذبني. لماذا لا تخبرني؟ من الضروري أن أعرف... ضروري.

مرة أخرى هز بوارو رأسه ببطء وكان واضحاً أنه يريد زيادة حيرتها. انتصبت في جلستها وقالت: سيد بوارو، أنا ابنته، ومن حقي أن أعرف ما الذي كان والدي يخشاه قبيل وفاته؟ ليس من العدل أن تتركني حائرة، ولم يكن من حقه أن لا يخبرني.

سألها بوارو بلطف بالغ: إذن هل كنت تحبين والدك كثيراً يا آنسة؟

تراجعت للوراء وكأنها صعقت، وهمست قائلة: أحبه؟ أحبه؟ إنني... إنني...

وفجأة انهارت وفقدت القدرة على ضبط نفسها، وبدأت تضحك ضحكات مدوية. استندت بظهرها إلى الكرسي وهي تضحك وتضحك، ثم قالت لاهثة: إن سؤالك هذا مضحك جداً... مضحك جداً!

ولم تمرّ تلك الضحكات الهستيرية دون أن يسمعها أحد، فقد فُتح الباب ودخلت الآنسة كارول الصلبة القديرة وهي تقول: اهدئي! جيرالدين... عزيزتي، هذا لن يفيد. لا، لا. اسكتي، أرجوك توقفي. إنني أعني ما أقول... توقفي على الفور.

كانت توجيهاتها مفيدة؛ فقد خفتت ضحكات جيرالدين

ومسحت عينيها، ثم جلست منتصبة وهي تعتذر بصوت منخفض: أنا آسفة، لم يحصل معي مثل هذا من قبل.

كانت الآنسة كارول لا تزال تنظر إليها بقلق.

- أنا على ما يرام الآن آنسة كارول، كان ذلك حمقاً مني.

ابتسمت فجأة ابتسامة غريبة مريرة، وجلست على كرسيها دون أن تنظر إلى أحد، وقالت بصوت فاترٍ واضح النبرات: لقد سألني إن كنت أحب والدي كثيراً...

أصدرت الآنسة كارول صوتاً غامضاً يدل على حيرتها، وواصلت جيرالدين حديثها وقد ارتفع صوتها وبدأت تتكلم بازدراء: ترى هل من الأفضل أن أقول الحقيقة أم أن أروي الأكاذيب؟ الحقيقة أنني لم أكن أحب والدي بل كنت أكرهه.

- جيرالدين، عزيزتي...

- لماذا التظاهر؟ أنتِ لم تكرهيه لأنه لم يسبب لك الأذى. كنتِ واحدةً من القلائل في العالم الذين لم يستطع النيل منهم، وقد نظرتِ إليه كصاحب عمل يدفع لك راتباً سنوياً مجزياً. لم يكن اهتياجه أو شذوذه ليثير اهتمامك، بل كنت تتجاهلين ذلك. أعرف ما ستقولينه: "على كل واحد أن يتحمل أشياء". كنتِ غيرَ مهتمة، وكنت امرأة قوية جداً. إنك لست -في الحقيقة- كائناً بشرياً... ويمكنك أن ترحلي عن البيت في أي وقت تشائين، أما أنا فلم أكن أستطيع ذلك لأنني أسكن هنا.

- لا أعتقد أن الحديث في هذا الموضوع ضروري يا جيرالدين. إن الآباء لا ينسجمون مع بناتهم في الغالب، لكني عرفت أنه كلما كان الكلام أقل في هذه الحياة كان ذلك أفضل.

أدارت جيرالدين ظهرها لها وبدأت تخاطب بوارو: سيد بوارو، كنت أكره والدي، وأنا مسرورة لأنه مات؛ فهذا يعني لي الحرية... الحرية والاستقلال. لست مهتمة أبداً بمعرفة قاتله؛ لأننا نعرف أن الشخص الذي قتله قد تكون له دوافع عديدة تبرر عمله هذا.

نظر بوارو إليها متأملاً: مبدأ خطير هذا الذي تعتنقينه يا آنسة!

- هل شنق شخص آخر سيعيد الحياة إلى والدي؟

قال بوارو ببرود: لا، ولكنه ينقذ أرواح أناس أبرياء آخرين من القتل.

- لا أفهم.

- الشخص الذي يقتل مرة -يا آنسة- يقتل ثانية، وأحياناً مرات أخرى كثيرة.

- لا أصدق هذا. هذا لا ينطبق على الشخص الطبيعي.

- تقصدين الشخص الذي لم يُصَبْ بهوس القتل؟ نعم، هذا صحيح. قد يرتكب شخصٌ جريمةَ قتل بعد صراع عنيف مع ضميره، ثم -عندما يهدده الخطر- تكون جريمة القتل الثانية أكثر سهولة له من الناحية الأخلاقية، وعندما يشك بوجود أدنى تهديد يرتكب الثالثة،

وشيئاً فشيئاً ينشأ عنده غرور بنفسه، ويصبح القتل صنعته، وفي نهاية المطاف يفعل ذلك من أجل المتعة.

كانت الفتاة تخفي وجهها بيديها: مخيف... مخيف. هذا ليس صحيحاً.

- افترضي أنني أخبرتك أن ذلك حدث فعلاً؛ أي أن المجرم قد قتل مرة أخرى لكي ينقذ نفسه!

صاحت الآنسة كارول: ما هذا يا سيد بوارو؟! جريمة قتل أخرى؟ أين؟ مَن؟

هز بوارو رأسه بلطف: كان مجرد توضيح فقط، أرجو المعذرة.

قالت جيرالدين: "آه! فهمت، لقد اعتقدت لبعض الوقت..."، ثم قالت بسرعة: لا أؤمن بعقوبة الموت، وإلاّ فأنا أؤيدك بالتأكيد. يجب حماية المجتمع.

نهضت ورفعت شعرها عن جبينها وهي تقول: آسفة. أخشى أنني أخدع نفسي. ألا زلت ترفض إخباري لماذا استدعاك والدي؟

قالت الآنسة كارول بدهشة كبيرة: استدعاه؟!

- إنك تسيئين فهمي آنسة مارش؛ لم أرفض إخبارك.

أُجبر بوارو الآن على الحديث المكشوف: كنت أفكر إلى أي حد كان ذلك اللقاء معه سرياً. والدك لم يستدعِني بل أنا طلبتُ لقاءه نيابة عن موكل لي، وذلك الموكل هو الليدي إدجوير.

- آه! فهمت.

ظهرت ملامح غير طبيعية على وجه الفتاة. ظننت -في البداية- أنها ملامح خيبة الأمل، ثم رأيت أنها كانت ملامح ارتياح. قالت ببطء: كنت حمقاء! ظننت أن والدي اعتقد بأنه معرض للخطر، كان ذلك غباء مني.

قالت الآنسة كارول: لقد صدمتَني تماماً الآن يا سيد بوارو عندما قلت إن تلك المرأة قد ارتكبت جريمة أخرى.

ولم يردّ بوارو عليها، بل تكلم مع الفتاة قائلاً: هل تعتقدين -يا آنسة- أن الليدي إدجوير هي التي ارتكبت الجريمة؟

هزت رأسها نافية: لا، لا أعتقد ذلك؛ لا أتصور أنها تفعل شيئاً كهذا.

قالت الآنسة كارول: لا أرى غيرها يمكن أن يقوم بتلك الفَعلة، كما أنني أعتقد أن أمثالها من النساء يفتقرن إلى أي إحساس أخلاقي.

جادلتها جيرالدين: لا حاجة لأن تكون هي الفاعلة. ربما جاءت إلى هنا والتقت به ثم ذهبت، وقد يكون القاتل الحقيقي شخصاً مجنوناً دخل إلى البيت بعد ذلك.

قالت الآنسة كارول: جميع المجرمين مضطربو العقل... أنا واثقة من هذا.

فُتح الباب في تلك اللحظة فجأة ودخل رجل، وقف مرتبكاً وهو يقول: أنا آسف، لم أعرف أن في الغرفة أحداً.

قامت جيرالدين بالتعريف بطريقة آلية: ابن عمي اللورد إدجوير... السيد بوارو. لا عليك يا رونالد، أنت لم تقاطعنا.

- كيف حالك يا سيد بوارو؟ هل تعمل خلاياك الرمادية على حل لغز عائلتنا هذا؟

رجعت بذاكرتي إلى الوراء في محاولة لكي أتذكر ذلك الوجه المستدير الأبله والعينين وتحتهما بعض التجاعيد والشارب الصغير المعزول كأنه جزيرة وسط الوجه الواسع. بالطبع! إنه مرافق كارلوتا آدمز الذي رأيناه في تلك الليلة عندما تناولنا العشاء في جناح جين ويلكنسون... الكابتن رونالد مارش أصبح الآن اللورد إدجوير.

* * *

الفصل الثالث عشر

ابن الأخ

يبدو أن اللورد الجديد (الذي ورث اللقب عن عمّه) كان سريع الملاحظة؛ فقد انتبه لجفلتي الخفيفة عندما رأيته وقال بلطف: آه! لقد تذكرتني... في حفل عشاء العمة جين. كان حفلاً محدوداً، أليس كذلك؟ وقد تصورت أنه مرّ دون أن يذكره أحد.

قام بوارو يودّع جيرالدين مارش والآنسة كارول، وقال رونالد مجاملاً: سأنزل معكما.

صحبنا إلى الطابق السفلي وهو يتكلم: الحياة غريبة؛ لقد طُردت ذات يوم من القصر، ثم صرت مالكه في يوم تالٍ! لقد طردني عمي الراحل قبل ثلاث سنوات... أظنك تعرفُ كل هذا يا سيد بوارو؟

ردّ عليه بوارو بهدوء: سمعت ذلك، نعم.

قال: "أمر طبيعي. من المؤكد أن يُعرف شيء كهذا، فالشرطي الجاد لا تفوته الحقيقة". وابتسم وهو يكمل حديثه مبتهجاً: لقد

تحولتُ في غضون ليلة قصيرة من مدين بائس إلى تاجر غني... بالأمس كنت مفلساً واليوم غنياً! فليبارك الله جين زوجة عمي!

ثم تكلم مع بوارو بأسلوب مختلف قليلاً: بصراحة، ما الذي تفعله هنا يا سيد بوارو؟ قبل أربعة أيام كانت جين تخطُب بأعلى صوتها وتقول: "مَن يخلصني مِن هذا الطاغية المتغطرس؟"، وانظر؛ لقد تخلصت منه! أرجو أن لا يكون ذلك بواسطة مساعدتك؟ الجريمة الكاملة بواسطة هيركيول بوارو الشرطي السابق.

ابتسم بوارو وهو يردّ قائلاً: جئت إلى هنا هذا المساء استجابة لرسالة من الآنسة جيرالدين مارش.

- زيارة سرية، أليس كذلك؟ لا يا سيد بوارو، ما الذي تفعله هنا حقيقة؟ إنك تقحم نفسك في قضية مقتل عمي لسبب أو لآخر.

- أنا مهتم دائماً بجرائم القتل يا لورد إدجوير.

- لكنك لا ترتكبها؛ فأنت حذر جداً. يجب أن تعلّم عمتي جين الحذر، الحذر والتمويه. اعذرني لتسميتها بالعمة جين، فهذا يفرحني. هل رأيت وجهها الشاحب عندما جئت إليها في تلك الليلة؟ لم تعرف هويتي على الإطلاق!

- حقاً؟

- نعم؛ لقد طُردتُ من هذا البيت قبل قدومها إليه بثلاثة أشهر.

اختفت -للحظة- ملامح الحماقة والطيبة التي كانت ظاهرة

على وجهه، ثم أكمل حديثه بحيوية: امرأة جميلة، لكنها غير حادة الذهن. أساليبها بسيطة... أليس كذلك؟

هز بوارو كتفيه استهجاناً وقال: ممكن.

نظر إليه رونالد بفضول وقال: لعلك تعتقد أنها لم تفعلها، إذن فقد خدعتك أنت أيضاً؟

قال بوارو بهدوء: أنا معجب كثيراً بالجمال، ولكني معجب أكثر بالدليل.

لقد كان بوارو شديد الهدوء وهو يقول الكلمة الأخيرة، أما رونالد فقد قال محتدّاً: دليل؟

- لعلك تجهل -يا لورد إدجوير- أن الليدي إدجوير كانت في حفلة في تشيسويك الليلة الماضية في الساعة التي كان يُفترَض أنها شوهدت هنا.

تلفظ رونالد بألفاظ السباب: لقد ذهبت مع ذلك! يا لها من امرأة! كانت تصرخ وتعلن في الساعة السادسة أن أي شيء لن يحملها على الذهاب، والظاهر أنها غيرت رأيها بعد عشر دقائق فقط. عندما لا يعتمد تخطيط جريمة القتل على امرأة تفعل ما تقوله فإنها تفعل. هذا سبب كشف أفضل الخطط التي تضعها عصابات الجريمة. لا يا سيد بوارو، أنا لا أجرّم نفسي. نعم، لا تظن أنني لا أستطيع قراءة ما يجول بخاطرك: من هو المتهم الطبيعي؟ ابن الأخ المعروف بأنه مفلس وشرير.

استند بظهره إلى الكرسي وهو يضحك ضحكات باهتة، ومضى

قائلاً: سوف أوفر عليك استعمال خلاياك الصغيرة الرمادية يا سيد بوارو. لا حاجة بك للبحث عن شخص رآني قريباً من البيت عندما كانت العمة جين تعلن أنها لن تخرج من بيتها تلك الليلة أبداً، أبداً، أبداً! لقد كنت هناك، ولذلك فأنت تسأل نفسك: هل جاء ابن أخيه الشرير الليلة الماضية فعلاً متنكراً بباروكة شقراء وقبعة باريسية؟

نظر إلينا كلينا وكان يبدو مستمتعاً بالموقف، أما بوارو فقد مال برأسه إلى أحد الجانبين يتأمله باهتمام بالغ، وأحسست بالضيق.

- كان عندي دافع... نعم، دافع معروف. كما أنني سأعطيك هدية هي عبارة عن معلومة قيمة جداً وذات دلالة. لقد جئتُ إلى هنا لرؤية عمي صباح أمس. لماذا؟ لأطلب منه نقوداً. نعم، افرَحْ لهذا... لكي أطلب نقوداً، وقد ذهبتُ دون الحصول على نقود! وفي مساء ذلك اليوم نفسه، ذلك المساء نفسه... مات اللورد إدجوير. على فكرة، هذا لقب رائع: «مقتَل اللورد إدجوير»... عنوان جيد في أكشاك الصحف.

سكت، ولكن بوارو لم يقل شيئاً، فأكمل يقول: الحق أنني مسرور جداً لإصغائك يا سيد بوارو. إن الكابتن هيستنغز ليبدو وكأنه قد رأى شبحاً أو على وشك أن يرى شبحاً في أية لحظة. لا تجعل أعصابك تتوتر كثيراً يا عزيزي. ماذا كنّا نقول؟ آه، نعم! قضية ضد ابن الأخ الشرير. إلقاء الجريمة على زوجة العم المكروهة. ابن الأخ الذي اشتهر -ذات مرة- بتمثيل أدوار نسائية يقوم بأداء عمله المسرحي الكبير... يعلن عن نفسه وبصوت أنثوي بأنه الليدي إدجوير ويمشي بجانب كبير الخدم بخطوات أنيقة. لم تظهر أية شكوك. يصيح

عمي المحب: "جين..."، وأنا أزعق: "جورج..." وأرمي بذراعي حول عنقه وأغرس سكين الجيب فيها بكل دقة. المعلومات التالية معلومات طبية خالصة ويمكن حذفها. تخرج السيدة الزائفة من البيت، وهكذا أذهب إلى النوم بعد نهاية يوم من العمل الجيد.

ضحك وهو يضيف معلّقاً: ألا تبدو هذه رائعة؟ ولكن تأتي هنا عقدة المسألة؛ خيبة الأمل! الحقيقية المزعجة، وهي أنني كنت في الحديقة. ومن أجل ذلك نأتي الآن إلى موضوع عدم وجودي في مكان الجريمة في تلك الساعة يا سيد بوارو! إنني أرى أن أدلة إثبات الوجود في مكان ما ممتعة جداً... وعندما أقرأ قصة بوليسية أنتصب في جلستي وأدوّن مثل هذه الأدلّة التي تصادفني. ولديّ الآن مثل هذا الدليل الممتاز، فثمّة ثلاثة شهود في صالحي: السيد دورثيمر وزوجته وابنته. إنهم أغنياء جداً ويحبون الموسيقى جداً، ولديهم مقاعد دائمة في دار الأوبرا بكوفنت غاردن، وهم يدعون الشباب ذوي الإمكانيات الجيدة في المسرح الموسيقي مجاناً. وأنا -يا سيد بوارو- شاب ذو إمكانيات واعدة في هذا المجال. هل أحب الأوبرا؟ بصراحة: لا؛ لكنّي أحب غداءً فاخراً في مطعم غروسفينور، كما أنني أستمتع بعشاء فاخر في مكان آخر بعد ذلك. وهكذا ترى يا سيد بوارو: عندما كانت روح عمي تُزهَق، كنت أستمتع بوقتي مع عائلة دورثيمر في دار الأوبرا بكوفنت غاردن، وثلاثتهم يمكن أن يشهدوا بذلك.

واتكأ على الكرسي قائلاً: أرجو أن لا أكون قد سببت لك الضجر. هل لديك سؤال؟

- أطمئنك بأنني لم أضجر، وحيث أنك بهذا اللطف فأحب أن أسألك سؤالاً واحداً صغيراً.

- بكل سرور.

- منذ متى تعرف الآنسة كارلوتا آدمز يا لورد إدجوير؟

أياً كان الذي توقعه الشاب إلا أنه لم يتوقع هذا السؤال بالتأكيد؛ فقد جلس منتصباً محتداً وقد ظهرت على وجهه ملامح جديدة: لماذا تريد معرفة هذا؟ وما علاقته بما كنا نتحدث عنه؟

- إنه فضول مني... هذا كل شيء. وبما أنك قد أوضحت لي كل شيء يحتاج إلى إيضاح فلم تكن بي حاجة لأي سؤال آخر.

نظر رونالد نظرة خاطفة وكأنه استهجن أسلوب بوارو اللطيف. لعله كان يفضل أن يكون بوارو أكثر ارتياباً! قال: كارلوتا آدمز؟ دعني أتذكر. نحو سنة أو أكثر قليلاً. عرفتها السنة الماضية عندما قدّمَتْ أول عرض لها.

- هل تعرفها جيداً؟

- إنها ليست من النوع الذي يمكنك أن تعرفه جيداً... كانت متحفظة.

- لكنك كنت معجباً بها؟

حدق رونالد به وقال: ليتني أعرف سبب اهتمامك بالفتاة! ألأنني كنت معها في تلك الليلة؟ نعم، أنا معجب بها كثيراً؛ فهي

اجتماعية متفهمة، تصغي إلى المرء وتجعله يشعر بأنه شخص ذو شأن.

أومأ بوارو برأسه وقال: فهمت؛ إذن فسوف تشعر بالأسف.

- أسف؟ لماذا؟

- لأنها قد ماتت!

- ماذا؟!

قفز رونالد عن مقعده مذهولاً: كارلوتا ماتت؟!

بدا مصعوقاً تماماً من هذا الخبر وقال: إنك تستدرجني يا سيد بوارو. لقد كانت في كامل صحتها آخر مرة رأيتها.

سأله بوارو بسرعة: متى كان ذلك؟

- أظن أول أمس. لا أتذكر تماماً.

- لقد ماتت.

- لا بد أن هذا حدث فجأة. ما السبب؟ حادث سيارة؟

نظر بوارو إلى السقف وهو يقول: لا؛ بل تناولت جرعة زائدة من الفيرونال.

- آه، يا إلهي! فتاة مسكينة... أمر محزن جداً.

- إنه كذلك.

- أنا آسف. كانت ستنجح في عملها بسرعة وكانت ستحضر

أختها الصغرى إلى هنا وكانت تخطط أشياء كثيرة... لا أستطيع التعبير عن مدى أسفي.

- نعم، أمر مؤسف أن يموت المرء صغيراً. عندما تريد أن تعيش، عندما تكون الحياة كلها مفتوحة أمامك ولديك كل شيء تعيش من أجله.

نظر إليه رونالد نظرة استغراب وقال: لا أظن أنني أفهمك تماماً يا سيد بوارو.

- لا تفهمني؟

نهض بوارو ومدّ له يده وهو يقول: ربما كنت أعبر عن أفكاري بقوة قليلاً؛ لأنني لا أحب رؤية الشباب يُحرَم من حقه في الحياة يا لورد إدجوير. أشعر بحزن شديد على ذلك. أرجو لك يوماً سعيداً!

- آه! وداعاً.

وعندما فتحت الباب كدت أصطدم بالآنسة كارول. قالت بسرعة: سيد بوارو، علمت أنك لم تذهب بعد. أريد الحديث معك قليلاً إن أمكن، ربما لا تمانع أن تصعد إلى غرفتي؟

عندما دخلنا غرفتها الصغيرة وأغلقت الباب قالت: إنه بخصوص تلك الطفلة جيرالدين.

- نعم يا آنسة؟

- لقد تحدثَتْ بكلام فارغ كثير هذا اليوم، ولكن أرجو أن لا تحمله محمل الجد؛ إنه هراء! هذا رأيي، إنها مكتئبة وتفكر طويلاً!

قال بوارو بلطف: أرى أنها كانت تعاني من توتر شديد.

- الحقيقة أنها لم تعش حياة جيدة، ولا أستطيع أن أزعم أنها كانت سعيدة. بصراحة يا سيد بوارو، كان اللورد إدجوير رجلاً غريب الأطوار ولم يكن يبالي بتربية الأطفال. وبصراحة أكثر، لقد كان يُرعب جيرالدين!

أومأ بوارو قائلاً: نعم، أتصور أن هذا صحيح.

- كان رجلاً غريب الأطوار. كان... لا أعرف كيف أعبر لك... يستمتع برؤية أي شخص وهو خائف منه. يبدو أن هذا كان يسبب له متعة غريبة شاذة!

- صحيح تماماً.

- كان رجلاً واسع الاطلاع وخارق الذكاء، ولكنه كان -مع ذلك- على هذه الحالة، رغم أن شيئاً من هذا لم يقع معي شخصياً. ولكنني -في الحقيقة- لا أحسّ بأية دهشة لأن زوجته قد تركته. أقصد زوجته هذه، مع أنني لا أحبها. أنا لا أعرف تلك المرأة على الإطلاق، لكنها أخذت كل ما تستحقه وزيادة بزواجها باللورد إدجوير. لقد تركته دون سبب يذكر، لكن جيرالدين لم تكن قادرة على تركه، وكان ينسى أمرها لوقت طويل، ثم يتذكرها فجأة. أحياناً أعتقد... رغم أنه من غير المناسب أن أقولها...

- نعم، نعم. قوليها يا آنسة.

- اعتقدت أحياناً أنه ينتقم من أمها، زوجته الأولى، بتلك الطريقة. أعتقد أنها كانت امرأة لطيفة حسنة المعشر، وأنا أشعر بالأسف عليها. ما كنت لأذكر كل هذا يا سيد بوارو لولا الثورة الحمقاء التي فجرتها جيرالدين قبل قليل. الأشياء التي قالتها (عن كرهها لوالدها) قد تبدو غريبة لأي شخص لا يعرف الحقيقة.

- أشكرك كثيراً يا آنسة. أظن أنه كان من الخير للّورد إدجوير أن لا يتزوج أبداً.

- كان ذلك أفضل بكثير.

- ألم يفكر في الزواج مرّة ثالثة؟

- وكيف يستطيع ذلك؟ كانت زوجته على قيد الحياة.

- لو أعطاها حريتها لأصبح هو الآخر حراً.

قالت الآنسة كارول عابسة: أظن أنه لقي العنت الشديد من زوجتين.

- إذن فأنت تعتقدين أنه لم يفكر بالزواج بثالثة. ألم تكن واحدةٌ محلّ تفكير؟ فكري يا آنسة... ألم توجد امرأة أخرى؟

احمرّ وجه الآنسة كارول وقالت: لا أدرك مغزى إصرارك على هذا السؤال. لا وجود لأية امرأة أخرى بالتأكيد!

* * *

الفصل الرابع عشر

خمسة أسئلة

سألت بوارو ونحن في السيّارة في طريق عودتنا إلى البيت سؤالاً فضولياً: لماذا سألت الآنسة كارول عن احتمال نية اللورد إدجوير الزواج مرة أخرى؟

- خطر لي أنه كان أمراً محتملاً يا صديقي.

- لماذا؟

- كنت أبحث بعقلي عن شيء أفسر به التغير المفاجئ من وجهة نظر اللورد إدجوير حول مسألة الطلاق. في هذا الأمر شيء غريب يا صديقي.

قلت متأملاً: نعم، إنه غريب!

- لقد أكّد اللورد إدجوير -يا هيستنغز- ما قالته لنا زوجته. لقد وظفتْ محامين من كل نوع لكنه رفض أن يتزحزح عن موقفه قيد أنملة، وبدا أنه لن يوافق أبداً على الطلاق. ثم إذا به يوافق فجأة!

ذكّرته: أو هكذا كان يقول؟

- صحيح يا هيستنغز. إن ملاحظتك التي قلتها الآن صحيحة: هكذا كان يقول. ليس لدينا دليل على أنه كتب لها تلك الرسالة. جيد، فربما كان اللورد يكذب، حيث أخبرنا بذلك الكلام المزيف والملفق لسبب ما، أليس كذلك؟ إننا لا نعرف. ولكن افترض أنه كتب تلك الرسالة فعلاً، وفي هذه الحالة لا بد من وجود سبب لذلك. إن السبب الذي يبدو طبيعياً تصوُّره هو أنه تعرف فجأة إلى امرأة جديدة وأراد الزواج بها. هذا يوضح -تماماً- التغير المفاجئ في موقفه. وهكذا كان من الطبيعي الاستفسار عن ذلك.

قلت: لقد نفت الآنسة كارول هذه الفكر نفياً حاسماً.

قال بوارو متأملاً: نعم، الآنسة كارول...

سألته غاضباً: ما الذي تريد الوصول إليه؟

كان بوارو خبيراً في الإيحاء بالشكوك بواسطة نبرة صوته. سألته: ما السبب الذي يجعلها تكذب في هذا الأمر؟

- أبداً، أبداً. ولكن من الصعب الوثوق بشهادتها يا هيستنغز.

- أتعتقد أنها تكذب؟ لماذا؟ إنها تبدو صريحة للغاية.

- يصعب أحياناً التمييز بين الكذب المتعمّد وعدم الدقة غير المقصودة.

- ماذا تعني؟

- أن تخدعنا عامدة، هذا شيء... ولكن أن تكون متأكداً تماماً من حقائقك، من أفكارك وصحتها، وهي أن التفاصيل لا تهم... إن هذه -يا صديقي- صفة خاصة من صفات الصادقين. تذكّرْ أنها كذبت علينا من قبل كذبة واحدة. قالت إنها رأت وجه جين ويلكنسون بينما لم يكن بإمكانها فعل ذلك. كيف حدث هذا؟ لقد نظرت إلى أسفل ورأت جين ويلكنسون في الصالة. لم يخامر عقلها أيُّ شك في أنها جين ويلكنسون. إنها تعرف أنها هي كما تقول، ولذلك قالت إنها رأت وجهها بوضوح، وهي الواثقة من حقائقها، ولذلك فإن التفاصيل الدقيقة لا تهم. لقد أشرنا لها بأنها لم تكن تستطيع رؤية وجهها. هل هذا صحيح؟ حسناً، ما الذي يهم إن كانت قد رأت وجهها أو لم تره؟ لقد كانت جين ويلكنسون! وهكذا مع أية مسألة أخرى. إنها تعرف، ولذلك فهي تجيب عن الأسئلة في ضوء معرفتها وليس بموجب الحقائق التي تتذكرها. يجب معاملة الشاهد الواثق بنوعٍ من الارتياب دائماً يا صديقي، أما الشاهد غير المتأكد الذي لا يتذكر فسوف يفكر دقيقة قبل أن يجيب: "آه! نعم، هذا صحيح"... وهذا يمكن الاعتماد على أقواله أكثر من الأول.

- يا إلهي! لقد شوشت عليّ جميع أفكاري التي كونتها عن الشهود سلفاً.

- عندما أجابت عن سؤالي عن زواج اللورد إدجوير بامرأة أخرى اعتبرتْ الفكرة هذه سخيفة؛ لأنها -ببساطة- لم تخطر على بالها، فهي لن تتجشم عناء التذكّر إن كانت توجد دلائل صغيرة قد تشير إلى تلك الحقيقة أم لا، ولذلك فنحن نراوح مكاننا تماماً.

قلت متأملاً: يبدو مؤكداً أنها لم تدهش على الإطلاق عندما أشرتَ إلى أنها لم تكن تستطيع رؤية وجه جين ويلكنسون.

- هذا ما جعلني أجزم أنها غير دقيقة في أقوالها ولم تكن تكذب متعمدة. لا أرى وجود دافع للكذب المتعمد إلاّ إذا... إنها فكرة فعلاً!

سألته متلهفاً: وما هي؟

لكن بوارو هز رأسه وقال: فكرة خطرت لي، لكنها مستحيلة تماماً. نعم، مستحيلة جداً.

رفض أن يقول أكثر من هذا، فقلت: يبدو أنها تحب الفتاة كثيراً.

- نعم. من المؤكد أنها عزمت على مساعدتنا في لقائنا معها. ماذا كان انطباعك عن الآنسة جيرالدين يا هيستنغز؟

- لقد شعرت بالأسف العميق عليها!

- إن قلبك رقيق دائماً يا هيستنغز، حتى ليكاد ينكسر إذا رأيت فتاة حزينة.

- ألم تشعر بنفس الشعور؟

أومأ برأسه هادئاً: بلى؛ إنها لم تعِشْ حياة سعيدة، كان هذا واضحاً على وجهها.

قلت متحمساً: على أية حال فأنت تدرك كيف كان رأي جين ويلكنسون منافياً للعقل... أقصد أنه لا علاقة لها بالجريمة.

- لا شك أن دليل براءتها مقنع، لكن جاب لم يبلغني به بعد.

- بوارو، يا عزيزي... هل تريد القول إنك -حتى بعد أن رأيتها وتحدثت معها- لا زلت غير راض وتريد دليلاً على عدم وجودها في البيت ساعة وقوع الجريمة؟

- حسناً يا صديقي، ما هي نتيجة رؤيتها والحديث معها؟ لقد فهمنا بأنها تعيش حياة بؤس كبير، وهي تعترف بأنها كانت تكره اللورد وقد فرحت لموته، كما أنها خائفة جداً مما قد يكون باح به لنا صباح أمس. وبعد كل هذا تقول: "لا ضرورة لوجود دليل على مكان وجودها وقت الجريمة"!

قلت بحرارة: مجرد صراحتها تثبت براءتها.

- الصراحة صفة موجودة في العائلة؛ لقد كشف اللورد إدجوير الجديد كل أوراقه لنا.

قلت مبتسماً وأنا أتذكره: لقد فعل ذلك حقاً... إنه أسلوب مبتكَر.

أومأ بوارو قائلاً: لقد قطع علينا الطريق.

قلت: نعم؛ هذا يجعلنا نبدو كالمغفلين.

- يا لها من فكرة غريبة! ربما بدوت أنت مغفلاً، أما أنا فلم أشعر بأنني مغفل ولا أظن أنني كنت أبدو هكذا، بل على العكس يا صديقي، لقد جعلته يرتبك.

قلت بارتياب: "حقاً؟"؛ حيث لم أتذكر أنني رأيت عليه أي علامة ارتباك.

- نعم. أصغيت ملياً، وفي النهاية سألته سؤالاً عن شيء مختلف تماماً، وربما لاحظت الارتباك الكبير على وجه السيد الشجاع... لكنك لا تلاحظ يا هيستنغز.

قلت: ظننت أن خوفه وذهوله عندما سمع بوفاة كارلوتا آدمز كان حقيقياً. أظن أنك ستقول إنه كان تمثيلاً ذكياً.

- يستحيل معرفة ذلك، أوافقك على أنه كان حقيقياً.

- لماذا تظن أنه قذف بكل هذه الحقائق في أدمغتنا بتلك الطريقة الساخرة؟ هل كان ذلك من أجل اللهو فقط؟

- هذا محتمل دائماً. إنكم -أيها الإنكليز- أصحاب مفاهيم غريبة جداً في السخرية، ولكن قد يكون الأمر -أيضاً- نوعاً من الدهاء؛ فالحقائق التي يتم إخفاؤها تكتسب أهمية، أما الحقائق التي تُكشَف صراحةً فالناس يميلون إلى اعتبارها دون حقيقتها في الأهمية.

- الشجار مع عمه ذلك الصباح على سبيل المثال؟

- بالضبط. إنه يعرف أن تلك الواقعة سوف تتسرب، وقد عرضها -لذلك- متباهياً.

- إنه ليس مغفلاً كما يبدو عليه.

- ليس مغفلاً أبداً! إنه ذكي جداً عندما يريد استخدام عقله. إنه يرى أين يقف بالضبط ثم يكشف أوراقه كما قلت. أنت تلعب البريدج يا هيستنغز. أخبرني: متى يفعل المرء ذلك؟

قلت ضاحكاً: أنت تلعب البريدج أيضاً وتعرف هذا مثلي: عندما تكون بقية أوراق اللعب لك وتريد أن توفر الوقت وتكسب أوراقاً جديدة.

- نعم يا صديقي، هذا صحيح.

- إذن فماذا تعتقد؟

- أعتقد -يا هيستنغز- أن التبجح الكثير بالشجاعة شيء مثير للاهتمام كثيراً... وأعتقد -أيضاً- أنه حان وقت عشائنا. ألا تريد قليلاً من العجة؟ وبعد ذلك، في التاسعة تقريباً، عندي زيارة أخرى أريد القيام بها.

- أين؟

- سنتعشى أولاً يا هيستنغز، ولن نناقش هذه القضية إلا بعد أن نشرب قهوتنا. عندما ننشغل بالأكل يجب أن يكون العقل خادماً للمعدة.

كان بوارو وفياً بوعده! ذهبنا إلى مطعم صغير في سوهو وتناولنا العجة اللذيذة والسمك وكعكة إسفنجية هشّة من النوع الذي كان بوارو يحبه كثيراً. وبعد أن شربنا قهوتنا ابتسم بوارو ابتسامة جميلة وهو جالس قُبالتي على الطاولة وقال: أنا أعتمد عليك -يا صديقي العزيز- أكثر مما تعرف.

ارتبكت وسررت من هذا الإطراء غير المتوقع. لم يكن قد قال لي أي شيء كهذا من قبل أبداً، بل كنت أشعر أحياناً في داخلي ببعض الضيق حينما كان ينتقص من قدراتي العقلية. ورغم اعتقادي بأن قدراته لم تكن تضعف إلاّ أنني أدركت -فجأة- أنه ربما يعتمد على مساعدتي أكثر مما كان يتوقع.

قال حالماً: نعم؛ قد لا تستوعب صحة هذا الأمر، لكنك توضح لي الطريق في كثير من الأحيان.

لم أصدق ما سمعتْه أذناي، وقلت متلعثماً: الحق أنني مسرور جداً يا بوارو. أعتقد أنني تعلمت الكثير منك بطريقة أو بأخرى.

هز رأسه نافياً: لا، الأمر ليس كذلك؛ لم تتعلم مني شيئاً.

قلت مصعوقاً: آه!

- هذا صحيح. لا يجب أن يتعلم إنسان من آخر. يجب على كل فرد أن يطور قدراته الخاصة به إلى أقصى درجة ولا يحاول تقليد أي شخص آخر. لا أريدك أن تكون بوارو الثاني أو الثانوي. أريدك أن تكون هيستنغز الجبار... وأنت هيستنغز الجبار فعلاً!

قلت: أرجو ألاّ أكون شاذاً.

- لا، لا. إنك متزن تماماً وعلى نحو جميل. تتجسد سلامة العقل فيك. هل تعرف ما يعنيه هذا لي؟ عندما يشرع المجرم في ارتكاب جريمة فإن عمله الأول هو الخداع. يخدع مَن؟ إن الصورة التي في ذهنه هي صورة الرجل الطبيعي. وقد لا يوجد -في الواقع- مثل هذا الشيء؛ فهي فكرة تجريدية رياضية، لكنك تقترب من فهمها قدر الإمكان. توجد لحظات من ومضات الذكاء تظهر منك عندما يزداد ذكاؤك فوق المعدل، ولحظات (أرجوك أن تعذرني...) تنزل فيها إلى أدنى مستويات التبلد الذهني، ولكنك -بشكل عام- رجل طبيعي بشكل مدهش. حسناً، كيف يفيدني هذا؟ بهذه الطريقة ببساطة: كما في المرآة، أرى أنه قد انعكس في ذهنك ما يريده المجرم مني أن أعتقده بالضبط، وهذا أمر مساعد إيحائي لدرجة كبيرة.

لم أفهم ما يعنيه بالضبط. أحسست أن ما كان بوارو يقوله لم يكن كلام مديح، ومع ذلك فقد حررني من وهم ذلك الانطباع قائلاً بسرعة: لقد عبّرتُ عن مشاعري نحوك بطريقة سيئة. إن لديك بصيرة بعقل المجرم وهو ما ليس عندي. إنك تدلني على ما يتمنى المجرم منّي أن أعتقده... إنها موهبة عظيمة!

قلت متأملاً: بصيرة؟ نعم، ربما كان عندي بصيرة في الأمور!

نظر إليّ بلطف شديد وهمس: أنت عزيز يا هيستنغز، وأنا أكنّ لك في قلبي كل الود.

سررت، لكني ارتبكت وأسرعت لتغيير الموضوع وقلت بلهجة رسمية: هيا، دعنا نناقش القضية.

- جيد.

ألقى بوارو رأسه إلى الوراء وأغمض عينيه ثم قال: سنطرح أسئلة ونجيب عنها.

قلت متلهفاً: "نعم". ثم رددت رأسي إلى الوراء أنا الآخر وأغمضت عيني وقلت: مَن قتل اللورد إدجوير؟

انتصب بوارو في جلسته على الفور وهز رأسه بقوة: لا، لا؛ ليس هذا على الإطلاق. هل هذا سؤال؟ أنت مثل شخص يقرأ رواية بوليسية ويبدأ يخمن كل واحد من الشخصيات على التعاقب بلا توافق أو تفكير. أوافقك على أنني اضطررت مرة لعمل ذلك، ولكنها كانت حالة استثنائية جداً... سأخبرك عنها في يوم من الأيام. فيمَ كنّا نتحدث؟

أجبته بجفاف: عن الأسئلة التي كنت تطرحها على نفسك.

كنت على وشك أن أقول إن فائدتي الحقيقية لبوارو هي في إعطائه رفيقاً يتباهى عليه، لكني منعت نفسي. إن كان يرغب في إلقاء التوجيهات فدعه يفعل ذلك. قلت: هيّا، دعنا نسمعها.

هذا كل ما كان يريده غرور هذا الرجل. استند إلى كرسيه مرة أخرى واستأنف موقفه السابق: السؤال الأول ناقشناه من قبل، لماذا غيّر اللورد إدجوير رأيه في موضوع الطلاق؟ لديّ فكرة أو فكرتان

خطرتا لي حول هذا الموضوع، تعرف أنت إحداهما. السؤال الثاني الذي أطرحه على نفسي هو: ما الذي حدث لتلك الرسالة؟ من هو المستفيد من بقاء اللورد إدجوير وزوجته مرتبطين معاً؟ ثالثاً: علامَ تدلّ تلك الملامح التي رأيتَها أنت على وجهه عندما نظرت وراءك صباح أمس ونحن نغادر المكتبة؟ هل لديك إجابة عن هذا يا هيستنغز؟

هززت رأسي نفياً.

- هل أنت متأكد من أنك لم تتخيلها؟ أحياناً يكون لديك خيال واسع يا هيستنغز.

هززت رأسي بحماسة: لا، لا؛ أنا متأكد من أنني لم أخطئ.

- جيد. إذن فهي حقيقة وتحتاج إلى توضيح. سؤالي الرابع يتعلق بتلك النظارة؛ فلا جين ويلكنسون ولا كارلوتا آدمز تلبسان نظارة. إذن ماذا تفعل النظارة في حقيبة كارلوتا آدمز؟ والآن هاك سؤالي الخامس: لماذا اتصل شخص بالهاتف ليعرف إن كانت جين ويلكنسون موجودة في تشيسويك أم لا؟ ومن هو هذا الشخص؟ هذه -يا صديقي- هي الأسئلة التي تقلقني. إذا استطعتُ الإجابة عنها فسوف أشعر بسعادة أكثر تغمرني، ولو نجحت بالتوصل إلى نظرية تفسرها بطريقة مقنعة فإن احترامي لذاتي لن يصاب الأذى.

قلت: تبقى أسئلة أخرى عديدة.

- مثل ماذا؟

- مَن حرّض كارلوتا على عمل هذه الخدعة؟ أين كانت تلك الليلة قبل وبعد الساعة العاشرة؟ من هو «د» الذي أعطاها العلبة الذهبية؟

قال بوارو: هذه الأسئلة بديهية وليس فيها ذكاء؛ إنها -ببساطة- أشياء لا نعرفها، وقد نعرفها في أية لحظة. أمّا أسئلتي -يا صديقي- فهي سيكولوجية... خلايا الدماغ الرمادية الصغيرة!

قلت يائساً: بوارو، كنت تتكلم عن القيام بزيارة هذه الليلة، أليس كذلك؟

شعرت بأنني يجب أن أوقفه مهما كلف الأمر! ونظر بوارو إلى ساعته وقال: صحيح؛ سأتصل بالهاتف لأعرف إن كان الوقت مناسباً.

ذهب ثم عاد بعد بضع دقائق وهو يقول: هيا، كل شيء على ما يرام.

- أين سنذهب؟

- إلى منزل السير مونتاغو كورنر في تشيسويك. أريد أن أعرف بعض الأشياء عن المكالمة الهاتفية تلك.

* * *

الفصل الخامس عشر

السير مونتاغو كورنر

كانت الساعة العاشرة تقريباً عندما وصلنا إلى بيت السير مونتاغو كورنر في تشيسويك.

كان بيتاً كبيراً، ودخلنا إلى صالة مزدانة بلوحات جميلة، وعلى يميننا رأينا -من خلال بابٍ مفتوح- غرفة الطعام وقد لمعت الطاولة الكبيرة فيها تحت ضوء الشموع.

قال كبير الخدم: "هلاّ تفضلتما من هذا الطريق؟"، ثم تقدمَنا وصعد بنا درجاً عريضاً أوصلنا إلى غرفة طويلة في الطابق الأول تطل على النهر. كانت غرفة جميلة التناسق يشم منها الزائر عبق الحياة القديمة في أضواء باهتة، وكانت طاولة بريدج قد وُضعت في إحدى زوايا الغرفة قريباً من النافذة المفتوحة وجلس حولها أربعة أشخاص. وحين دخلنا الغرفة نهض واحدٌ منهم وتقدم نحونا قائلاً: لقد حصل لي شرف عظيم بلقائك يا سيد بوارو.

نظرت إلى السير مونتاغو كورنر ببعض الاهتمام. كانت له عينان

سوداوان صغيرتان متقدتان وخصلة من الشعر المستعار مثبتة بعناية، وكان رجلاً قصيراً بعض الشيء وأسلوبه متكلّف إلى حدٍّ بعيد. قال: دعوني أعرّفكم؛ السيد ويدبيرن وزوجته.

قالت السيدة ويدبيرن بسرعة: لقد التقينا من قبل.

- والسيد روس.

كان روس شاباً صغيراً في الثانية والعشرين من عمره تقريباً، ذا وجه مبتسم وشعر أشقر.

قال بوارو: أعتذر لأني عطلتكم عن اللعب.

- أبداً؛ فنحن لم نبدأ بعد، كنّا قد بدأنا بتوزيع الأوراق فقط. أتشرب بعض القهوة يا سيد بوارو؟

وفيما نحن نشرب القهوة أخذ السير مونتاغو بالحديث عن الصحف اليابانية والطلاء الصيني والسجاد الفارسي والانطباعيين الفرنسيين، وعن الموسيقى الحديثة ونظريات آينشتاين، ثم استند إلى كرسيه وابتسم لنا ابتسامة ودودة. كان واضحاً أنه قد استمتع بأدائه تماماً، وقد بدا -في الضوء الخافت- مثلَ جنّيٍّ من العصور الوسطى، وكل ما كان يحيط بالغرفة كان نماذج رفيعة من الفن والثقافة.

- سوف أقتصد في وقتك يا سير مونتاغو، وسأدخل في موضوع الغرض من زيارتي هذه مباشرة.

لوّح مونتاغو بيده قائلاً: لا داعي للعجلة؛ فالوقت غير محدود.

تنهدت السيدة ويدبيرن وقالت: يشعر المرء -دائماً- بالأنس داخل هذا البيت.

قال السير مونتاغو: لا أرضى بالعيش في لندن ولو أعطيت مليون جنيه. هنا يعيش المرء في جو من العالم القديم المتّسم بالهدوء، بعيداً عن ضجيج هذه الأيام الذي يحطّم الأعصاب.

خطر لي تصور شيطاني مفاجئ وهو أنه لو عرض شخص على السير مونتاغو مليون جنيه فإنه سيضرب هدوء العالم القديم بعرض الحائط، لكني أبعدت هذه التخيلات وصرفت ذهني عن الموضوع.

همست السيدة ويدبيرن: وماذا تعني النقود؟

قال السيد ويدبيرن متأملاً: "آه!"، ثم خشخش وهو شارد الذهن ببعض القطع النقدية في جيب بنطاله.

قالت السيدة ويدبيرن توبخه: تشارلز!

قال السيد ويدبيرن: "آسف"، ثم توقف عن فعله.

بدأ بوارو بأسلوب اعتذاري: أشعر أن الحديث عن جريمةٍ في مثل هذا الجو أمر مزعج لكم.

لوّح السير مونتاغو بيده: أبداً، على الإطلاق. الجريمة يمكن أن تكون عملاً فنياً، ورجل التحري يمكن أن يكون فناناً. لا أعني الشرطة بالطبع؛ فقد كان هنا اليوم مفتش، ولكنه كان شخصاً غريباً. إنه لم يسمع عن بينفينو توشيليني على سبيل المثال.

قالت السيدة ويدبيرن بفضول فوري: أظن أنه جاء بخصوص جين ويلكنسون.

قال بوارو: كانت السيدة محظوظة لأنها كانت في بيتك الليلة الماضية.

قالت السيدة ويدبيرن: إن جين محظوظة، كانت متحمسة جداً للتخلص من إدجوير فجاء شخصٌ ما ووفر عليها مشقة هذا العمل. ستتزوج دوق ميرتون الشاب الآن. الكل يقول هذا، وأمه غاضبة جداً بسبب ذلك.

قال السير مونتاغو بلطف: لقد ولّدتْ عندي انطباعاً جميلاً، حيث أبدَتْ كثيراً من الملاحظات الذكية عن الفن الإغريقي.

ابتسمتُ في سرّي وأنا أتخيل جين وهي تقول بصوتها الأجش: "نعم" و"لا" و"حقاً، كم هو رائع"! كان السير مونتاغو رجلاً من النوع الذي يتألف ذكاؤه من قدرته على الإصغاء لملاحظاته هو باهتمام كبير.

قال ويدبيرن: كان إدجوير رجلاً غريب الأطوار بكل المقاييس. أظن أنه اكتسب عداوة كثير من الأشخاص.

سألت السيدة ويدبيرن: أصحيحٌ -يا سيد بوارو- أن شخصاً قد غرز في مؤخرة دماغه سكين جيب؟

- صحيح تماماً يا مدام. كان عملاً دقيقاً وبارعاً جداً... كان عملاً علمياً في الواقع.

قال السير مونتاغو: ألاحظُ استمتاعك الفني يا سيد بوارو.

قال بوارو: دعني الآن أدخل في الغرض من زيارتي. لقد نوديتْ الليدي إدجوير للرد على مكالمة هاتفية عندما كانت تتعشى هنا، وأنا أريد معلومات عن تلك المكالمة الهاتفية. هل تسمح لي بسؤال العاملين في هذا البيت عن هذا الموضوع؟

- بالتأكيد، بالتأكيد. اضغط ذلك الجرس يا روس.

جاء كبير الخدم على صوت الجرس. وشرح له السير مونتاغو المطلوب فالتفت الخادم إلى بوارو بانتباه وأدب. سأله بوارو: مَن الذي ردّ على الهاتف عندما رنّ الجرس؟

- أنا يا سيدي؛ إن الهاتف في موضع منعزل خارج الصالة.

- هل طلب الشخص الذي اتصل الليدي إدجوير أم الآنسة جين ويلكنسون؟

- الليدي إدجوير يا سيدي.

- ما الذي قاله بالضبط؟

فكر الخادم لحظة قبل أن يقول: حسبما أتذكر يا سيدي قلت: "مرحباً"، فسألني صوتٌ إن كان رقم الهاتف هو ٤٣٤٣٤، وأجبته أن الرقم صحيح. ثم طلب مني أن أبقى على الخط، ثم سألني صوتٌ آخر إن كان هذا هو ٤٣٤٣٤ تشيسويك، وعندما أجبته بنعم قال: "هل الليدي إدجوير تتعشى هنا؟"، وقلت له إن الليدي تتعشى هنا فعلاً،

فقال: "أريد أن أتكلم معها من فضلك". وذهبت وأبلغت الليدي التي كانت تتناول العشاء، فنهضت وأخذتُها إلى مكان الهاتف.

- وبعد ذلك؟

- رفعت الليدي سماعة الهاتف وقالت: "مرحباً، مَن المتحدث؟"، ثم قالت: "نعم، هذا صحيح. الليدي إدجوير تتكلم". وكنت على وشك تركها عندما نادتني وقالت إنهم قطعوا المكالمة. قالت إن شخصاً قد ضحك وكان واضحاً أنه قد وضع السماعة، وسألتني إن كان الذي اتصل قد ذكر اسمه فقلت إنه لم يذكر اسمه. هذا كل ما حدث يا سيدي.

قطب بوارو حاجبيه، وسألته السيدة ويدبيرن: هل تعتقد -يا سيد بوارو- أن لهذه المكالمة علاقة بجريمة القتل؟

- من الصعب معرفة ذلك يا مدام. إنه حادث غريب فقط.

- بعض الأشخاص يتصلون بالهاتف أحياناً من أجل المزاح. لقد حدث ذلك معي.

- هذا ممكن دائماً يا مدام.

تكلم مع الخادم ثانية: هل كان الذي اتصل رجلاً أم امرأة؟

- أظن أنها امرأة يا سيدي.

- هل كان الصوت مرتفعا أم منخفضاً؟

قال: "كان منخفضاً يا سيدي. كان صوتاً حذراً ومميزاً". وسكت

قليلاً ثم قال: قد أكون توهمت يا سيدي، لكنه بدا مثل صوت أجنبي؛ كانت المتحدثة تنطق بحرف الراء بنبرة واضحة جداً.

- هل تعتقد أنك تستطيع تمييز ذلك الصوت إن سمعته مرة أخرى في أي وقت؟

تردد الخادم ثم قال: لست متأكداً من ذلك تماماً يا سيدي... قد أستطيع ذلك.

- أشكرك يا صديقي.

- شكراً لك يا سيدي.

أمال الخادم رأسه وخرج. وواصل السير مونتاغو كورنر أسلوبه الودي والقيام بدوره الذي يظهر سحر العالم القديم، وما لبثنا أن شكرنا مضيفنا وغادرنا، وجاء روس معنا.

قال بوارو حين خرجنا إلى الظلام: رجل قصير غريب!

كان الليل جميلاً؛ ولذلك قررنا المشي إلى أن نعثر على سيارة أجرة بدلاً من استدعاء واحدة بالهاتف.

قال روس: يبدو أنني قد استحوذت على إعجابه. أرجو أن يدوم ذلك الإعجاب؛ فوجود رجل كهذا يدعمك يعني الكثير.

- هل أنت ممثل يا سيد روس؟

أجاب روس بالإيجاب، وبدا عليه الحزن لأننا لم نعرف اسمه على الفور حسب قوله، وقال إنه حصل في الآونة الأخيرة على شعبية

رائعة في إحدى المسرحيات المترجمة عن الروسية. وسأله بوارو عرضاً: هل كنت تعرف كارلوتا آدمز؟

- لا. رأيت نعياً لها في الصحيفة هذه الليلة. ماتت نتيجة تناولها جرعة زائدة من مخدر أو ما شابه ذلك.

- أمر محزن، نعم. كانت ذكية أيضاً.

أظهر روس عدم اهتمام بأي ممثل آخر سواه. وسألته: هل رأيت عرضها؟

- لا؛ فعملها يختلف عن عملي.

قال بوارو: "آه! ها هي سيارة أجرة". ولوّح لها بعصاه.

قال روس: "أفضّل أن أمشي". وفجأة ضحك ضحكة غريبة وقال: شيء غريب ذلك العشاء الليلة الماضية!

- لماذا؟

- كنّا ثلاثة عشر شخصاً. شخص واحد لم يأتِ في آخر دقيقة، ولم نلحظ ذلك أبداً إلاّ عند انتهاء العشاء.

سألته: ومن الذي غادر أولاً؟

ضحك ضحكة عصبية غريبة وقال: أنا.

* * *

الفصل السادس عشر

نقاش حاد

عندما وصلنا إلى البيت وجدنا جاب في انتظارنا. قال: فكرت في زيارتك والحديث معك قبل ذهابي للنوم يا سيد بوارو.

- حسناً، يا صديقي الطيب، كيف تسير الأمور؟

قال مكتئباً: لا تسير على ما يرام! هل لديك شيء يساعدني يا سيد بوارو؟

- عندي بعض الأفكار الصغيرة أريد تقديمها لك.

- يا لك ولأفكارك! إنك تثير استغرابي أحياناً. لا أعني أنني لا أريد سماعها، بل أنا أحب ذلك؛ ففي رأسك غريب الشكل هذا بعض الأشياء الجيدة!

عبّر بوارو عن شكره على هذا الإطراء بأسلوب فاتر إلى حد ما.

- هل لديك معلومات عن مشكلة السيدة المزدوجة؟ هذا

ما أريد معرفته. أجل يا سيد بوارو؛ ماذا عن هذا الأمر؟ من تكون هذه السيدة؟

قال بوارو: "هذا هو ما أرغب في الحديث معك عنه بالضبط". ثم سأله إن كان قد سمع عن كارلوتا آدمز من قبل فقال: سمعت بهذا الاسم، لكني لا أستطيع تحديده في الوقت الحالي.

شرح بوارو له فقال: هذه! تقوم بأدوار التقليد؟ ما الذي جعلك تركز عليها؟ ما الذي تعرفه عنها؟

سرد له بوارو الخطوات التي قمنا بها والنتيجة التي توصلنا إليها، فقال مصعوقاً: يا إلهي! يبدو الأمر وكأنك كنت محقاً. ملابس وقبعة وقفازات وباروكة الشعر الأشقر! نعم، لا بد أنك على حق. إنك لبارع يا سيد بوارو... عملك هذا بارع جداً! ولكني لا أعتقد بوجود أي شيء يدل على أنها قتلت عمداً... هذا يبدو مستبعداً جداً، وأنا لا أتفق معك تماماً في هذه النقطة، بل تبدو لي نظريتك خيالية قليلاً. إنّ خبرتي أكبر من خبرتك، وأنا لا أصدق هذا الدافع الخفي الساذج. كانت كارلوتا آدمز هي المرأة فعلاً، لكني أفهم ما قامت به على أنه أحد أمرين: ربما ذهبت إلى هناك من أجل القيام بعمل ابتزازي (لأنها ألمحت إلى أنها ذاهبة للحصول على نقود)، وهناك ثار بينهما بعض الخلاف وانتهى الأمر بأن قتلته. وأظن أنها انهارت عندما عادت إلى بيتها (لأنها لم تكن تنوي قتله) فتناولت جرعة زائدة من الدواء لظنها أنها أسهل طريقة للموت.

- هل تظن أن هذا يفسر الحقائق جميعها؟

- يبقى الكثير من الأمور التي لا نعرفها حتى الآن بالتأكيد. إنها فرضية جيدة يمكننا التعامل معها. أما التفسير الآخر فهو أن الخدعة وجريمة القتل لا علاقة بينهما، وإنما مصادفة غريبة. أو أسباب أخرى...

كنت أعرف أن بوارو لن يتفق معه في هذا الرأي، لكنه قال على نحو غامض: أجل، هذا ممكن.

قال جاب: "وقد تكون الخدعة عملاً بريئاً علم بها شخص وقدّر أن ذلك يناسب هدفه كثيراً. أليست هذه فكرة شريرة؟". وسكت قليلاً ثم أكمل: لكني -شخصياً- أفضّل الفكرة الأولى، وسوف نعرف العلاقة التي كانت بين اللورد والفتاة بطريقة أو بأخرى.

أخبره بوارو عن الرسالة التي أرسلتْها الخادمة إلى أمريكا بالبريد، ووافقه جاب على أنها ربما تكون ذات عون كبير لهم في عملهم. قال وهو يسجلها في دفتره الصغير: سأتحرّى عن هذا الأمر على الفور.

ثم قال وهو يضع دفتره في جيبه: أنا أميل إلى أن الليدي هي القاتلة لأني لا أستطيع أن أجد شخصاً غيرها يمكنه أن يفعل ذلك. يمكن أن يكون الكابتن مارش (الذي هو الآن اللورد الجديد) قاتلاً محتملاً؛ فلديه دافع واضح جداً، كما أن صفحته الجنائية ليست نظيفة أيضاً. إنه شخص معسر ومحتاج للنقود، وقد تشاجر مع عمه صباح أمس... الواقع أنه أخبرني ذلك بنفسه ممّا يجعل الخبر عديم النكهة. نعم، يمكن أن يكون قاتلاً محتملاً، ولكنّ لديه دليلاً على وجوده في مكان آخر وقت وقوع الجريمة مساء أمس. كان موجوداً

مع عائلة دورثيمر، وهي عائلة غنية تسكن في ساحة غروسفينور. لقد تأكدت من هذا الأمر وهو صحيح، فهو قد تناول غداءه معهم وذهب إلى الأوبرا ثم ذهبوا للعشاء في مطعم سوبرانيز. هذا كل ما كان.

- وماذا عن الآنسة؟

- تقصد الابنة؟ كانت خارج البيت هي الأخرى. تغدّت مع شخص يدعى كارثو ويست؛ أخذها إلى الأوبرا ثم أعادها إلى البيت بعد ذلك، وقد دخلت البيت في الساعة الثانية عشرة إلاّ ربعاً، وهذا يحسم الخلاف حولها. السكرتيرة تبدو على ما يرام أيضاً؛ امرأة قديرة ومهذبة. وأخيراً لدينا كبير الخدم. لا أقول إنني أحببته جداً، فمن غير الطبيعي للرجل أن يبدو وسيماً هكذا! إن فيه شيئاً يثير الشك، كما أن الطريقة التي جاء بها للعمل في خدمة اللورد إدجوير غريبة. نعم، إنني أدرس أمره، ومع ذلك لا أجد لديه أي دافع لارتكاب جريمة القتل.

- ألم تتضح أية حقائق جديدة؟

- بلى، واحدة أو اثنتان، ولكن يصعب القول إن كان لهما أي معنى أم لا. لقد ضاع مفتاح اللورد إدجوير.

- مفتاح الباب الأمامي؟

- نعم.

- هذا مثير للاهتمام بالتأكيد.

- كما قلت، قد يعني هذا الشيء الكثير وقد لا يعني أي شيء على الإطلاق. أما الأمر ذو الدلالة الأكبر فهو هذا: لقد قبض اللورد

إدجوير أمس شيكاً. لم تكن قيمته كبيرة... مئة جنيه فقط، وقد سحب المبلغ بالعملة الفرنسية لأنه كان يريد السفر إلى باريس اليوم، وقد اختفت هذه النقود.

- من أخبرك بهذا؟

- الآنسة كارول هي التي صرفت الشيك وقبضت المبلغ، وقد ذكرت ذلك لي ثم وجدت أن النقود اختفت.

- أين كانت النقود مساء أمس؟

- الآنسة كارول لا تعرف. سلمتّها إلى اللورد إدجوير الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر، وكانت موضوعة داخل مغلف مصرفي، وقد أخذ اللورد المغلّف وضعه على طاولة إلى جانبه.

- هذا يجعل المرء يفكر بالتأكيد. إنها مسألة معقدة.

- أو أنها بسيطة. على فكرة... الجرح.

- نعم، ماذا به؟

- يقول الطبيب إنه لم يحدث بواسطة سكين جيب عادية بل شيء يشبهها، وقد كان حاداً لدرجة مدهشة.

- ألم تكن موسى حلاقة؟

- أبداً؛ بل أصغر من ذلك بكثير.

عبس بوارو متأملاً، وقال جاب: اللورد إدجوير الجديد يبدو محباً للمزاح كثيراً، وهو يعتقد أن اتهامه بارتكاب الجريمة أمر

مضحك، وقد كان واثقاً من أننا نشك فعلاً بارتكابه جريمة القتل. إنه يبدو غريبَ الأطوار كثيراً.

- قد تكون فكرة بارعة من طرفه.

- الأكثر احتمالاً أنه الشعور بالذنب. لقد جاءت وفاة عمه في الوقت المناسب بالنسبة له. على فكرة، لقد انتقل للسكن في البيت.

- أين كان يعيش من قبل؟

- في شارع مارتن المتفرع عن طريق سينت جورج. لم تكن المنطقة التي يسكن فيها مشهورة.

- أرجو أن تدوّن هذا يا هيستنغز.

فعلت ذلك، رغم أنني استغربت منه بعض الشيء، فبما أن رونالد قد انتقل إلى ريجينت غيت فما الحاجة لمعرفة عنوانه السابق؟

قال جاب وهو ينهض: أظن أن كارلوتا آدمز هي التي ارتكبت الجريمة. عمل رائع منك أن تدرك هذه الحقيقة يا سيد بوارو... وهذا -طبعاً- لأنك تذهب إلى المسارح وتسلّي نفسك، ولذا فالأمور التي تخطر في بالك لا تراودني. أمر مؤسف أنه لا يوجد دافع واضح، لكني أعتقد أن قليلاً من العمل والجهد سيكشفه قريباً.

قال بوارو: يوجد شخص له دافع لكنك لم تلتفت إليه.

- من هو هذا يا عزيزي؟

- الرجل الذي أذيع أنه يريد الزواج بزوجة اللورد إدجوير. أقصد دوق ميرتون.

ضحك جاب وقال: نعم، أظن أن لديه دافعاً، لكن من غير المحتمل لرجل في مثل وضعه أن يرتكب جريمة قتل، وعلى أية حال فهو موجود في باريس.

- إذن فأنت لا تعتبره متهماً خطيراً؟

- وهل تراه كذلك يا سيد بوارو؟

وضحك جاب -وهو يودّعنا- من سخافة هذه الفكرة.

* * *

الفصل السابع عشر

كبير الخدم

كان اليوم التالي يوم هدوء وراحة لنا ويوم نشاط وعمل لجاب. جاء لرؤيتنا بعد العصر والغضبُ بادٍ على وجهه وقال: لقد أخفقت.

قال بوارو يهدئه: مستحيل يا صديقي.

- نعم، لقد فشلت. لقد تركت ذلك الخادم يفلت من قبضتي.

- هل اختفى؟

- نعم؛ لقد هرب. ما يجعلني ألوم نفسي على حماقتي هو أنني لم أشتبه به منذ البداية.

- اهدأ يا صديقي، اهدأ.

- الكلام سهل! ما كنت لتهدأ لو كانت القيادة ستوبخك. ليست

هذه المرة الأولى التي يهرب فيها من بيت مخدوميه، بل هو خبير في الهرب.

مسح جاب العرق عن جبينه وبدا بائساً، وتعاطف بوارو معه ببعض كلمات التعزية. أما أنا فقد صببت كوباً من القهوة ووضعته أمام المفتش العابس، وتهلل وجهه قليلاً وبدأ يتحدث بابتهاج أكثر: لست متأكداً -حتى الآن- إن كان هو القاتل، ولكن فراره بهذه الطريقة يبدو سيئاً بالطبع، وقد تكون لهروبه أسباب أخرى؛ إذ يبدو أنه متورط مع بعض الملاهي الليلية ذات السمعة السيئة. إنه شخص سيء في الواقع!

- ولكن هذا لا يعني أنه قاتل بالضرورة.

- بالضبط، ربما أراد القيام بعمل غريب ولكن ليس ضرورياً أن يكون قد ارتكب جريمة قتل. لقد عدتُ الآن مقتنعاً تماماً بأن القاتلة هي كارلوتا آدمز، ولكن ليس عندي أي دليل على ذلك بعد. لقد أرسلت رجالي لتفتيش شقتها اليوم لكننا لم نجد أي شيء يمكن أن يساعدنا. كانت فتاة حذرة، ولم تحتفظ بأية رسائل (ما عدا بعض الرسائل الرسمية حول عقود مالية، وقد ألصقت عليها -بطريقة أنيقة- بعض البطاقات التوضيحية). كما كانت هناك رسالتان من أختها في واشنطن، رسالتان صريحتان لا تثيران الشكوك. ووجدنا قطعة أو قطعتين من الجواهر القديمة. لم تكن ثمة جواهر جديدة أو ثمينة، كما أنها لم تكن تحتفظ بمذكرة يومية. ودفتر شيكاتها لا يُظهر أي شيء يمكن أن يساعدنا. لا يبدو أن الفتاة عاشت بطريقة مختلفة عن سائر الناس.

قال بوارو متأملاً: كانت فتاة متحفظة، وهذا يعتبر مؤسفاً من وجهة نظرنا نحن.

- لقد تحدثت مع المرأة التي تعمل عندها، ولكن لم يكن في كلامها أي شيء. كما ذهبت ورأيت الفتاة صاحبة محل القبعات التي كانت صديقة لها كما يبدو.

- آه! وما رأيك بالآنسة درايفر؟

- وجدتها فتاة ذكية وواعية، ومع ذلك لم تستطع مساعدتي. إن ذلك لم يفاجئني، فمعظم الفتيات المفقودات اللاتي كان عليّ اقتفاء آثارهن يقول معارفهنّ وأصدقاؤهنّ الأشياء ذاتها دائماً: "كانت ذكية ومحبوبة ولم يكن لها أصدقاء من الرجال"، وهذا غير صحيح على الإطلاق! إن إخلاص الأصدقاء والأقارب أصحاب العقول المشوشة هو ما يجعل حياة رجل التحري صعبة للغاية.

سكت ليأخذ نفساً قبل أن يستأنف قائلاً: كان عليّ أن أبحث وأبحث، فوجدت نحو عشرة من الشبان خرجت معهم لتناول العشاء في أيام مختلفة (منهم اللورد إدجوير الحالي والممثل بريان مارتن)، ولكن لا يوجد ما يوحي بأنها كانت تهتم بواحد منهم أكثر من الآخرين ولم يكن أي منهم صديقاً خاصاً لها. إن فكرتك عن وجود رجل وراء العمل خاطئة تماماً، وأظنك ستجدها قد قامت بذلك العمل وحدها يا سيد بوارو. إنني أبحث الآن عن علاقة تجمعها مع الرجل القتيل... لا بد من وجود تلك العلاقة! أظن أن عليّ أن أذهب إلى باريس. لقد كانت كلمة باريس مكتوبة داخل العلبة الذهبية الصغيرة، كما أن اللورد إدجوير الراحل سافر إلى باريس مرات عدّة

في الخريف الماضي (كما علمتُ من الآنسة كارول) لكي يحضر المزادات ويشتري التحف. نعم، أعتقد أن عليّ الذهاب إلى باريس. التحقيق غداً سيتم تأجيله بالطبع، ويمكن أن أسافر بعد ذلك على الباخرة التي تتحرك بعد الظهر.

قال بوارو: أنت نشيط جداً يا جاب؛ هذا يدهشني.

- نعم، وأنت تزداد كسلاً؛ تجلس هنا وتفكر فقط، وتزعم أنك تستخدم خلاياك الرمادية الصغيرة! هذا لا يفيد، يجب أن تخرج لرؤية الأشياء على الطبيعة؛ فالأفكار لن تأتيك وأنت على هذه الحال.

فتحت الخادمة الباب وقالت: السيد بريان مارتن يا سيدي. هل أنت مشغول أم أسمح له بالدخول؟

نهض جاب عن مقعده قائلاً: أنا ذاهب يا سيد بوارو. يبدو أن جميع نجوم المسرح يأتون لاستشارتك.

هزّ بوارو كتفيه تواضعاً، وضحك جاب وهو يقول: يجب أن تكون الآن مليونيراً يا سيد بوارو. ماذا تفعل بالأموال؟ تدخرها؟

- إنني أميل إلى الاقتصاد بالطبع. وما دمنا نتحدث عن الأموال وتصريفها، ما هي وصية اللورد إدجوير الراحل في أمواله!

- ترك لابنته بعض الأملاك، وترك خمسمئة جنيه للآنسة كارول، ولم يوزع مخصصات أخرى. كانت وصية بسيطة جداً.

- ومتى كتبها؟

- بعد أن تركته زوجته، قبل أكثر من سنتين، وهو -بالمناسبة- قد استثناها من الإرث.

همس بوارو: "إنه رجل قاسٍ يحبّ الانتقام"، وغادر جاب بعد أن ودعنا مبتهجاً.

دخل بريان مارتن، وكان يلبس ملابس أنيقة وفاخرة بدا معها وسيماً إلى أبعد حد، ومع ذلك رأيت الحزن والإرهاق ظاهرَيْن على وجهه. قال: لعلّي قد انقطعت عنك مدة طويلة يا سيد بوارو، كما أنني ألوم نفسي إذ قد أخذت من وقتك في المرة الماضية بلا فائدة.

- حقاً؟

- نعم؛ لقد قابلت السيدة التي أشرتُ إليها في لقائي معك وجادلتها طويلاً محاولاً إقناعها باستشارتك، ولكنها أصرّت على رفض إقحامك في الأمر، وأنا أخشى -لذلك- أن نضطر إلى التخلي عن البحث في هذا الموضوع. إنّي آسف جداً... آسف جداً لإزعاجك.

قال بوارو بلطف: أبداً، أبداً؛ لقد توقعت ذلك.

بدا الشاب مشدوهاً وقال: ماذا؟ توقعت ذلك؟!

- أجل. عندما تكلمت عن استشارة صديقتك تنبأتُ بأن الأمور ستصل إلى ما وصلت إليه.

- لديك نظرية معينة إذن؟

- لرجل التحري نظريةٌ دائماً يا سيد مارتن... هذا مطلوب منه. أنا -شخصياً- لا أسميها نظرية، وإنما فكرة صغيرة. هذه هي المرحلة الأولى.

- وما هي المرحلة الثانية؟

- إذا ظهر أن هذه الفكرة صحيحة، فهذا يعني أنني عرفت! إنها بسيطة تماماً.

- أتمنى لو أنك تخبرني ما هي نظريتك، أو فكرتك الصغيرة؟

هزّ بوارو رأسه بلطف وقال: هذه قاعدة أخرى: رجل التحري لا يبوح بأفكاره أبداً.

- ألا يمكنك أن توحي لي بها؟

- سأقول -فقط- إنني شكلت نظريتي حالما ذكرتَ لي السن الذهبي.

حدق بريان مارتن فيه وقال: إنني في حيرة بالغة ولا أدرك إلامَ ترمي! ليتك تلمّح لي فقط.

ابتسم بوارو وهز رأسه، ثم قال: دعنا نغير موضوع الحديث.

- نعم، ولكن قبل ذلك يجب أن تخبرني عن أتعابك.

لوّح بوارو بيده بقوة: لا شيء، أنا لم أفعل شيئاً لمساعدتك.

- لقد أخذت من وقتك.

- عندما تثير قضيةٌ ما اهتمامي فإني لا آخذ نقوداً، وقضيتك أثارت اهتمامي كثيراً.

قال الممثل خائفاً: "هذا يسعدني"، ولكنه بدا حزيناً جداً.

قال بوارو بلطف: هيا، دعنا نتحدث عن شيء آخر.

- ألم يكن ذلك الرجل الذي رأيته على الدرج هو مفتش سكوتلانديارد؟

- بلى؛ المفتش جاب.

- كان الضوء خافتاً جداً ولذلك لم أتأكد أنه هو. بالمناسبة، لقد جاء وسألني بعض الأسئلة عن تلك الفتاة المسكينة كارلوتا آدمز التي توفيت من جرعة فيرونال زائدة.

- هل كنت تعرف الآنسة آدمز معرفةً جيدة؟

- ليس تماماً. كنت أعرفها عندما كانت طفلة في أمريكا، وقد التقيت بها هنا مصادفة مرة أو مرتين لكنني لم أرها كثيراً أبداً. لقد أسفت كثيراً على وفاتها.

- هل كنت معجباً بها؟

- نعم، وقد كان الحديث معها ممتعاً.

- إنها اجتماعية جداً. نعم، لقد لاحظت نفس الشيء.

- أظنهم يعتقدون أن الحادث ربما كان انتحاراً. لم أعرف أي شيء يمكن أن يساعد المفتش، فقد كانت كارلوتا متحفظة كثيراً في تصرفاتها.

قال بوارو: لا أعتقد أن الحادث كان انتحاراً.

- أوافقك على أن الاحتمال الأقوى أن يكون حادثاً عرضياً.

سكت الاثنان، ثم قال بوارو وهو يبتسم: إن وفاة اللورد إدجوير تثير الاهتمام، أليس كذلك؟

- هل تعرف أنت، أو هل لدى الشرطة أية فكرة عن القاتل؟ إن جين بعيدة عن الشك الآن، أليس كذلك؟

- بلى؛ يوجد شخص آخر مشتبَه به اشتباهاً قوياً.

بدا بريان مارتن دَهِشاً وقال: حقاً؟ من هو؟

- لقد اختفى كبير الخدم، والهرب -كما تعلم- يمكن أن يثير الشبهة.

- كبير الخدم! لقد فاجأتني حقاً.

قال بوارو: "إنه وسيم بشكل غير عادي، وهو يشبهك قليلاً". وأومأ له برأسه وكأنه يمتدحه.

قلت: يا إلهي! طبعاً، لقد عرفت الآن لماذا بدا لي وجه الخادم مألوفاً بعض الشيء عندما رأيته أول مرة.

قال بريان مارتن ضاحكاً: "إنك تطريني!"، ثم نهض فجأة

قائلاً: "حسناً، أشكرك كثيراً يا سيد بوارو، وأعتذر إليك عن إزعاجي لك". وصافحنا، ولاحظت -فجأة- أنه بدا أكبر سناً بكثير مما كان عليه، وكان الإرهاق بادياً عليه أكثر.

وكان الفضول قد استبدّ بي فانفجرت بالأسئلة في اللحظة التي أغلق مارتن فيها الباب وراءه: بوارو، هل كنت -حقاً- تتوقع منه أن يعود ويتخلى عن فكرة التحقيق في تلك الأشياء الغريبة التي حدثت له في أمريكا؟

- لقد سمعتني أقول ذلك يا هيستنغز.

- إذن...

فكرت في هذا الأمر تفكيراً منطقياً ثم قلت: إذن لا بد أنك تعرف هوية هذه الفتاة الغامضة التي كان عليه أن يستشيرها؟

ابتسم وقال: عندي فكرة صغيرة عنها يا صديقي. كما قلت، لقد بدأتْ الفكرة عندي من ذكر سن الذهب، وإذا كانت فكرتي الصغيرة صحيحة فإنني أعرف مَن هي هذه الفتاة وأعرف لماذا لن تسمح للسيد مارتن باستشارتي، أعرف حقيقة المسألة كلها. وكان يمكنك أن تعرف أنت ذلك لو أنك استخدمت العقل الذي منحه الله لك.

* * *

الفصل الثامن عشر

الرجل الآخر

لا أعتزم وصف ما جرى في التحقيق، سواء ذلك الذي جرى لمقتل اللورد إدجْوير أو لموت كارلوتا آدمز. فأما في قضية كارلوتا فقد كانت النتيجة أن الوفاة كانت قضاءً وقدراً، وأما في قضية اللورد إدجوير فقد تأجل التحقيق بعد الإدلاء بشهادة إثبات هوية المُتوفَّى وسماع التقرير الطبي. وقد ظهر من هذا التقرير أنه -نتيجةً لتحليل المعدة- فقد حُدِّد موعد الوفاة بما لا يقل عن ساعة بعد انتهائه من تناول العشاء مع احتمال امتداده إلى ساعة أخرى، وهذا يعني أن الوفاة قد حدثت بين الساعة العاشرة والحادية عشرة، مع احتمال أكبر بأنها حدثت في نحو الساعة العاشرة.

لم يُسمَح بتسريب أيٍّ من الوقائع حول تقمص كارلوتا لشخصية جين ويلكنسون، وقد نُشرت أوصاف الخادم المطلوب في الصحف وساد الانطباع العام بأنه هو الرجل المطلوب، واعتُبرت روايته عن حضور جين ويلكنسون إلى البيت محض افتراء، ولم يذكر أحدٌ شيئاً عن شهادة السكرتيرة التي تؤيد رواية الخادم. وقد ظهرت أعمدة

كثيرة في جميع الصحف تتحدث عن الجريمة لكنها لم تكن تحتوي إلا على القليل من المعلومات الحقيقية.

وفي غضون ذلك عرفتُ أن جاب كان شعلة من النشاط. وقد غاظني قليلاً أن بوارو اتخذ موقفاً جامداً، وشككت في أن يكون ذلك بسبب تقدمه في السنّ، وقد تعذّر أمامي بأسباب لم تكن مقنعة. أوضح: على المرء أن يتجنب المتاعب وهو في في مثل عمري.

قلت: ولكن -يا عزيزي بوارو- لا تفكر بأنك قد تقدمت بالسن.

أحسست بأنه كان بحاجة إلى منشط، وكنت أعرف أن العلاج عن طريق الإيحاء هو أحدث أنواع العلاج. قلت متحمساً: أنت ممتلئ حيوية كما كنت دائماً، وما زلت في ربيع الحياة -يا بوارو- وفي أوج قوتك. تستطيع أن تخرج وتحل هذه القضية بشكل رائع. فقط ابذل شيئاً من الجهد.

أجابني بوارو بأنه يفضل حلّها وهو جالس في بيته، فقلت له: لكنك لا تستطيع ذلك يا بوارو.

- ليس حلاً كاملاً، هذا صحيح.

- ما أعنيه هو أننا لا نفعل شيئاً... جاب يقوم بكل شيء!

- وهو ما يثير إعجابي.

- إنه لا يعجبني أبداً. أريدك أن تفعل هذه الأشياء بنفسك.

- إنني أفعل ذلك.

- ما الذي تفعله؟

- أنتظر.

- تنتظر ماذا؟

رد بوارو وعيناه تطرفان: أنتظر الصيد، سيأتيني به كلب الصيد.

- ماذا تقصد؟

- أقصد جاب الطيب. سوف يأتينا جاب -ونحن هنا- بنتيجة نشاطه الجسدي الذي يعجبك كثيراً. لديه وسائل متعددة تحت تصرفه لا أملكها، ولا أشك بأنه سيحضر لنا بعض الأخبار قريباً جداً.

كان صحيحاً أن جاب كان يجمع المعلومات عن طريق التحقيق المستمر والبطيء. لقد عاد من باريس دون الحصول على معلومات مثيرة، ولكنه جاءنا مسروراً بعد ذلك بيومين وقال: إنه عمل بطيء، لكننا توصلنا إلى شيء أخيراً.

- أهنئك يا صديقي. ما الذي حدث؟

- اكتشفتُ أن سيدة شقراء الشعر قد أودعت حقيبة صغيرة في حجرة الملابس في محطة يوستون الساعة التاسعة ليلاً، وقد تم عرض حقيبة الآنسة آدمز على عمال المحطة وأكدوا أنها نفس الحقيبة. إنها حقيبة أمريكية الصنع ولذلك فهي مختلفة قليلاً عن الحقائب العادية.

- آه، يوستون! نعم؛ إنها أقرب المحطات الكبيرة إلى ريجنب غيت. لا شك أنها ذهبت إلى هناك ووضعت المساحيق على وجهها في حمّام المحطة ثم تركت الحقيبة. متى أخذتها ثانية؟

- في العاشرة والنصف. وقد قال الموظف إن السيدة التي أودعتها هي نفس السيدة التي عادت لأخذها.

أومأ بوارو برأسه، وأكمل جاب: كما أنني توصلت إلى شيء آخر أيضاً: لديّ سبب يدفعني إلى الاعتقاد بأن كارلوتا آدمز كانت في مطعم ليونز كورنر في ستراند في الساعة الحادية عشرة.

- آه، هذا جيد! كيف عرفت هذا؟

- الحق أن ذلك كان عن طريق الصدفة تقريباً. لقد ذكرت الصحف شيئاً عن العلبة الذهبية الصغيرة التي تحمل حروفاً من الزمرد، وقد كتب أحد الصحفيين مقالاً عن تفشي تعاطي المخدرات بين الممثلات الشابات. كان ذلك في صحيفة يوم الأحد، وقد أشار إلى العلبة الذهبية الصغيرة القاتلة بمحتوياتها المهلكة، وذكر صاحبتها الشابة المثيرة للشفقة صاحبة المستقبل الواعد، كما تحدث عن المكان الذي قضت فيه ليلتها الأخيرة وكيف كانت تشعر... إلخ. ويبدو أن نادلة في مطعم كورنر قرأت المقال وتذكرت أن إحدى السيدات اللاتي قدّمتْ لهن الطعام في تلك الليلة كانت تحمل بيدها مثل هذه العلبة. تذكرت أنها قرأت عليها الحرفين «ك. أ.»، وبدأت تتحدث عن ذلك لجميع أصدقائها. وقد عرف صحفي شاب بهذا الخبر في الحال وسينشر مقالاً مثيراً في صحيفة «بريد المساء» هذه الليلة: "الساعات الأخيرة للممثلة الموهوبة"... "انتظارها للرجل الذي

لم يأتِ أبداً"... "حدس الممثلة بأن أختها لم تكن على ما يرام"... أنت تعرف مثل هذا الهراء الذي يكتب في الصحف يا سيد بوارو.

- وكيف وصل هذا إلى مسمعك بهذه السرعة؟

- آه! علاقتنا جيدة مع صحيفة «بريد المساء». لقد عرفتُ بالأمر عندما كان ذلك الصحافي الذكي الشاب عندهم يحاول الحصول مني على خبر عن شيء آخر، ولذلك ذهبت مباشرة إلى مطعم كورنر.

وفكرت: "نعم؛ هذه هي الطريقة التي يجدر أن تتبع"، وأحسست بالشفقة على بوارو. كان جاب يحصل على هذه الأخبار من مصادرها الأصلية، وربما على التفاصيل المهمة الخفية، بينما كان بوارو راضياً تماماً بالأخبار التافهة.

ومضى جاب قائلاً: لقد رأيت الفتاة، ولا أظن أن كثيراً من الشكوك تحيط بالأمر. لم تستطع التعرف إلى صورة كارلوتا آدمز، لكنها قالت -بعد ذلك- إنها لم تلحظ وجه المرأة. قالت إنها كانت شابة داكنة الشعر نحيلة وتلبس ملابس أنيقة جداً وقبعة جديدة. ليت النساء ينظرن إلى الوجوه أكثر من نظرهن إلى القبعات!

قال بوارو: لم يكن من السهل ملاحظة وجه الآنسة آدمز؛ إنه سريع التقلب.

- أعتقد أنك مصيب. كانت المرأة تلبس الأسود -كما قالت الفتاة- وكانت تحمل معها حقيبة صغيرة. لقد لاحظت الفتاة ذلك على وجه خاص لأنها رأت أن من الغريب بالنسبة لسيدة أنيقة الملبس أن تحمل معها مثل تلك الحقيبة. وقد طلبت بيضاً مقلياً وبعض

القهوة، لكن الفتاة تعتقد أنها كانت تصرف الوقت بانتظار شخص ما. كانت معها ساعة يدوية وظلت تنظر إليها، وقد لاحظت الفتاة العلبة عندما جاءت لتعطيها الفاتورة. أخرجتها السيدة من حقيبتها اليدوية ووضعتها على الطاولة وهي تنظر إليها، وفتحت الغطاء ثم أغلقته ثانية، وكانت تبتسم بسرور. وقد لاحظت الفتاة العلبة بالذات لأنها كانت جميلة الشكل وقالت: "أحب أن تكون لي علبة ذهبية مثلها عليها أحرف اسمي الأولى بالزمرد".

كان واضحاً أن الآنسة آدمز جلست هناك بعض الوقت بعد أن دفعت الفاتورة، ثم نظرت إلى ساعتها من جديد في آخر الأمر، وبدت وكأنها قد تخلت عن انتظارها وخرجت.

رأيت بوارو عابساً وقال: كان موعداً مع شخص لم يأت. هل قابلت كارلوتا آدمز ذلك الشخص لاحقاً أم أنها فشلت في لقائه وذهبت إلى البيت محاوِلةً الاتصال به بالهاتف؟ ليتني أعرف... آه، ليتني أعرف!

- هذه نظريتك يا سيد بوارو. أنت ترى وجود رجل غامض وراء الستار. إن ذلك الرجل المستتر أسطورة. لن أنفي احتمال انتظارها شخصاً ما؛ فهي ربما حددت موعداً للالتقاء بشخص هناك بعد انتهاء عملها مع اللورد على أحسن ما يرام. لقد غيرت مظهرها في المحطة وأخرجت الحقيبة وذهبت إلى موعدها، ثم -بعد ذلك- يستولي عليها ما يسمونه «رد الفعل»... الرعب مما فعلته، وعندما لم يظهر صديقها قُضِي على آمالها. ربما كان شخصاً يعرف أنها كانت ذاهبة إلى ريجنت غيت في تلك الليلة وأحست بأن اللعبة قد انتهت

ولذلك أخرجت علبة المخدرات الصغيرة. جرعة زائدة منها وكل شيء ينتهي. لن تُشنَق على الأقل، لأن الأمر واضح جداً وضوح أنفك في وجهك!

تحسس بوارو أنفه بيده مرتاباً ثم نزلت أصابعه إلى شاربيه، تحسسهما بلطف وبدت ملامح الاعتزاز على وجهه.

قال جاب وهو يواصل كلامه بعناد: لم يكن وراء هذا العمل أي دليل على وجود رجل غامض. لم أتوصل لأي دليل -بعد- على وجود صلة بينها وبين اللورد ولكني سأفعل... إنها مسألة وقت فقط. لا بد من القول بأن أملي قد خاب في مسألة باريس، لكن تسعة أشهر مضت تعتبر فترة طويلة. ومع ذلك أرسلت شخصاً ليقوم بالتحقيقات هناك. أنا واثق من أن شيئاً ما سيظهر، وإن كنت أعرف أنك لا تعتقد ذلك، فأنت عجوز عنيد قاسي الرأس.

- لقد أهنت أنفي أولاً ثم رأسي!

قال جاب مهدئاً: إنه كلام مجازي فقط... لم تكن نيتي سيئة.

قلت: الإجابة على ذلك أنه لم يفهمها هكذا.

نظر بوارو إلينا متحيراً تماماً (فهو لم يكن ليفهم هذه التعبيرات الإنكليزية المجازية). سأله جاب مازحاً وهو عند الباب: هل توجد أي أوامر؟

ابتسم بوارو وقال: أوامر؟ لا، ولكنْ لديّ اقتراح.

- حسناً. ما هو؟

- اقتراح بأن تستدعي سائقي سيارات الأجرة. ابحث عن واحد حمل ركاباً من دار الأوبرا في كوفنت غاردن إلى ريجنت غيت ليلة الجريمة. وبالنسبة للوقت، قد يكون في الساعة الحادية عشرة إلا ثلثاً.

حدق جاب فيه متيقظاً. بدا مثل كلب صيد ذكي وقال: هل هذا هو الاقتراح؟ حسناً، سأنفّذه... لا ضرر في الأمر، كما أنك تعرف ما تتحدث عنه في العادة.

وحالما غادر جاب نهض بوارو وبدأ ينظف قبعته بنشاط، وقلت له: لأول مرة لا أجدني محتاجاً لأن أسألك. إن الأمر يبدو في منتهى الوضوح، ولكن هل تعتقد أن هذا صحيح؟

ولكنه قال بدل أن يجيبني: أنا ذاهب الآن إلى الحمام يا صديقي. أرجو أن تسمح لي بالقول إن ربطتك لا تسرني.

- إنها ربطة جيدة جداً.

- هذا ممكن، ولكنها قديمة الطراز. أرجوك أن تغيرها، وامسح الغبار عن كمك الأيمن.

سألته ساخراً: وهل نعتزم زيارة الملك جورج؟

- لا؛ لكني قرأت في الصحيفة هذا الصباح أن دوق ميرتون قد عاد إلى لندن، وقد عرفت أنه عضو مهم في الطبقة الأرستقراطية الإنكليزية، ولذلك يجب أن نظهر أمامه بمظهر لائق.

- لماذا تريد زيارة دوق ميرتون؟

- أرغب في رؤيته.

كان ذلك كل ما استطعت الحصول عليه، وعندما أعجبت أناقتي بوارو ذهبنا لزيارته.

وعندما وصلنا بيت ميرتون سأل الخادم بوارو إن كان لديه موعد، ورد عليه بوارو بالنفي، فأخذ الخادم البطاقة وعاد بعد وقت قصير قائلاً إن الدوق يعتذر عن عدم قدرته على استقبالنا لأنه كان مشغولاً ذلك الصباح لدرجة كبيرة. وعلى الفور جلس بوارو على كرسي وقال: جيد، سأنتظر... سأنتظر عدة ساعات إذا تطلب الأمر.

ولكن لم يكن الانتظار طويلاً، فما لبث الدوق أن استدعى بوارو لمقابلته، ولعله وجد أن تلك كانت أسرع طريقة للتخلص من هذا الزائر المزعج.

كان الدوق في السابعة والعشرين من العمر تقريباً. لم يكن جذاباً في مظهره حيث كان نحيفاً واهناً وكان شعره خفيفاً غريب الشكل وقد بدأ الصلع يغزوه عند الصدغين، وكان فمه صغيراً ساخراً وعيناه حالمتين. وقد بدا -في الجملة- مثل شاب ناحل يبيع الخردوات أكثر من كونه دوقاً. هذا هو الرجل الذي وقع فريسة لجين ويلكنسون... وكان هذا مثيراً للسخرية إلى أبعد حد!

كان استقباله لنا رسمياً وفاتراً تنقصه الكياسة. وقدم بوارو نفسه: ربما تعرف اسمي؟

- لم أتعرف إليه.

- إنني أدرس سيكولوجية الجريمة.

بقي الدوق صامتاً وهو يجلس وراء طاولة كتابة وأمامه رسالة لم يكن قد أنهى كتابتها، وبدأ يدق بقلمه على الطاولة بنفاد صبر. ثم سأل ببرود: ما سبب رغبتك في رؤيتي؟

كان بوارو يجلس مقابله وظهره إلى النافذة التي كان الدوق مواجهاً لها. قال: إنني أقوم -في الوقت الراهن- بالتحقيق في الظروف المرتبطة بمقتل اللورد إدجوير.

لم تتحرك أية عضلة في جسده الضعيف غير وجهه العنيد: حقاً؟ لم أكن أعرفه.

- لكني أعتقد أنك تعرف زوجته، السيدة جين ويلكنسون؟

- هذا صحيح.

- هل تدرك أنها كانت راغبة -بقوة- في وفاة زوجها؟

- الحق أني لا أدرك شيئاً من هذا.

- أريد أن أسألك سؤالاً صريحاً يا حضرة الدوق: هل ستتزوج السيدة جين ويلكنسون قريباً؟

قال غاضباً: "عندما أعتزم الزواج بأية امرأة فسوف أعلن الخبر في الصحف. إن سؤالك هذا وقح". ونهض قائلاً: طاب صباحك.

وقف بوارو هو الآخر وقد بدا كالأخرق، ورفع رأسه وقال متلعثماً: لم أقصد... إنني... أرجو منك المعذرة...

ردَّد الدوق وبصوت أعلى قليلاً: طاب صباحك.

استسلم بوارو هذه المرة، فأشار بيده علامة تدل على يأسه وغادرنا للتو ونحن نحس أننا قد طردنا طرداً أرستقراطياً! وأحسست بالأسى والشفقة على بوارو؛ فكلامه المنمق المعتاد لم يؤدِّ إلى نتيجة جيدة. من الواضح أن دوق ميرتون يعتبر رجل التحري أقل من حشرة صغيرة!

قلت متعاطفاً معه: لم تَسِر الأمور على ما يرام. يا له من رجل فظ عنيد! ما الذي أردت رؤيته من أجله؟

- أردت أن أعرف إن كان سيتزوج جين ويلكنسون حقاً؟

- لقد قالت هذا.

- آه، قالت هذا! لكنها -كما تعرف- يمكن أن تزعم أي شيء يوافق غرضها. ربما كانت قد قررت الزواج به ولكن من غير أن يدرك هذا المسكين تلك الحقيقة!

- لقد طردك بصورة سيئة.

قال بوارو: "أعطاني الرد الذي كان سيعطيه لأي صحفي، نعم". ثم ضحك وقال: لكني عرفت... عرفت حقيقة القضية بالضبط.

- كيف عرفت؟ مِنْ طريقة تصرفه؟

- أبداً. ألم تلاحظ أنه كان يكتب رسالة؟

- بلى.

- جيد. لقد علمت -عندما كنت أعمل في سلك الشرطة في بلجيكا أيام شبابي- أن من المفيد جداً قراءة الخط المقلوب. هل أذكر لك ما الذي كان يكتبه في تلك الرسالة؟ "عزيزتي جين، محبوبتي، ملاكي الجميل، كيف أصف لك ما أنتِ بالنسبة لي؟ أنت التي عانيت الكثير! طبيعتك الجميلة... ".

صحت مستاء أريد أن أوقفه: بوارو!

- كان ذلك ما كتبه حتى تلك اللحظة: "طبيعتك الجميلة، أعرفها...".

أحسست بالضيق. أما هو فكان مسروراً بعمله ذاك بصورة ساذجة. صحت: بوارو، لا يمكنك أن تفعل شيئاً كهذا... تنظر إلى رسالة خاصة.

- إنك تقول كلاماً أحمق يا هيستنغز، من السخافة أن تقول: "لا يمكنني أن أفعل هذا" وهو ما قد فعلته!

- لقد... لقد كنت تلعب لعبة.

- أنا لا ألعب، وأنت تعرف هذا. جريمة القتل ليس لعباً؛ إنها عمل خطير!

لبثت صامتاً، واستأتُ من ذلك العمل الذي عمله بوارو من غير وازع من ضمير. قلت: لم يكن ضرورياً أبداً. لو أنك أخبرته -فقط- أنك ذهبت إلى اللورد إدجْوير بناء على طلب جين ويلكنسون لكان عاملك معاملة مختلفة تماماً.

- آه! لكني لم أستطع فعل ذلك؛ فجين ويلكنسون كانت موكلتي، ولا أستطيع أن أتكلم عن أمور موكلتي لشخص آخر. لقد توليت المهمة سراً، وليس من اللائق الحديث عنها علناً.

- من غير اللائق؟

- بالضبط.

- لكنها ستتزوجه؟

- هذا لا ينفي أن تخفي عنه أسراراً. إن أفكارك عن الزواج قديمة جداً! لا، لم يكن بإمكاني أن أفعل ما تقول يا هيستنغز؛ فأنا أحرص على سمعتي كرجل تحر، والسمعة الطيبة شيء مهم جداً!

* * *

قال بوارو حالماً: وجدت -ذات مرة- دليلاً ولكنّ أحداً لم يصدق لأن طوله كان أربعة أقدام بدلاً من أن يكون أربعة سنتمترات.

تذكرت الحادثة وضحكت، ثم تذكرت مهمتي فقلت: الأمر على ما يرام؛ راقبت جيداً، ولكن أحداً لم يكن يتجسس عليك حسبما رأيت.

قال بوارو بنوع من السخرية اللطيفة: إنهما عينا صديقي هيستنغز! قل لي يا صديقي: هل لاحظت الوردة التي كانت بين شفتيّ؟

سألته مدهوشاً: الوردة التي بين شفتيك؟

التفت جاب جانباً وهو يقهقه وقال:رأنت ستكون السبب في موتي يا سيد بوارو. وردة! وماذا بعد ذلك؟

قال بوارو دون أن ينزعج: تخيلت أنني كنت كارمن.

تساءلت -في نفسي- إن كان الرجلان مجنونين أم أنا المجنون.

- ألم تلحظها يا هيستنغز؟

كانت نبرة التأنيب واضحة في صوت بوارو فقلت محدقاً إليه: في الواقع لم أفعل؛ لم أستطع رؤية وجهك في تلك اللحظة.

هز رأسه هزة خفيفة وقال: لا يهم.

ترى هل كانا يسخران مني؟

قال جاب: حسناً، أظن أننا انتهينا من هنا. أريد رؤية الابنة مرة أخرى إن كان باستطاعتي هذا. لقد كانت متضايقة جداً عندما رأيتها أول مرة ولم أتمكن من الحصول منها على أي شيء.

قرع الجرس ليطلب رئيس الخدم: أرجو أن تسأل الآنسة مارش إن كان بوسعي رؤيتها لبضع لحظات.

غادر الرجل الغرفة، ولم يكن هو الذي عاد بعد دقائق بل الآنسة كارول التي دخلت قائلة: جيرالدين نائمة؛ فلقد تلقت صدمة عنيفة هذه الطفلة المسكينة! بعد أن غادرتَ البيت أعطيتُها دواء منوماً، وهي تغطّ الآن في نوم عميق، ربما تستيقظ بعد ساعة أو ساعتين.

وافق جاب، وقالت الآنسة كارول بتصميم: على أية حال فلا يوجد عندها ما تقوله زيادة عمّا قلته أنا.

سألها بوارو: ما رأيك في كبير الخدم؟

أجابت الآنسة كارول: لا أحبه كثيراً. وهذه حقيقة، لكني لا أستطيع إخبارك بالسبب.

كنّا قد وصلنا إلى الباب الأمامي، وفجأة أشار بوارو إلى أعلى الدرج وهو يقول: كنتِ واقفة هناك الليلة الماضية يا آنسة، أليس كذلك؟

- بلى، لماذا؟

- ورأيتِ الليدي إدجوير وهي تسير في الصالة وتدخل المكتب؟

- نعم.

- وهل رأيتِ وجهها بوضوح؟

- بالتأكيد.

- **ولكن لم يكن بإمكانك رؤية وجهها يا آنسة.** كنت تستطيعين فقط رؤية مؤخرة رأسها من المكان الذي كنت تقفين فيه.

احمرّ وجه الآنسة كارول غضباً، وبدت ذاهلة وهي تقول: مؤخرة رأسها، صوتها، مشيتها... إنه نفس الشيء. لم أخطئها بالتأكيد! **أعرف** أنها جين ويلكنسون... امرأة سيئة لا مثيل لها.

ثم التفتت مبتعدة واندفعت إلى أعلى الدرج.

* * *

الفصل الثامن

احتمالات

كان على جاب أن يتركنا، وذهبت مع بوارو إلى حديقة ريجنت حيث وجدنا مقعداً هادئاً. قلت ضاحكاً ونحن نجلس عليه: فهمت الآن مغزى الوردة التي بين شفتيك؛ كدت أظن في تلك اللحظة أنك قد جننت.

أومأ دون أن يبتسم وقال: كما ترى يا هيستنغز فإن السكرتيرة شاهدة خطيرة... خطيرة بسبب عدم دقتها. هل لاحظت كيف كانت متأكدة أنها رأت وجه الزائرة؟ عرفتُ -لحظتها- أن ذلك كان مستحيلاً، فلو كانت قادمة من غرفة المكتب لأمكن أن تراها ولكن ليس وهي ذاهبة إلى المكتب، ولذلك قمت بتجربتي الصغيرة التي نتج عنها ما كنت أعتقده، ثم فاجأتها بكلامي، وعلى الفور غيرت رأيها.

جادلته قائلاً: إنها لم تغير رأيها، ومع ذلك لا يمكنها أن تخطئ في معرفة الصوت والمشية.

- نعم، نعم.

- أظن أن الصوت والمشية من الخصائص المميزة للشخص.

- أوافقك على ذلك، ولكنهما يمكن تزييفهما بسهولة.

- أنت تعتقد...

- ارجع بذاكرتك إلى الوراء قبل بضعة أيام. هل تتذكر تلك الليلة عندما كنا جالسين في قاعة المسرح؟

- كارلوتا آدمز؟ آه، إنها عبقرية.

- ليس من الصعب تقليد شخصية معروفة، لكني أوافقك على أنها ذات مواهب غير عادية. أظن أنها تستطيع العمل دون الاستعانة بأضواء المسرح.

خطرت في ذهني فكرة مفاجئة فصحت: بوارو، أنت لا تعتقد أن هذا محتمل! لا، هذا فيه كثير من المصادفة.

- يعتمد الأمر على الجهة التي تنظر منها يا هيستنغز، إذا نظرت إليها من زاويةٍ ما فلن تكون مصادفة.

- ولكن لماذا تريد كارلوتا آدمز قتل اللورد إدجوير؟ إنها حتى لا تعرفه.

- كيف عرفت أنها لا تعرفه؟ لا تفترض أشياء يا هيستنغز. قد تكون بينهما علاقة لا نعرفها، وإن كانت هذه ليست نظريتي بالضبط.

- إذن فعندك نظرية؟

- نعم، إن احتمال كون كارلوتا آدمز متورطةً قد خطر لي منذ البداية.

- ولكن، يا بوارو...

- انتظر يا هيستنغز، دعني أوضح لك بعض الحقائق. لقد ناقشت الليدي إدجْوير علاقتها مع زوجها دون أي تحفظ، حتى إنها ذهبت أبعد من ذلك وتحدثت عن قتله. ليس أنا وأنت الوحيدين اللذين سمعنا هذا. لقد سمعه النادل وخادمتها التي قد تكون سمعته أكثر من مرة وبريان مارتن سمعه، و أظن أن كارلوتا آدمز نفسها سمعته، وقد يوجد أناس ربما كرر لهم هؤلاء الأشخاص كلامها، ثم في نفس تلك الليلة ظهرت براعة كارلوتا آدمز في تقليد جين إلى درجة تثير الإعجاب. مَن كان عنده دافع لقتل اللورد إدجْوير؟ زوجته. و الآن افترض أن شخصاً آخر يريد قتل اللورد إدجْوير. يوجد هنا كبش فداء جاهز بين يديه، ففي اليوم الذي أعلنت فيه جين ويلكنسون أنها مصابة بالصداع وتريد أن ترتاح وُضعت الخطة قيد التنفيذ. يجب أن تُشاهَد الليدي إدجْوير وهي تدخل البيت في ريجنت غيت. حسناً، لقد رأوها، إنها تذهب أبعد من ذلك وتكشف عن هويتها... آه؛ هذا سيثير الشكوك! وتوجد نقطة أخرى، نقطة صغيرة. فالمرأة التي جاءت إلى البيت الليلة الماضية كانت تلبس الأسود، وجين ويلكنسون لم تلبس الأسود أبداً؛ لقد سمعناها وهي تقول هذا. إذن دعنا نفترض أن المرأة التي جاءت إلى البيت الليلة الماضية لم تكن جين ويلكنسون، بل امرأة تنتحل شخصيتها، فهل قتلت تلك المرأة اللورد إدجْوير؟ كيف برّرتْ حضورها؟ قد تخدع كبير الخدم الذي لم يكن يعرفها والسكرتيرة التي لم ترها من مكان قريب، لكنها لم

تكن تستطيع خداع زوجها. أم أنه كان في الغرفة جثة هامدة وقتها؟ هل قُتل اللورد إدجْوير قبل دخولها البيت، في وقت ما بين التاسعة والعاشرة؟ هل دخل شخص ثالث ذلك البيت وقتل اللورد إدجوير؟ إن كان كذلك فهل دخل هذا الشخص قبل الزيارة المفترَضة للّيدي إدجوير أم بعدها؟

صرخت: اسكت يا بوارو... لقد جعلت رأسي يدور.

- لا، لا يا صديقي، إننا نفكر في الاحتمالات فقط. هذا مثل تجربة الملابس: هل هذا مناسب؟ لا، هل يبدو متجعداً فوق الكتفين؟ هذا الثوب؟ نعم، هذا أفضل، لكنه ليس كبيراً لدرجة كافية، هذا الثوب الآخر صغير جداً. وهكذا و هكذا... إلى أن نصل إلى الثوب المناسب: **الحقيقة**.

سألته: مَن تشكّ أنه ارتكب هذا العمل الشرير؟

- آه، إن هذا الاكتشاف مبكر جداً. يجب أن ندرس مسألةَ مَنْ لديه الدافع لقتل اللورد إدجْوير. يوجد -بالطبع- ابن أخيه الذي يرثه، قد يكون هذا واضحاً قليلاً. ثم علينا أن نفكر بمسألة الأعداء، رغماً عن رأي الآنسة كارول الجازم. ألا تلاحظ أن اللورد كان شخصاً يمكن وجود أعداء له بسهولة.

وافقته: بلى؛ هذا صحيح.

- أيّاً كان ذلك الشخص فلا بد أنه توهّمَ بأنه في مأمن. تذكّر -يا هيستنغز- أنه لو لم تغير جين ويلكنسون رأيها في الدقيقة الأخيرة لما أمكنها الحصول على دليل يبرئها. ربما كانت في غرفتها في

فندق سافوي ولكن سيكون من الصعب إثبات ذلك، وربما اعتقلت وحوكمت، بل ربما انتهى بها الأمر إلى أن تُشنَق.

ارتعشت أوصالي، وأكمل بوارو: ولكن شيئاً واحداً يحيرني، إن الرغبة في إدانتها واضحة، ولكن ماذا -إذن- عن المكالمة الهاتفية؟ لماذا اتصل بها شخص في تشيسويك وعندما اقتنع بوجودها هناك أغلق السماعة على الفور؟ يبدو الأمر وكأن شخصاً أراد التأكد من وجودها هناك قبل أن يشرع في... ماذا؟ كان ذلك في الساعة التاسعة والنصف، أي قبل وقوع الجريمة بالتأكيد. إذن يبدو أن النية كانت طيبة... لا أجد كلمة أخرى لوصفها! لا يمكن أن يكون القاتل هو الذي اتصل؛ فالمجرم قد وضع كل خططه لتجريم جين. إذن فمن كان؟ يبدو الأمر كأن لدينا هنا مجموعتين من الظروف مختلفة الواحدة منهما عن الأخرى كلياً.

هززت رأسي متحيراً تماماً وقلت: قد تكون مصادفة لا غير.

- لا، لا؛ لا يمكن أن يكون كل ذلك مصادفة. قبل ستة أشهر تم التكتم على موضوع رسالة. لماذا؟ لدينا أشياء كثيرة جداً لا يمكن تفسيرها، ولا بد من وجود سبب يربطها معاً.

تنهد، ثم أكمل فوراً: وتلك القصة التي جاءنا بها بريان مارتن!

- ليس لمسألته علاقة بهذه القضية يا بوارو بالتأكيد.

- أنت جاهل يا هيستنغز، جاهل وأحمق! ألا ترى أن الأمر

كله مخطط؟ مخطط غير واضح في الوقت الراهن لكنه سيتضح تدريجياً فيما بعد.

أحسست بأن بوارو كان مفرطاً في التفاؤل. لم أشعر بأن شيئاً سوف يتضح، وأحسست بأن رأسي يدور. قلت فجأة: هذا لا يفيد؛ لا أصدق أنه من عمل كارلوتا آدمز. إنها تبدو فتاة دمثة الأخلاق تماماً.

ومع أنني تكلمت بهذه الكلمات إلا أنني تذكرت كلمات بوارو عن حب المال. هل كان ذلك كلاماً مبهماً؟ شعرت بأن بوارو كان ملهَماً في تلك الليلة. لقد عرف أن جين في خطر نتيجة المزاج الغريب والأناني، ورأى أن كارلوتا تضللنا بجشعها.

قال بوارو: لا أعتقد أنها ارتكبت جريمة القتل يا هيستنغز؛ إنها باردة المزاج ومتزنة العقل ولا تفعل ذلك. ربما لم يخبرها أحدٌ بأن جريمة ستقع... ربما تم استخدامها ببراءة. ولكن...

سكت وهو يعبس: حتى لو كان هذا صحيحاً فإنها تتستر على المجرم بعد حدوث الجريمة الآن. أقصد أنها ستقرأ الخبر اليوم، وسوف تدرك...

صاح بوارو بصوت أجش: أسرع يا هيستنغز، أسرع. لقد كنت أعمى... أحمق! سيارةَ أجرة، فوراً.

حدقتُ فيه، فلوح بيديه صائحاً: "سيارة أجرة... فوراً". وأشار إلى سيارة أجرة عابرة، فتوقفت وقفزنا فيها، ثم قال: هل تعرف عنوانها؟

- تقصد كارلوتا آدمز؟

- نعم، نعم. بسرعة يا هيستنغز، بسرعة. كل دقيقة لها قيمتها، ألا تفهم؟

قلت: في الواقع لا أفهم.

تلفظ بوارو بألفاظ السباب بصوت خافت ثم قال: دليل الهاتف؟ لا، لا يوجد لها اسم فيه. المسرح؟

وفي المسرح حاولوا الممانعة في إعطائنا عنوان كارلوتا، لكن بوارو نجح في الحصول عليه. كانت تقيم في شقة في مجمع سكني قرب ساحة سلوني، وذهبنا إلى هناك بالسيارة، وكان بوارو في حالة اهتياج وقد نفد صبره.

- أرجو أن لا أكون قد تأخرت يا هيستنغز، أرجو أن لا أكون قد تأخرت.

- ما كل هذه العجلة؟ لا أفهم. ماذا يعني هذا؟

- هذا يعني بأنني كنت بطيئاً، بطيئاً جداً في فهم الحقيقة الواضحة. آه! ليتنا نصل في الوقت المناسب يا صديقي.

* * *

الفصل التاسع
حادث الوفاة الثاني

برغم أنني لم أفهم سبب اهتياج بوارو إلاّ أنني كنت أعرفه جيداً، ولذلك كنت واثقاً أن لديه سبباً قوياً. وصلنا إلى مجمع الشقق، وقفز بوارو من السيارة بعدما دفع الأجرة للسائق وأسرع إلى المبنى. كانت شقة الآنسة آدمز في الطابق الأول، وقد عرفنا ذلك من لوحة ملصقة عند مدخل البناية. وصعد بوارو الدرج مسرعاً ولم ينتظر المصعد الذي كان موجوداً في أحد الأدوار العلوية.

رنَّ الجرسَ وضرب الباب، وبعد تأخير قصير فتحت البابَ امرأةٌ متوسطة العمر أنيقة المظهر. كان شعرها مشدوداً إلى الوراء وعيناها محمرتين كأنها كانت تبكي. سألها بوارو بلهفة: آنسة آدمز.

نظرت المرأة إليه: ألم تسمع؟

- أسمع؟ أسمع ماذا؟

انقلب وجهه شاحباً، وأدركتُ أن ذلك ما كان يخشاه. واصلت

المرأة حديثها وهي تهز رأسها: لقد ماتت. ماتت وهي نائمة... أمر رهيب!

استند بوارو بظهره إلى الباب وهو يهمس: تأخرنا كثيراً.

كان اهتياجه واضحاً مما جعل المرأة تنظر إليه بإمعان. ثم قالت: اسمح لي يا سيد بسؤالك: هل أنت من أصدقائها؟ لا أتذكر أنني رأيتك هنا من قبل؟

لم يجبها بوارو مباشرة، وبدلاً من ذلك قال: هل استدعيت الطبيب؟ ماذا قال؟

- أخذتْ جرعة زائدة من الحبوب المنومة. آه، إنه أمر مؤسف! كانت امرأة لطيفة. هذه الأدوية خطيرة ومخيفة، وقد قال الطبيب إنها كانت من حبوب الفيرونال.

انتصب بوارو فجأة وتغير أسلوب حديثه. قال: يجب أن أدخل.

وظهر الارتياب في وجه المرأة وبادرت بالقول: لا أعتقد...

لكن بوارو كان عازماً على شق طريقة فاستخدم الأسلوب الوحيد الذي تمكن أن يؤدي إلى النتيجة المطلوبة. قال: يجب أن تدخليني؛ أنا رجلُ تحرٍّ ويجب أن أحقق في ظروف وفاة سيدتك.

تنهدت المرأة ووقفت جانباً، ودخلنا إلى الشقة، ومنذ تلك اللحظة سيطر بوارو على الموقف. قال بلغة الأمر: ما أخبرتُك به سر للغاية ويجب أن لا يُذكر لأحد. يجب أن يظلّ الجميع معتقداً بأن

وفاتها كانت حادثاً عارضاً. أرجو أن تعطيني اسم وعنوان الطبيب الذي استدعيته يا مدام.

- إنه الدكتور هيث، منزل رقم ١٧ بشارع كارليسلي.

- وأنت ما اسمك؟

- إليس بينيت.

- أرى أنك كنت تلازمين الآنسة آدمز، آنسة بينيت.

- نعم يا سيدي. كانت امرأة شابة لطيفة. لقد عملت عندها منذ العام الماضي عندما جاءت إلى هنا. لم تكن تشبه واحدة من هؤلاء الممثلات، بل كانت سيدة شابة حقيقية يصعب إرضاؤها، فهي تريد كل شيء.

أصغى بوارو باهتمام وتعاطف، ولم تعد تظهر عليه أية علامة على نفاد الصبر، وبدا أن أفضل طريقة لانتزاع المعلومات هي في إلقاء الأسئلة بأسلوب رقيق. قال بلطف: لا بد أن هذا كان صدمة كبيرة لك.

- صحيح يا سيدي. أخذتُ لها الشاي في الساعة التاسعة والنصف كالمعتاد، فرأيتها مستلقية هناك. ظننتها نائمة فوضعت الصينية على الطاولة وسحبت الستائر، وقد علِقَتْ إحدى الحلقات -يا سيدي- فاضطررت إلى جرها بقوة. لقد أحدثت صوتاً عالياً، وفوجئت عندما لاحظت أنها لم تستيقظ، وأحسست بشيء غير طبيعي... طريقة استلقائها لم تكن طبيعية. ذهبت إلى جانب السرير ولمست يدها فوجدتها باردة كالثلج، وبدأت بالصياح.

سكتت والدموع تنهمر من عينيها، فقال بوارو متعاطفاً: نعم، نعم. لا بد أنه موقف مخيف بالنسبة لك. هل كانت الآنسة آدمز تتناول الحبوب المنومة في العادة؟

- كانت تأخذ حبوباً للصداع من وقت لآخر يا سيدي. بعض الحبوب الصغيرة في زجاجة، لكن الحبوب التي أخذتها الليلة الماضية كانت من نوع آخر، أو هكذا قال الطبيب.

- هل جاء أحد لزيارتها الليلة الماضية؟ زائر مثلاً؟

- لا يا سيدي؛ كانت خارج البيت مساء أمس.

- هل أخبرتك أين كانت ذاهبة؟

- لا يا سيدي، وقد خرجت في الساعة السابعة تقريباً.

- آه! ماذا تلبس؟

- كانت تلبس ثوباً أسود يا سيدي... ثوباً أسود وقبعة سوداء.

نظر بوارو إليّ، ثم سألها: هل كانت تلبس أية جواهر؟

- فقط عقد اللؤلؤ الذي تلبسه دائماً يا سيدي.

- وقفازات... قفازات رمادية، أليس كذلك؟

- بلى يا سيدي؛ كان قفازها رماديين.

- آه! والآن صفي لي -إن أمكن- كيف كان سلوكها. هل كانت مرحة؟ حزينة؟ عصبية؟

- بدا لي أنها كنت مسرورة من شيء ما يا سيدي، وقد ظلّت تبتسم وحدها كأنها تتضاحك مع شخص آخر.

- متى عادت إلى البيت؟

- بعد الثانية عشرة بقليل يا سيدي.

- وكيف كان سلوكها وقتها؟ نفس الشيء؟

- كانت متعبة جداً يا سيدي.

- لكنها لم تكن متضايقة أو مكتئبة؟

- أبداً. أظن أنها كانت مسرورة من شيء ما، لكنها كانت مرهقة فقط. بدأت الاتصال بشخص عن طريق الهاتف ثم قالت إنها غير مهتمة بالاتصال أكثر من ذلك، وقالت إنها ستتصل غداً صباحاً.

لمعت عينا بوارو من الإثارة، ومال إلى الأمام وتكلم بصوت ظاهره اللامبالاة: هل سمعتِ اسم الشخص الذي اتصلت به؟

- لا يا سيدي. لقد طلبتْ الرقم فقط وانتظرت، ولا بد أن عاملة البدالة قالت لها: "إنني أحاول الاتصال بالرقم" كما هي العادة، وردّتْ عليها: "لا بأس". ثم تثاءبت وقالت: "أنا لا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك؛ إنني متعبة جداً". ثم وضعت السماعة وبدأت تستعد للنوم.

- والرقم الذي اتصلتْ به، هل تتذكرينه؟ أظن أن هذا مهم.

- آسفة لأني لا أتذكره يا سيدي. كان رقماً محلياً وهذا كل ما يمكنني أن أتذكره؛ فلم أكن مُصغيةً لها.

- هل أكلتْ أو شربت أي شيء قبل أن تذهب للنوم؟

- كأساً من الحليب كما تفعل عادة.

- ومن جاء لها بالحليب؟

- أنا يا سيدي.

- ألم يأتِ أحدٌ إلى الشقة في تلك الليلة؟

- لا أحد يا سيدي.

- وقبل ذلك أثناء النهار؟

- لم يأت أحد حسبما أتذكر يا سيدي. كانت الآنسة آدمز خارج البيت ساعة الغداء والعصر، وعادت إلى هنا الساعة السادسة مساءً.

- متى جاء الحليب؟ الحليب الذي شربته الليلة الماضية؟

- كان الذي شربته هو الحليب الجديد يا سيدي، الحليب الذي نتسلمه بعد الظهر، حيث يتركه الولد خارج الباب الساعة الرابعة. ولكن، أنا متأكدة -يا سيدي- أنه لم يكن في الحليب أي شيء غير طبيعي؛ لقد شربتُ منه هذا الصباح مع الشاي، كما أن الطبيب كان متأكداً أنها تناولت الحبوب السيئة تلك بنفسها.

- لعلي أكون مخطئاً، نعم، ربما كنت مخطئاً. سوف أرى الطبيب ولكن -كما تعرفين- فقد كان للآنسة آدمز أعداء. إن الأمور مختلفة تماماً في أمريكا.

وتردد قليلاً، لكن إليس الطيبة ابتلعت الطعم!

- آه، أعرف يا سيدي! لقد قرأت عن شيكاغو وعن القتلة المحترفين. لا بد أنها بلاد شريرة، ولا أتصور ما الذي يستطيع الشرطة هناك فعله، فهم ليسوا مثل رجال شرطتنا.

لحسن الحظ ترك بوارو عبارتها هذه دون تعليق؛ حيث كان يدرك أن نزعات إليس بينيت المتعصبة سوف تنقذه من مشقة التوضيح. ثم وقعت عينه على حقيبة سفر صغيرة ملقاة على أحد الكراسي، فقال متسائلاً: هل أخذت الآنسة آدمز هذه معها عندما خرجت الليلة الماضية؟

- لقد أخذتها في الصباح يا سيدي. لم تكن معها عندما عادت عصراً لكنها أحضرتها معها عندما عادت في الليل.

- آه! هل تأذنين لي بفتحها؟

كانت إليس بينيت ستأذن له بكل شيء؛ فهي كمعظم النساء الحذرات الميالات إلى الشك، عندما يتغلبن على شكوكهن يصبحن طيعات كلعب الأطفال.

لم تكن الحقيبة مقفلة بالمفتاح، ففتحها بوارو ونظرت إليها من فوق كتفه، وهمس بوارو منفعلاً: أترى يا هيستنغز، أترى؟

كانت محتويات الحقيبة توحي بشيء معين بالتأكيد. كانت فيها علبة لمساحيق التجميل، وقطعتان توضعان في الأحذية لكي تزيدا الطول بوصة واحدة أو قريباً من ذلك، وزوج من القفازات الرمادية، وباروكة شعر رائعة بشعر ذهبي (وهو لون شعر جين ويلكنسون بالضبط) قد رُتِّبتْ بنفس طريقة تسريحتها حيث فُرق الشعر في المنتصف وجُعلت اللفائف في مؤخرة العنق.

- هل تشك الآن يا هيستنغز؟

أظن أنني كنت أشك حتى تلك اللحظة، ولكنني لم أعد أشك بعدها. أغلق بوارو الحقيبة ثانية والتفت إلى الخادمة: ألا تعرفين مع من تناولت الآنسة آدمز عشاءها مساء أمس؟

- لا أعرف يا سيدي.

- هل تعرفين مع من تناولت الغداء أو الشاي؟

- لا أعرف شيئاً عن الشاي يا سيدي، ولكن أظن أنها تغدّت مع الآنسة درايفر.

- الآنسة درايفر؟

- نعم؛ صديقتها المقربة. عندها محل لبيع القبعات في شارع موفات (وهو شارع متفرع عن شارع بوند) يدعى محل جنيفيف.

كتب بوارو العنوان في دفتر ملاحظاته تحت عنوان الطبيب.

- شيء واحد آخر يا مدام، ألا تتذكرين أي شيء.... أي شيء

مهما كان قالته أو فعلته الآنسة آدمز عندما جاءت بعد الساعة السادسة وقد تكونين أحسست أنه غير عادي أو له دلالة معينة؟

فكرت الخادمة بضع لحظات، وأخيراً قالت: الحق أنني لا أستطيع تذكر شيء يا سيدي. سألتها إن كانت تريد شرب الشاي، وأجابت بأنها شربته.

- آه! قالت إنها شربت شاياً، اعذريني يا مدام. أكملي.

- وبعد ذلك كانت تكتب رسائل حتى خروجها في الموعد المحدد.

- رسائل، إيه؟ ألا تعرفين لمَن؟

- بلى يا سيدي. كانت رسالة واحدة فقط إلى أختها في واشنطن؛ فقد كانت تكتب لأختها مرتين في الأسبوع وبانتظام، وكانت تريد أخذ الرسالة معها لتضعها في صندوق البريد لكنها نسيتها.

- وهل ما زالت موجودة هنا؟

- لا يا سيدي؛ لقد أرسلتُها بالبريد. تذكرتُها الليلة الماضية عندما كانت تريد النوم وقلت لها إنني سأخرج لأضعها على الفور، وقد وضعت عليها طابعاً إضافياً ووضعتُها في صندوق البريد المستعجل.

- آه! وهل كان ذلك في مكان بعيد؟

- لا سيدي. إن مكتب البريد عند التقاطع المجاور.

- هل أغلقتِ باب الشقة وراءك؟

حدقت إليس: لا سيدي. لقد تركته... كما أفعل عادة عندما أخرج إلى البريد.

أحسست أن بوارو يريد أن يتكلم، ولكنه ضبط نفسه.

سألته الخادمة باكية: هل تود أن تراها يا سيدي؟ إنها تبدو جميلة.

تبعناها إلى غرفة النوم. بدت كارلوتا آدمز هادئةً وأصغر سناً ممّا كانت عليه في تلك الليلة في فندق سافوي، وبدت نائمة مثل طفل متعب. ورأيت ملامح غريبة على وجه بوارو عندما وقف ينظر إليها، وعندما كنا ننزل على الدرج قال: قسماً يا هيستنغز...

ولم أسأله على ماذا يقسم، كنت أستطيع تخمين ذلك.

وبعد بضع دقائق قال: على الأقل يمكنني أن أُريح ضميري وأصرف عن ذهني شيئاً واحداً: ما كان يسعني أن أنقذها؛ ففي الوقت الذي علمتُ فيه بوفاة اللورد إدجوير كانت هي قد ماتت. هذا يريحني. نعم، هذا يريحني كثيراً.

* * *

الفصل التاسع عشر
سيدة عظيمة

في صباح اليوم التالي وقعت إحدى المفاجآت المذهلة في القضية، فقد كنت في غرفة جلوسي عندما دخل بوارو وقال وعيناه تلمعان: لدينا زائرة يا صديقي.

- من هي؟

- دوقة ميرتون الأرملة.

- أمر غريب! ماذا تريد؟

- ستعرف ذلك إذا صحبتني إلى الطابق الأرضي.

أسرعت مستجيباً، ودخلنا الغرفة معاً. كانت الدوقة امرأة ضئيلة الحجم ذات أنف مرتفع وعينين استبداديتين. ورغم أنها كانت تلبس ثوباً أسود عادياً إلا أنها كانت سيدة جليلة، كما أنها تركت لديّ انطباعاً بأنها ذات شخصية فظة. كانت عكس ابنها تماماً: قوية الإرادة إلى حد بعيد، حتى لقد أحسست أن موجات من القوة كانت تنبعث

منها. لا غرابة أن هذه المرأة كانت تسيطر دائماً على كل من تتعامل معه!

رفعت نظارتها وتفحصتني أولاً ثم صديقي، ثم تكلمت معه. كان صوتها واضحاً وقاهراً، صوتاً اعتاد على إعطاء الأوامر دون مناقشة. سألت: أأنت السيد هيركيول بوارو؟

انحنى صديقي لها: في خدمتك حضرة الدوقة.

نظرت إلي، فقال بوارو مقدماً: هذا صديقي الكابتن هيستنغز، وهو يساعدني في القضايا التي أحقق فيها.

أظهرت عيناها ارتياباً لبعض الوقت، ثم أومأت برأسها مذعنة وجلست على الكرسي الذي قدمه بوارو لها وقالت: لقد جئت لاستشارتك في مسألة حساسة للغاية يا سيد بوارو، وأريدك أن تفهم أن كل ما أقوله لك يجب أن يبقى سراً بيننا.

- لا ضرورة لهذا التنبيه يا مدام.

- الليدي ياردلي هي التي أخبرتني عنك، وقد أحسست من الطريقة التي تكلمت بها عنك والامتنان الذي عبّرت عنه أنك الإنسان الوحيد الذي قد يستطيع مساعدتي.

- تأكدي أنني سأبذل قصارى جهدي يا مدام.

كانت ما تزال مترددة، ولكنها -في النهاية- دخلت في الموضوع متثاقلة وتحدثت ببساطة ذكرتني بطريقة جين ويلكنسون الغريبة في تلك الليلة التي لا تنسى في فندق سافوي. قالت: أريدك

أن تضمن لي -يا سيد بوارو- أن ابني لن يتزوج الممثلة جين ويلكنسون.

إذا كان بوارو قد شعر بالمفاجأة فإنه لجم نفسه ولم يُبدِ شيئاً من الدهشة. نظر إليها بإمعان وتفكير وانتظر لبعض الوقت قبل أن يجيب: هل يمكنك أن تكوني أكثر تحديداً -يا مدام- بالنسبة لما تريدين مني أن أفعله؟

- هذا ليس سهلاً. أشعر أن هذا الزواج سيتسبب في كارثة عظيمة... يمكن أن يدمر حياة ابني.

- أتظنين ذلك يا مدام؟

- بل أنا واثقة من ذلك. إن ابني صاحب مُثُلٍ عليا ولا يعرف عن الدنيا إلا القليل. إنه لم يهتم أبداً بالفتيات من طبقته، وكان يراهُنّ تافهات غبيات. أما بالنسبة لهذه المرأة، فإنها جميلة جداً (وأنا أعترف بهذا) كما أن لها القدرة على استعباد الرجال. لقد سحرت ابني، ولحسن الحظ لم تكن طليقة، أما وقد مات زوجها الآن...

سكتت. ثم أضافت: "إنهما يعتزمان الزواج بعد بضعة أشهر. إن سعادة ابني في خطر!"، ثم قالت على نحو جازم: يجب وقف هذا يا سيد بوارو.

هز بوارو كتفيه استهجاناً وقال: لن أقول إنك مخطئة يا مدام. أوافقك الرأي بأن هذا الزواج غير مناسب، ولكن ماذا يمكن أن نفعل؟

- يجب أن تفعل شيئاً.

هز بوارو رأسه ببطء فقالت بإلحاح: يجب أن تساعدني.

- أشك بوجود أي شيء يمكن أن يفيد يا مدام. أعتقد أن ابنك سيرفض سماع أي شيء ضد السيدة، كما أنني لا أرى الكثير مما يمكن أن يقال عنها! إنني أشك بوجود أي حادث مخز يشين ماضيها؛ فلقد كانت حذرة في حياتها. أليس كذلك؟

قالت الدوقة عابسةً: أعرف.

- آه! إذن فقد قمت بالتحقيق في هذا المجال.

احمرّ وجهها قليلاً وهو ينظر إليها نظرات إمعان ثم قالت: لم أدخر أي جهد ممكن -يا سيد بوارو- من أجل إنقاذ ابني من هذا الزواج.

ثم كررت الكلمة مؤكدة: "أي عمل!". وسكتت قليلاً ثم تابعت: المال لا شيء بالنسبة لي في هذه المسألة. حدد أي أجر تريده. يجب وقف الزواج، وأنت الرجل الذي يمكنه وقفه.

هز بوارو رأسه ببطء.

- إنها ليست مسألة مال. لا أستطيع فعل أي شيء، وذلك لسبب سأشرحه لك على الفور، وأظن أن أياً غيري لن يستطيع فعل شيء كذلك. لا أستطيع مساعدتك يا حضرة الدوقة، ولكن يمكن أن أسدي إليك نصيحة إذا لم تجدي ذلك وقاحة مني.

- أية نصيحة؟

- لا تقفي في وجه ابنك! إنه في سن يؤهله ليختار ما يريد بنفسه، وإذا لم يوافق اختياره رأيك فلا تفترضي أنك على حق. كوني مستعدة لمساعدته عندما يحتاج للمساعدة، ولكن لا تجعليه ينقلب عليك.

نهضت وشفتاها ترتعشان، وقالت: إنك لا تفهم!

- بلى يا حضرة الدوقة، أفهم جيداً. أفهم قلب الأم، ومن يمكن أن يفهم ذلك أكثر مني، أنا هيركيول بوارو؟ ولكني أقول لك: اصبري. اصبري وأخفي مشاعرك. ما زالت توجد -حتى الآن- فرصة لينتهي هذا الأمر بنفسه، أما المعارضة فلن تزيد ابنك إلا عناداً وتصميماً.

قالت ببرود: وداعاً يا سيد بوارو، لقد خيبت أملي.

- أنا آسف جداً لأنني لا أستطيع خدمتك يا مدام! أنا في موقف صعب؛ فالليدي إدجْوير قد شرفتني من قبل عندما طلبت خدماتي.

- آه! فهمت.

كان صوتها -هذه المرة- حاداً كالسكين وهي تقول: أنت مع الطرف الآخر. هذا يوضح لِمَ لَمْ تُعتقل الليدي إدجوير بعدُ بتهمة قتل زوجها!

- ماذا تقولين حضرةَ الدوقة؟

- أظن أنك سمعت ما قلته. لماذا لم تُعتقل؟ كانت هناك في تلك الليلة. لقد شوهدت وهي تدخل البيت، وتدخل مكتبه. لم يقترب منه سواها، ثم وُجد مقتولاً. ومع ذلك لم تعتقل! لا بد أن الفساد ينخر جهاز شرطتنا تماماً.

عدلت الوشاح حول عنقها بيدين مرتعشتين، ثم خرجت من الغرفة بعد أن حيتنا بانحناءة خفيفة من رأسها.

قلت: يا لها من امرأة قاسية! ومع ذلك تعجبني. ألا تعتقد ذلك؟

- ألأنها تريد ترتيب الكون حسب طريقة تفكيرها؟

- إنها تريد السعادة لابنها.

أومأ بوارو برأسه: هذا صحيح، ومع ذلك هل سيكون أمراً سيئاً -يا هيستنغز- إذا تزوج ابنها جين ويلكنسون؟

- ألا تعتقد أنها تحبه حقاً؟

- أنا متأكد تقريباً أنها لا تحبه، لكنها تحب مركزه كثيراً. ستلعب دورها بعناية؛ فهي امرأة جميلة وطموحة. كان يمكن للدوق أن يتزوج -بسهولة- فتاة من طبقته، وكانت تلك الفتاة ستقبله لنفس الأسباب، ولكن دون أن يثير هذا الأمر أحداً.

- هذا صحيح، ولكن...

- وافترض أنه تزوج فتاة تحبه حباً أكيداً، فهل في هذا فائدة

كبيرة؟ لقد لاحظت دائماً أنه من سوء حظ الرجل أن تحبه زوجته، فغيرتها ستزداد، وسوف تجعله يبدو سخيفاً وتصر على الاستحواذ على كل وقته واهتمامه. آه، إن الزواج ليس حقل ورود أبداً!

قلت: بوارو، أنت عجوز متشائم.

- لا، لا، إنها مجرد أفكار، بل إنني أقف -في الحقيقة- إلى جانب الأم الطيبة.

لم أتمالك نفسي من الضحك وأنا أسمعه يصف الدوقة المتغطرسة بهذه الوصف، ولكن بوارو ظل هادئاً.

- لا يجدر أن تضحك؛ فهذا مهم جداً. علي أن أفكر، أن أفكر كثيراً.

قلت: لا أفهم ما الذي يمكنك أن تفعله في هذا الأمر.

لم يلتفت بوارو لكلامي، بل قال: هل لاحظت -يا هيستنغز- المعلومات التي كانت الدوقة تمتلكها؟ وكم كانت حقودة؟ كانت تعرف أن جميع الأدلة تدين جين ويلكنسون.

قلت مبتسماً: القضية لصالح الادعاء وليس الدفاع.

- كيف عرفت ذلك؟

قلت: لقد أخبرتُ جين الدوقَ بذلك، وهو أخبر أمه.

- نعم، هذا ممكن. ومع ذلك فقد...

رن جرس الهاتف رنيناً حاداً، وأخذت السماعة. كان عليّ فقط أن أردد كلمة «نعم» عند فترات فاصلة من الحديث، وفي النهاية وضعت السماعة والتفتُّ صوب بوارو منفعلاً: كان ذلك جاب. أولاً: أنت الرائع كالعادة. ثانياً: لقد استلم برقية من أمريكا. ثالثاً: وجد سائق سيارة الأجرة. رابعاً: هل تريد أن تذهب وتسمع ما يقوله سائق الأجرة؟ خامساً: أنت رجل رائع (مرة أخرى) لأنه اقتنع بأنك كنت مصيباً عندما قلت إن وراء هذا العمل رجلاً! لقد تجنبت أن أخبره أن زائرة (كانت في بيتنا قبل دقائق) تقول إن جهاز الشرطة فاسد.

همس بوارو: إذن فقد اقتنع جاب أخيراً. أمر غريب أن تثبت نظريتي عن وجود رجل وراء هذا العمل في اللحظة التي بدأت فيها بالتفكير في نظرية محتملة أخرى.

- أية نظرية؟

- نظرية تقول إن الدافع للقتل قد لا تكون له علاقة باللورد إدجوير نفسه. تخيل شخصاً كان يكره جين ويلكنسون، يكرهها كثيراً لدرجة أنه يريد شنقها بتهمة القتل، إنه أمر محير!

تنهد ثم نهض وقال: هيا يا هيستنغز؛ لنسمع ما سيقوله جاب.

* * *

الفصل العشرون
سائق سيارة الأجرة

وجدنا جاب يستجوب رجلاً عجوزاً يضع على عينيه نظارة. كان شاربه كثاً مهمَلاً وصوته أجش يثير الشفقة. قال جاب: آه! ها قد جئت. حسناً، الأمور تجري -كما أظن- على أحسن ما يرام. هذا الرجل اسمه جوبسون، وقد حمل بسيارته شخصين من لونغ إيكر ليلة التاسع والعشرين من حزيران.

وافقه جوبسون بصوته الأجش قائلاً: هذا صحيح. كانت ليلة جميلة مقمرة، وقد وقفت الشابة ومعها رجل قرب محطة قطار الأنفاق وأشارا لي للتوقف.

- هل كانا يلبسان لباس السهرة؟

- نعم؛ ارتدى الرجل معطفاً أبيض، أما الفتاة فكانت ملابسها بيضاء مطرزاً عليها رسوم طيور. أظن أنهما كانا خارجين من دار الأوبرا الملكية.

- متى كان ذلك؟

- بعد الحادية عشرة بقليل.

- حسناً، وماذا بعد ذلك؟

- طلبا مني أن أذهب بهما إلى ريجنت غيت، وقالا إنهما سيخبرانني عن المنزل الذي سينزلان عنده عندما يصلان إلى هناك، كما طلبا مني الإسراع أيضاً. الركاب يقولون ذلك دائماً وكأن السائق يحبّ التأخر، رغم أنه سيكون من الأفضل لك كلما أسرعت في الوصول إلى المكان المطلوب وأخذت راكباً آخر. إنهم لا يفكرون بذلك أبداً، ثم إذا حصل حادث فأنت الملوم بسبب قيادتك الخطيرة!

قال جاب وقد ظهر عليه نفاد الصبر: كف عن هذا؛ فلم تقع حادثة هذه المرة، أليس كذلك؟

وافقه الرجل وقال: بلى؛ في الواقع لم تقع حادثة. حسناً، وصلت إلى ريجنت غيت، ولم يستغرق الطريق أكثر من سبع دقائق، ثم طلب الرجل إلي أن أتوقف فتوقفت. كان ذلك عند المنزل رقم ٨ تقريباً. خرج الاثنان، وتوقف الرجل مكانه وأخبرني أن أنتظر أنا الآخر، فيما قطعت السيدة الطريق وبدأت السير إلى الوراء بمحاذاة البيوت في الجانب الآخر. بقي الرجل قرب السيارة واقفاً على الرصيف وظهره ناحيتي ينظر باتجاهها ويداه في جيبه، وبعد خمس دقائق تقريباً سمعت منه صوتاً... صوتاً يشبه الصيحة المكبوتة، ثم ذهب هو الآخر. ونظرت إليه لأنني لا أرضى بأن يخدعني أحد، ولذلك بقيت أراقبه، وقد صعد عتبات أحد المنازل في الجانب الآخر ودخله.

- هل دفع الباب وفتحه؟

- لا؛ كان معه مفتاح.

- كم كان رقم المنزل؟

- أظن أنه كان رقم ١٧ أو ١٩. بدا لي غريباً طلبه أن أبقى حيث أنا، ولذلك ظللت أراقب، وبعد ذلك بخمس دقائق خرج هو والشابة من البيت معاً، وعادا وركبا السيارة وأخبراني بأن أعود إلى دار الأوبرا في كوفنت غاردن، وقبل الوصول إلى هناك أوقفاني ودفعا لي الأجرة، وقد كان الذي دفعاه مبلغاً كبيراً. أخشى أن يسبب لي ذلك العملُ المتاعب.

قال جاب: لا بأس عليك. انظر إلى هذه الصور فقط وأخبرني إن كانت السيدة الشابة من بينهن.

كانت معه ست صور بدت كلها متشابهة كثيراً، ونظرت إليها من ورائه باهتمام.

قال جوبسون: "ها هي"، وأشار بإصبع ثابت إلى إحدى صور جيرالدين مارش في لباس السهرة.

- هل أنت متأكد؟

- متأكد تماماً؛ كانت شاحبة وذات شعر أسود.

- والآن نريد معرفة الرجل.

وُضعتْ أمامه مجموعة أخرى من الصور، ونظر إليها بإمعان

ثم هز رأسه وقال: لا أعرف على وجه التأكيد. قد يكون واحداً من هذين الاثنين.

كانت إحدى الصور لرونالد مارش لكن جوبسون لم يخترها، وبدلاً من ذلك أشار إلى رجلين آخرين لا يشبهان مارش في الشكل.

وبعد ذلك غادر جوبسون وألقى جاب الصور على الطاولة وقال: جيد. ليتني حصلت على صورة أوضح لحضرة اللورد. هذه صورة قديمة أُخذت له قبل سبع سنوات أو أكثر من ذلك، ولكنها الصورة الوحيدة التي استطعت الحصول عليها. نعم، كنت أفضّل الحصول على صورة أكثر وضوحاً، رغم أن القضية واضحة بما فيه الكفاية. لقد نجحا في الحصول على إثباتين على عدم وجودهما في البيت ساعة الحادث. كنت ذكياً يا سيد بوارو عندما فكرت بهذا!

بدا بوارو متواضعاً وقال: عندما اكتشفت أنها كانت مع ابن عمها في الأوبرا، بدا لي أن من الممكن أنهما كانا معاً أثناء إحدى الفقرات، ومن الطبيعي أن الأشخاص الذين كانوا معهما سيفترضون بأنهما لم يغادرا دار الأوبرا. لكن فقرة مدتها نصف ساعة تعتبر كافية للذهاب إلى ريجنت غيت والعودة. وعندما شدد اللورد إدجوير الجديد على دليل وجوده في الأوبرا تأكدت أن في الأمر شيئاً غير طبيعي.

قال جاب بانفعال: أنت رجل شكّاك، ولكنك على حق تقريباً. اللورد هو رجلنا المطلوب دون شك.

بعد ذلك أخرج جاب ورقة وقال: انظر إلى هذه. إنها برقية من نيويورك. لقد اتصلوا بالآنسة لوسي آدمز، وكانت الرسالة في البريد الذي سلم إليها هذا الصباح، وقد أذنت لضابط الشرطة هناك بأن يأخذ نسخة عنها ويبرقها إلينا. ها هي، وهي مهمة كما كنت ترجو.

- أخذ بوارو البرقية باهتمام كبير، وقرأتها من ورائه.

فيما يلي نص رسالة مرسلة إلى لوسي آدمز مؤرخة في التاسع والعشرين من حزيران:

أختي العزيزة،

أنا آسفة لأنني كتبت لك رسالة صغيرة مستعجلة في الأسبوع الماضي؛ لكنني كنت مشغولة جداً وكان أمامي الكثير من الأعمال التي يتوجب علي القيام بها. حسناً يا عزيزتي، كان نجاحاً لم يكن له مثيل! الملاحظات رائعة والعرض ناجح والجميع كان لطفاء. لقد تعرفت إلى بعض الأصدقاء الطيبين هنا، وأعتزم العمل على المسرح مدة شهرين في العام القادم. لقد نجح عرض «الفلاحة الروسية» نجاحاً جيداً، وكذلك عرض «المرأة الأمريكية في باريس»، لكن عرض «الفندق الأجنبي» لا يزال هو المفضل لدى الجمهور حسب اعتقادي.

إنني متأثرة جداً لدرجة أنني لا أعرف ما أكتبه الآن، وسوف تعرفين السبب بعد قليل، ولكني سأخبرك -قبل ذلك- بما قاله الناس. كان السيد هيرجشمير لطيفاً جداً وسوف يطلب مني تناول الغداء على مائدة السير مونتاغو كورنر الذي قد يقدم لي مساعدة عظيمة،

وقد التقيت -ليلة البارحة- جين ويلكنسون، وكانت لطيفة جداً في موقفها من عرضي وتقليدي لها، وهو ما يدفعني إلى ما أريد إخبارك به.

إنني -في الحقيقة- لا أحبها كثيراً لأني سمعت الكثير عنها مؤخراً من شخص أعرفه، وأظن أنها كانت تتصرف تصرفات فظة وبطريقة ماكرة جداً، لكني لن أتطرق إلى هذا الآن. هل تعرفين أنها تكون الليدي إدجوير؟ لقد سمعت الكثير عن زوجها مؤخراً وهو رجل فظ. لقد عامل ابن أخيه الكابتن مارش (الذي ذكرته لك) بطريقة مخزية جداً، وقد طرده من البيت وقطع عنه الراتب. لقد أخبرني كل شيء عن ذلك وأحسست بالأسى الشديد لحاله. وقد قال إنه استمتع بعرضي كثيراً، وقد تناقشنا في ذلك ملياً وقال: "أعتقد أن تقليدك لزوجته سينطلي عليه هو شخصياً. هل تقبلين التحدي مقابل مبلغ؟"، فضحكت وقلت: "مقابل كم؟".

عزيزتي لوسي، لقد قطعت الإجابة أنفاسي تماماً؛ لقد كان المبلغ عشرة آلاف دولار... عشرة آلاف دولار! فكري في هذا! فقط مقابل مساعدة شخص في كسب رهانه السخيف. قلت: يا إلهي! إنني مستعدة للقيام بهذه الدعابة مع الملك في قصر بكنغهام والمغامرة مع صاحب الجلالة مقابل هذا الرهان! حسناً، فكرنا سوياً ودخلنا في التفاصيل.

سأخبرك بكل شيء عن هذا الأمر في الأسبوع القادم، سواء تم اكتشافي أم لا. ولكن على أية حال يا عزيزتي

لوسي، سواء نجحت أو فشلت، فسوف أحصل على العشرة آلاف دولار. آه يا لوسي، إن هذا سيعني لنا الشيء الكثير. لا وقت لمزيد من التفاصيل فأنا ذاهبة الآن للقيام بحيلتي.

الكثير، الكثير، الكثير من الحب لك يا أختي العزيزة.

المخلصة: كارلوتا.

وضع بوارو الرسالة، وقد لاحظت أنها حركت مشاعره. أما رد فعل جاب فقد كان مختلفاً تماماً؛ إذ قال بفرح: لقد كشفناه.

قال بوارو: نعم.

بدا صوته فاتراً على نحو غريب، فسأله جاب: ماذا في الأمر يا سيد بوارو؟

- لا شيء. لم يكن ذلك كما كنت أعتقد... هذا كل ما في الأمر.

بدا حزيناً وقال كمن يخاطب نفسه: ولكن يجب أن يكون اعتقادي -مع ذلك- صحيحاً. نعم، يجب أن يكون كذلك.

- إنه بالطبع كذلك؛ لقد قلت هذا من البداية.

- لا، لا، لقد أسأت فهمي.

- ألم تقل إن شخصاً يقف وراء ذلك وهو الذي دفع الفتاة لتقوم بهذا العمل بصورة بريئة؟

- بلى، بلى.

- إذن ماذا تريد أكثر من ذلك؟

تنهد بوارو ولم يقل شيئاً.

- أنت غريب الأطوار؛ لا شيء يرضيك أبداً. لقد اعتقدتُ أن كتابة الفتاة لهذه الرسالة ضربة من الحظ.

وافقه بوارو بحماسة زادت عن تلك التي أبداها قبلاً: أجل، وهذا الأمر لم يتوقعه القاتل. الآنسة آدمز وقّعت -بقبولها رهان العشرة آلاف دولار- على وثيقة وفاتها. وقد حسب القاتل أنه اتخذ كافة الاحتياطات، ولكنها خدعته بكل براءة... حقاً إن الموتى ليتكلمون في بعض الأحيان!

قال جاب: لم أظن أنها فعلت ذلك دون مساعدة من أحد أبداً.

قال بوارو بذهن شارد: نعم، نعم.

- حسناً، يجب أن أقوم بالإجراءات المطلوبة.

- هل أنت ذاهب لاعتقال الكابتن مارش، أقصد اللورد إدجْوير؟

- ولِمَ لا؟ يبدو أن إدانته ليست محل شك.

- صحيح.

- أنت لا تبدو مرتاحاً لهذا الأمر يا سيد بوارو. الحقيقة أنك

تحب أن تكون الأمور صعبة. ها هي نظريتك الخاصة قد أثبتت صحتها ومع ذلك فأنت غير راض. هل ترى نقصاً أو ضعفاً فيما لدينا من أدلة؟

هز بوارو رأسه نافياً، فقال جاب: لا أعرف إن كانت الآنسة مارش ساعدته أم لا، ولكن يبدو أنها كانت مطّلعة على الأمر لأنها رافقته إلى الأوبرا، وما الذي دفعه لاصطحابها معه لو لم تكن تعرف؟ سنسمع -على أية حال- ما سيقوله كلاهما بهذا الخصوص.

قال بوارو بتواضع: هل يمكنني الحضور؟

- بالتأكيد. إنني مدين لك بالفكرة!

رفع البرقية عن الطاولة، وانتحيت جانباً ببوارو حيث سألته: ما الذي حدث يا بوارو؟

قال: إنني حزين جداً يا هيستنغز. تبدو الأمور في غاية الوضوح، ولكن يوجد شيء غير طبيعي... حقيقة ناقصة أنا عاجز عن إدراكها يا هيستنغز! نعم، تبدو الأمور منسجمة تماماً كما تصورتها، ومع ذلك -يا صديقي- يوجد خطأ ما.

نظر إلي نظرة إشفاق، واعتراني الذهول فلم أدرِ ما أقول!

* * *

الفصل الحادي والعشرون

رواية رونالد

وجدت صعوبة في فهم موقف بوارو. ألم يكن ذلك ما توقعه منذ البداية؟ جلس طَوال الطريق إلى ريجنت غيت متحيراً عابساً، ولم ينتبه لادعاءات جاب المغرورة المتبجحة. وأخيراً أفاق من أفكاره السارحة وتنهد بعمق ثم همس: على أية حال لنَرَ ما سيقوله.

قال جاب: لم يكن حصيفاً؛ لم أرَ رجلاً غيره قاد نفسه إلى المشنقة برجليه بتلهّفه للحديث! لا يستطيع أحدٌ الادّعاء بأننا لا نحذرهم، ولكن العدالة الإلهية تأخذ مجراها... وكلما كانوا مذنبين أكثر ازدادوا تبجحاً وكشفوا أكاذيبهم التي لفّقوها لتغطية الجريمة. لا يعرفون أنك يجب أن تقدم أكاذيبك أولاً إلى المحامي!

ثم تنهد ومضى قائلاً: المحامون والقضاة هم أسوأ أعداء الشرطة. فكثيراً ما تكون عندي قضية واضحة يفسدها غباء القاضي الذي يترك المجرم ليفلت من العقوبة، أما المحامون فلا تستطيع الوقوف في وجههم؛ فهم يُدفع لهم مقابل مكرهم وقلبهم للحقائق بطريقة أو بأخرى.

وصلنا إلى ريجنت غيت حيث وجدنا العائلة متحلّقة حول مائدة الغداء. وطلب جاب الحديث مع اللورد إدجْوير على انفراد، وذهبنا جميعاً إلى المكتبة. وبعد بضع دقائق جاء الشاب إلينا، وكانت ترتسم على وجهه ابتسامة غير متكلفة تغيرت قليلاً عندما نظر إلينا نظرة سريعة. زمّ شفتيه وقال: مرحباً أيها المفتش. ما سبب كل هذا؟

أبلغه جاب بالاتهام بطريقة بسيطة، فقال رونالد: "إذن هكذا؟". وسحب كرسياً وجلس عليه، ثم قال: عندي كلام أريد الإدلاء به يا حضرة المفتش.

- كما تشاء يا حضرة اللورد.

- هذا يعني أن أسلوبي كان أحمق للغاية. ومع ذلك سأتكلم، فكما يقول الأبطال في الروايات دائماً: "ليس عندي سبب للخوف من الحقيقة"!

لم يقل جاب شيئاً وبقي وجهه خالياً من أي تعبير. أكمل الشاب: توجد هنا طاولة قريبة جميلة مع كرسي. يستطيع موظفك الجلوس عليها حيث يمكن أن يكتب كل شيء.

لا أظن أن جاب كان معتاداً على أن يرتب له الآخرون إجراءاته بمثل هذه الطريقة، ولكنه وافق على اقتراح اللورد إدجْوير.

قال الشاب: بما أنني أمتلك شيئاً من الذكاء فإنني أحسب أن دليل براءتي الجميل قد أخفق أو أنه تلاشى كالدخان. لا بد أن ذلك حصل بسبب سائق سيارة الأجرة، أليس كذلك؟

قال جاب بقوة: إننا نعرف كل شيء عن تحركاتك في تلك الليلة.

- أنا معجب جداً بسكوتلانديارد. ومع ذلك، لو كنت أخطط لعمل جريمة لما استأجرت سيارة أجرة وذهبت بها إلى المكان مباشرة تاركاً السائق ينتظر. هل فكرت في هذا؟ لا بد أن السيد بوارو قد فكر في ذلك.

قال بوارو: نعم؛ لقد خطر ذلك ببالي.

قال رونالد: ليس هذا هو أسلوب الجريمة المدبرة. كنت سأضع شارباً أحمر ونظارة كبيرة الإطار وأطلب من السائق أن يذهب إلى الشارع التالي حيث أدفع له حسابه ليرحل ثم آخذ قطار الأنفاق... حسناً، حسناً، لا أريد ذكر هذا كله، إن محاميّ سيفعل ذلك أفضل مني مقابل الأجر الذي سيحصل عليه. لعلكم ستقولون الآن إن الجريمة تمت بدافع نزوة مفاجئة، وكنت هناك أنتظر في السيارة... إلخ، إلخ.

حسناً، سأخبركم بالحقيقة. كنت محتاجاً إلى النقود. أظن أن ذلك كان واضحاً تماماً، كنت يائساً... كان عليّ الحصول على المال في اليوم التالي أو التوقف عن العمل الذي كنت أقوم به، فحاولت الحصول عليه من عمي. وكنت أعلم أنه لا يحبني، ولكني راهنت على حرصه على الحفاظ على سمعته؛ فالكبار يهتمون بسمعتهم أحيانا، غير أن عمي أثبت -للأسف- أنه رجل عصري وخالف هذه القاعدة!

حسناً، لقد وقعت تحت وطأة المعاناة... وفكرت في الاقتراض

من دورثيمر لكني عرفت أنه لم يكن ثمة أمل. ثم التقيت بابنة عمي في الأوبرا مصادفة. لم أكن ألتقيها كثيراً لكنها كانت فتاة دمثة عندما كنت أعيش معها في البيت، وفاتحتها بالأمر الذي كانت قد سمعت طرفاً عنه من والدها، فأظهرت حماستها واقترحت عليّ أخذ عقد اللؤلؤ الذي تملكه والذي كان يعود إلى أمها قبل تملكها له.

سكت، وخِلْتُ أن في صوته نبرة انفعال حقيقية، أو ربما نجح في إظهاره لي كذلك. ثم قال: لقد قبلت عرض الفتاة، وفكرت أن بوسعي الحصول على المال الذي أريده مقابل رهن العقد، وكنت واثقاً من أن بإمكاني رد المبلغ واسترجاع العقد من جديد. لكن العقد كان في البيت في ريجنت غيت فقررنا أن أفضل شيء نفعله هو الذهاب إلى هناك وإحضاره على الفور. وهكذا أخذنا سيارة أجرة وانطلقنا. طلبنا من السائق الوقوف عند الجانب المقابل في الشارع حتى لا يخرج أحد من أهل البيت إن سمع صوت السيارة، وخرجت جيرالدين فعبرت الشارع. كان معها مفتاحها، ودخلت البيت بهدوء وأحضرت العقد. لم تكن تتوقع أن تصادف أي شخص سوى بعض الخدم؛ فقد كانت الآنسة كارول تذهب للنوم في الساعة التاسعة والنصف كعادتها، أما هو فربما كان في المكتبة. وهكذا ذهبتْ هي ووقفتُ أنا على الرصيف أنتظرها، وكنت أنظر -من وقت لآخر- باتجاه البيت لأرى إن كانت هي قادمة.

وتوقف قليلاً ثم قال: والآن، القصة قد تصدقها وقد لا تصدقها. لقد مرّ من جانبي رجل فالتفتّ لأنظر إليه، ولشدة دهشتي ذهب وصعد درجات المنزل رقم ١٧. أظن أنه كان البيت رقم ١٧ فقد كنت بعيداً عنه، وقد أدهشني ذلك كثيراً لسببين: أحدهما أن الرجل فتح

الباب بالمفتاح ودخل، والسبب الثاني أنه غلب على ظني أن ذلك الرجل كان ممثلاً معروفاً مشهوراً. لقد دهشت كثيراً؛ ولذلك قررت معاينة الأمور. وكنت أحمل -ذات مرة- مفتاحي الخاص بالبيت في جيبي، لكني فقدته (أو ظننت أني فقدته) قبل ثلاث سنوات، ثم وجدته قبل يوم أو يومين بطريقة غير متوقعة، وكنت أعتزم إعادته لعمي ذلك الصباح، ولكني نسيت حين احتدم النقاش بيننا حول موضوع النقود. وهكذا طلبت من سائق السيارة أن ينتظر ومشيت مسرعاً فوق الرصيف وقطعت الطريق وصعدت عتبات المنزل رقم ١٧ وفتحت الباب بمفتاحي. كانت القاعة فارغة ولم تكن هناك أية إشارة على وجود أي زائر دخل لتوه. وقفت دقيقة أنظر حولي، ثم ذهبت باتجاه باب المكتبة. ظننت أنه، إن كان الرجل داخل المكتبة مع عمي، فسوف أسمع همسهما. وقفت خارج باب المكتبة لكني لم أسمع شيئاً. وفجأة أحسست أني ارتكبت خطأً أحمق، فلعل الرجل لم يدخل إلى ريجنت غيت وإنما إلى بيت آخر... لقد كانت الإضاءة في الشارع ضعيفة ويصعب عليّ الجزم، وأحسست أنني كنت غبياً. سوف أبدو أحمق للغاية لو خرج عمي من المكتبة فجأة ووجدني أمامه، كما أنني سأسبب المتاعب لجيرالدين. ولم أعرف السبب الذي دفعني لكي أتبع ذلك الرجل... لقد كان إحساساً غريباً انتابني بسبب شيء في سلوكه جعلني أتخيل أنه كان يفعل شيئاً لم يكن يريد لأحد أن يعرفه. ولحسن الحظ لم يمسك بي أحد، وكان يجب أن أخرج من البيت بأسرع ما يمكن؛ فعدت أدراجي خلسة صوب الباب الأمامي، وفي نفس اللحظة نزلت جيرالدين عن الدرج وبيدها عقد اللؤلؤ. لقد ذُعرتْ عندما رأتني بالطبع، ولكني أخرجتها من البيت شارحاً الأمر لها بالتفصيل. وقد أسرعنا عائدين إلى الأوبرا،

فوصلناها أثناء رفع الستارة ولم يشكّ أحد بأننا غادرنا المبنى؛ لقد كانت ليلة حارة وقد خرج كثير من المتفرجين إلى الخارج لتنشق الهواء المنعش.

توقف عن الحديث، ثم نظر إلى المفتش جاب وهو يقول: أعرف ما ستقوله: لِمَ لَمْ أخبرك بهذا من قبل؟ وأريد أن أوضح لك الأمر الآن: لو كنتَ مكاني، هل كنت ستعترف بسهولة بأنك كنت موجوداً في مكان الجريمة في تلك الليلة، وأنت -كما يعلم الجميع- تملك دافعاً للقتل؟ لقد خفت من الاعتراف بذلك! وحتى لو صدقتمونا فسوف يكون ذلك مصدر إزعاج لي ولجيرالدين. لم تكن لدينا علاقة بجريمة القتل، ولم نرَ شيئاً، ولم نسمع شيئاً. لقد اعتقدت حقاً... اعتقدت أن جين زوجة عمي هي التي ارتكبتها دون شك. إذن لماذا أقحم نفسي في هذا الأمر؟ لقد أخبرتك عن المشاجرة وعن حاجتي للمال لأنني كنت واثقاً أنك ستعرف ذلك لا محالة، ولو حاولتُ إخفاء كل هذا فسوف تزداد شكوكك فيّ. لقد فكرت أنني إذا تبجحت بهذا الأمر فسوف يدفعك ذلك إلى الاعتقاد بأن الأمر على ما يرام. أعرف أن عائلة دورثيمر كانوا واثقين من وجودي في دار الأوبرا طوال الوقت، وكانوا يعرفون أنني أمضيت إحدى فترات الاستراحة مع ابنة عمي ولذلك لم يشكوا في الأمر. كان بوسعهم الشهادة بأنني كنت معهم هناك وأننا لم نترك المكان.

- وهل وافقت الآنسة مارش على إخفاء هذا الأمر؟

- نعم. حالما سمعتُ بالخبر ذهبتُ إليها وحذرتها -حمايةً لنفسها- بأن لا تقول أي شيء عن مجيئها إلى هنا الليلة الماضية.

قلت لها أن تقول إننا كنا معاً خلال فترة الاستراحة في الأوبرا وإننا تحدثنا في الشارع قليلاً، وهذا كل ما في الأمر. لقد تفهمتْ الموقف ووافقت تماماً.

سكت ثم أضاف: أعرف أن هذا يبدو سيئاً... أقصد أن أبوح بهذا فيما بعد، لكنها الحقيقة. يمكنني إعطاؤك اسم وعنوان الرجل الذي أقرضني مبلغاً من المال مقابل رهن عقد جيرالدين هذا الصباح، وإذا سألتها فسوف تؤكد كل كلمة قلتها.

جلس مستنداً إلى ظهر كرسيه ونظر إلى جاب، فيما بقي جاب جالساً دون أن يبدو عليه أي انفعال. قال: هل قلت إنك تعتقد بأن جين ويلكينسون هي التي ارتكبت جريمة القتل يا لورد إدجوير؟

- ألم تكن ستعتقد هذا أنت أيضاً بعد أن سمعت رواية كبير الخدم؟

- وماذا عن رهانك مع الآنسة آدمز؟

- رهاني مع الآنسة آدمز؟ هل تقصد مع كارلوتا آدمز؟ وما علاقتها بهذا كله؟

- أتنكر أنك عرضت عليها مبلغ عشرة آلاف دولار لكي تتقمص شخصية جين ويلكنسون في البيت تلك الليلة؟

حدق رونالد إليه وقال: عرضت عليها عشرة آلاف دولار؟ هراء! لا بد أن أحدهم يستدرجك. لم أكن أملك عشرة آلاف دولار

حتى أعرضها عليها... إنك متوهم. هل قالت هي هذا؟ آه! نسيت، لقد ماتت. أليس كذلك؟

قال بوارو بهدوء: بلى، لقد ماتت.

كان رونالد ينقّل بصره -طوال الوقت- من واحد لآخر فينا، ولم يكن في البداية مبالياً، أما الآن فقد شحب وجهه وبدا مذعوراً. قال: لا أفهم كل هذا. إن ما قلتُه صحيح... أعتقد أنكم لا تصدقونني... لا أحد منكم يصدقني!

ولكن، لدهشتي الشديدة، تقدم بوارو نحوه وقال: نعم؛ إنني أصدقّك.

* * *

الفصل الثاني والعشرون

سلوك غريب من هيركيول بوارو

كنت مع بوارو في شقتنا عندما سألته فجأة: ما الذي...

لكن بوارو أسكتني بإشارة متعجرفة من يده لم يفعلها بي من قبل أبداً: "أتوسل إليك يا هيستنغز! ليس الآن... ليس الآن". والأغرب من ذلك أنه أمسك بقبعته وألقاها على رأسه دون ترتيب وخرج مسرعاً.

ولم يكن بوارو قد رجع إلى البيت حينما وصل جاب بعد ذلك بساعة وسأل: هل خرج الرجل العجوز؟

أومأت برأسي بالإيجاب، فارتمى جاب على مقعد وهو يمسح جبينه بمنديل (إذ كان الجو حاراً) وسأل: ما الذي أخرجه؟ أصارحك -يا كابتن هيستنغز- بأنني ذهلت عندما تقدم نحو الرجل قائلاً له: "إنني أصدقك". لقد بدا وكأنه يمثل مسرحية مثيرة... لقد أصابني بالحيرة والذهول.

- كما أنه حيرني أنا أيضاً، ولقد قلت له ذلك.

- ما الذي قاله لك عن هذا الأمر؟

- لا شيء.

- لاشيء على الإطلاق؟

- لاشيء أبداً. بل هو قد أشار إليّ لأبتعد عنه عندما أردت التحدث معه في الموضوع، فرأيت أن أفضل شيء هو تركه وحيداً، وعندما عدنا إلى هنا وسألته لوح لي بذراعيه ووضع قبعته ثم خرج من البيت ثانية.

نظر كل منا إلى الآخر، ثم ضرب جاب على جبينه بإشارة ذات دلالة قائلاً: لا بد من وجود شيء.

للمرة الأولى كنت أميل إلى الموافقة، فقد كان جاب يزعم دائماً أن بوارو غير طبيعي، ولكنه -في الحقيقة- لم يكن يفهم ما كان بوارو يرمي إليه. أما الآن فقد وجدتني مرغماً على الاعتراف بأنني لم أستطع فهم موقف بوارو. وحتى لو كان طبيعياً فإنه يبدو الآن متقلباً على نحو يبعث على الارتياب. لقد تأكدتُ هنا نظريته الخاصة ولكنه تراجع عنها مباشرة.

كان ذلك كافياً لإثارة حزن ودهشة أقرب مؤيديه، فهززت رأسي يائساً فيما قال جاب: إنه غريب الأطوار دائماً؛ فهو ينظر إلى الأمور من زاوية معينة خاصة به، وهي تبدو غريبة جداً. أعترف بأنه عبقري، لكنهم يقولون -دائماً- إن شعرة واحدة فقط تفصل بين العبقرية والجنون! إنه يعشق مواجهة القضايا الصعبة المعقدة، أما تلك البسيطة الواضحة فلا تثير لديه أدنى اهتمام. يجب أن تكون

المشكلة التي يواجهها معقدة، وإذا ما بدا أنها غير ذلك فإنه يجتهد غاية الاجتهاد ليجعلها كذلك، وما أراه الآن إلا ممارساً لهذا الطبع الغريب!

وجدت صعوبة في الإجابة، فسلوك بوارو -كما بدا لي- غيرُ قابل للتبرير، وحيث أنني على علاقة حميمة مع صديقي الغريب فقد أحسست بالضيق أكثر مما رغبت بالرد على انتقادات جاب المريرة.

دخل بوارو إلى الشقة وسط هذا الصمت الكئيب، وأحسست بالسرور لأنه كان يبدو الآن هادئاً تماماً. خلع قبعته بحذر شديد ووضعها مع عصاه على الطاولة وجلس على كرسيه المعتاد قائلاً: أنت هنا يا جاب؟ يسعدني ذلك، فقد كنت أفكر بضرورة رؤيتك بأسرع وقت ممكن.

نظر جاب إليه دون أن يجيب، فقد عرف أن تلك كانت مجرد البداية وانتظر بوارو حتى يشرح له ما يريد. وهكذا تكلم صديقي ببطء وحذر قائلاً: اسمع يا جاب، إننا مخطئون... كلنا مخطئون. أمر محزن أن نعترف بهذا، لكننا أخطأنا.

قال جاب دون تردد: الأمر على ما يرام.

- لكنه ليس على ما يرام. إن الحال يبعث على الأسى... إنه يحزنني كثيراً.

- لا داعي لأن تحزن على ذلك الشاب؛ إنه يستحق العقاب.

- أنا لست حزيناً عليه، بل عليك يا جاب!

- أنا؟ لا حاجة لأن تقلق علي.

- لكني قلق فعلاً. مَن الذي أرشدك إلى هذا التفكير؟ إنه هيركيول بوارو. أجل؛ لقد أرشدتك إلى الطريق، لقد وجهت انتباهك إلى كارلوتا آدمز وذكرت لك موضوع الرسالة التي بعثتْ بها إلى أمريكا. أنا الذي أشرت إليك باتخاذ كل الإجراءات التي قمتَ بها!

قال جاب ببرود: كنت سأفعل ذلك بنفسي على أية حال، كل ما في الأمر أنك سبقتني قليلاً.

- قد يكون هذا صحيحاً، لكنه لا يواسيني. سوف ألوم نفسي بمرارة إذا ما فقدتَ سمعتك ومكانتك بسبب الإصغاء إلى أفكاري الصغيرة.

ظهر السرور على جاب، وحيث أنه كان يدين لبوارو بكشف دوافع الجريمة التي لم تكن واضحةً لديه تماماً، فلعله ظن أن بوارو حسده على السمعة الطيبة التي ستلحق به لنجاحه في حل هذه القضية. ولذلك قال وهو يغمزني: لا بأس، لن أنسى أن أعلن للجميع بأنني أدين لك ببعض الفضل في حلّ هذه القضية.

قال بوارو وقد نفد صبره: لم أقصد شيئاً من هذا أبداً! أنا لا أريد أي سمعة؛ بل، وهو الأسوأ، لن تكون في المسألة سمعة جيدة أصلاً. إنك مقبل على فشل عظيم وهيركيول بوارو هو السبب.

وفيما بدا بوارو غارقاً في الكآبة أطلق جاب ضحكة شديدة، وتخيلت أن بوارو قد أحسّ بالإهانة.

مسح جاب عينيه وقال: آسف يا سيد بوارو، لكنك تبدو مثل بطة تموت في عاصفة رعدية! لننسَ هذا كله. أنا على استعداد لتحمّل التوبيخ أو أي نتيجة تترتب على حل هذه المسألة. سوف تحدث ضجة كبيرة... أنت على حق في هذا، وقد يستطيع محامٍ ذكيٌّ تبرئة اللورد؛ فهؤلاء المحلفون أمرهم غريب. ولكن حتى لو حدث ذلك فهو لن يضرني بأي شيء. سيعلم الجميع أننا أمسكنا بالرجل المطلوب حتى لو لم نستطع إدانته، وحتى لو حدث أن أي خادمة في البيت انتابتها الهستيريا وانهارت زاعمة أنها هي التي قتلته فسوف أتجرّع هذه الغصة ولن أشتكي من أنك ضلّلتني. هذا عدل بما فيه الكفاية.

حدق إليه بوارو حزيناً هادئاً فقال جاب: إنك واثق من نفسك... دائماً تكون واثقاً من نفسك! لم تقف أبداً لتقول لنفسك: أيمكن أن يكون ذلك صحيحاً؟ لم تشكّ أبداً أو تتساءل، وأيقنت دائماً أن الأمر لا يمكن أن يكون سهلاً؛ وهذا هو السبب الذي يجعل أمورك دائماً غير منظمة، ومعقدة لهذه الكلمة. لِمَ لا يكون الأمر سهلاً؟ ما هو الضرر في كون الشيء سهلاً؟

نظر بوارو إليه، وتنهد وشرع ذراعيه ثم هز رأسه وقال: لقد انتهى الأمر! لن أقول أكثر من ذلك.

قال جاب متحمساً: هذا رائع. دعنا ندخل الآن في التفاصيل. هل تريد معرفة ما كنت أفعله؟

- بالتأكيد.

- لقد رأيت جيرالدين، وقد تطابقت روايتها مع رواية اللورد تماماً. ربما كانا مشتركَيْن بهذا العمل معاً، لكني لا أميل لترجيح ذلك، بل أظن أنه خدعها؛ فهي -على أية حال- تحبه كثيراً. لقد تغير شكلها تماماً عندما عرفتْ بنبأ اعتقاله.

- حقاً؟ وماذا عن السكرتيرة، الآنسة كارول؟

- أظن أنها لم تُفاجَأ كثيراً، ومع ذلك فهذا رأيي فقط.

سألتُه: وماذا عن عقد اللؤلؤ؟ هل كان ذلك الجزء من الحكاية صحيحاً؟

- لا شك. لقد حصل على المال مقابل رهنه صباح اليوم التالي. لكني أستبعد أن يؤثر هذا في الفكرة الأساسية؛ فالذي أتصوّره أنّ الفكرة خطرت له لدى لقائه بابنة عمه صدفة في الأوبرا. لقد كان يائساً، وقد وجد -عند ذلك- مخرجاً من أزمته. أظن أنه خطط لشيء من ذلك القبيل، ولهذا حمل معه المفتاح. إن روايته في العثور على المفتاح صدفةً لا تقنعني، ولا بد أنه وجد -بينما كان يتحدث مع ابنة عمه- أنه إذا ورّطها في عمله فإنه يحصل على حماية إضافية لنفسه. لقد لعب بمشاعرها ولمّح إلى عقد اللؤلؤ، وأرادت أن ترضيه فانطلقا إلى البيت، وعندما وصلت إلى البيت تبعها وذهب إلى المكتبة مباشرة. ربما كان اللورد يغط في نوم عميق على كرسيه... وعلى أية حال فقد قام بعمله خلال ثانيتين ثم خرج مرة أخرى. لا أظن أنه كان يريد للفتاة أن تراه وهو في البيت، ولا أعتقد أنه تعمد أن

يجعل سائق سيارة الأجرة يراه وهو يدخل البيت، بل لعله كان يريد أن يترك انطباعاً بأنه كان يتمشى ذهاباً وإياباً منتظراً عودة الفتاة. تذكّرْ أن السيارة كانت واقفة في الاتجاه المقابل. وكان عليه أن يرهن عقد اللؤلؤ صباح اليوم التالي بالطبع، إذ يجب أن يبدو أنه لا زال بحاجة إلى النقود. وعندما سمع بالجريمة أخاف الفتاة وجعلها تخفي أمر ذهابهما إلى البيت، واتفقا على الإصرار على أنهما أمضيا تلك الاستراحة معاً في دار الأوبرا.

سأله بوارو بحدة: إذن لِمَ لَمْ يفعلا ذلك؟

هز جاب كتفيه: ربما غيّر رأيه، أو أنه رأى أنها لا تستطيع الإصرار على الإنكار، فهي عصبية المزاج.

قال بوارو متأملاً: "نعم؛ إنها عصبية المزاج". ثم قال بعد قليل: ألم يخطر ببالك أنه كان من الأسهل للكابتن مارش أن يترك دار الأوبرا أثناء الاستراحة ويذهب إلى مكان الجريمة بهدوء ومعه مفتاحه ليقتل عمه ثم يعود إلى الأوبرا، بدلاً من وجود سيارة أجرة في الخارج وفتاة عصبية يمكن أن تنزل عن الدرج في أية لحظة وقد تفقد عقلها وتفضحه.

ابتسم جاب وقال: هذا ما سنفعله أنا وأنت لو كنا مكانه، لكنّا أكثر ذكاء من الكابتن رونالد مارش.

- لست متأكداً تماماً من ذلك؛ إنني أجده ذكياً.

قال جاب ضاحكاً: لكنه ليس بمستوى ذكاء السيد هيركيول بوارو... أنا واثق من هذا!

وضحك وهو يذكر ذلك فيما نظر بوارو إليه ببرود، ثم أكمل: إذا لم يكن مذنباً فلماذا أقنع كارلوتا آدمز بأن تقوم بذلك العمل؟ قد يكون لذلك سبب واحد: حماية المجرم الحقيقي.

- أنا متفق معك في هذا تماماً.

- إنني مسرور لأننا اتفقنا على شيء!

قال بوارو: ربما كان هو الذي تكلم مع الآنسة آدمز، بينما في الحقيقة... لا، هذا غباء.

ثم ألقى سؤالاً سريعاً بعد أن نظر إلى جاب فجأة: ما هي نظريتك عن وفاتها؟

ابتلع جاب ريقه وقال: أميلُ إلى الاعتقاد بأنها حادث عرَضي. أعترفُ بأنه حادث متوافق مع تلك الجريمة، لكنني لا أرى وجود علاقة للكابتن مارش بهذا الحادث. إن دليل وجوده بعد انتهاء الأوبرا صريح للغاية؛ فقد كان في مطعم سوبرانيس مع عائلة دورثيمر حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وكانت هي نائمة قبل ذلك الوقت بمدة طويلة. أظن أن هذا مثال على الحظ الجهنمي الذي يلاقيه المجرمون أحياناً. وإلا، لو لم يحدث ذلك الحادث، لكانت لديه -حسب ظني- خططه للتعامل معها. سوف يزرع في نفسها الخوف من كونه لورداً ويخبرها بأنها يمكن أن تُعتقَل بتهمة القتل إذا اعترفت بالحقيقة، وربما كان سيرشوها بمبلغ كبير من المال.

- هلْ خطر لك أن الآنسة آدمز كانت ستدع امرأة أخرى تُشنق وهي تملك دليلاً يمكن أن يبرئها؟

- لم تكن جين لتُقاد إلى المشنقة، فدليل حفلة مونتاغو كورنر كان قوياً جداً لتبرئتها.

- لكن القاتل لم يكن يعرف هذا. كان سيعتمد على إعدام جين ويلكنسون وعلى سكوت كارلوتا آدمز.

- أنت تحب الكلام يا سيد بوارو، أليس كذلك؟ كما أنك مقتنع تماماً بأن رونالد مارش ولد ذكي لا يمكن أن يخطئ. هل تصدق روايته تلك عندما قال إنه رأى رجلاً ينسلُّ إلى البيت خلسة؟

أومأ بوارو بالموافقة فسأله جاب: هل تعرف من كان يظنه؟

- ربما أستطيع تخمين ذلك.

- قال إنه يظن أنه الممثل السينمائي بريان مارتن. ما رأيك بهذا؟ رجل لم يلتقِ اللورد إدجوير أبداً.

- إذن سيكون أمراً مستغرَباً بالتأكيد إذا شوهد مثل هذا الرجل يدخل البيت ومعه مفتاح.

قال جاب بازدراء: ولكنك ستفاجأ عندما تعلم أن السيد بريان مارتن لم يكن في لندن تلك الليلة. لقد كان في حفل عشاء مع فتاة في مولسي، ولم يَعُدْ إلى لندن إلا بعد منتصف الليل.

قال بوارو بهدوء: آه، لا، لم أُفاجأ. هل كانت الفتاة ممثلة هي الأخرى؟

- لا، بل فتاة تملك محلاً تبيع القبعات. في الواقع كانت هي

الآنسة درايفر صديقة كارلوتا آدمز. أظن أنك ستوافقني على أن شهادتها لا يعتريها شك.

- لا أجادلك في هذا يا صديقي.

قال جاب ضاحكاً: الواقع أنك خُدعت، وأنت تعرف هذا! كانت رواية ملفقة... لم يدخل أحد المنزل رقم ١٧، كما أن أحداً لم يدخل أياً من البيوت المجاورة له، إذن على ماذا يدل هذا؟ هذا يعني أن اللورد كاذب.

هز بوارو رأسه حزيناً، ونهض جاب وقد استعاد نشاطه وهو يقول: لا عليك، إننا مصيبون.

سأل بوارو: من هو «د» من باريس، تشرين الثاني؟

هز جاب كتفيه وقال: أظن أنه تاريخ قديم، ألا يمكن لفتاة أن تحصل على هدية تذكارية قبل ستة أشهر دون أن يكون لها علاقة بجريمة قتل؟ يجب أن يكون لدينا فهم لمعنى الانسجام.

فجأة صاح بوارو وقد لمعت عيناه: قبل ستة أشهر... يا إلهي! كم كنت أحمق!

التفت جاب إليّ سائلاً: ما الذي يقوله؟

نهض بوارو وأمسك بكتف جاب قائلاً: لماذا لم تتعرف خادمة كارلوتا آدمز على تلك العلبة؟ لماذا لم تتعرف الآنسة درايفر عليها؟

- ما الذي تعنيه؟

- لأن العلبة كان جديدة... كانت قد حصلت عليها لتوها! باريس، تشرين الثاني. هذا كله جيد، لا شك أن هذا هو التاريخ الذي يُفترَض أنه مناسبة تذكارية، لكنّ العلبة لم تُقدّم لها في ذلك الوقت، بل الآن فقط. لقد اشتُريتْ العلبة لتوها... اشتُريتْ لتوها فقط! أرجوك أن تحقق في ذلك يا جاب. إنها فرصة. العلبة لم تُشترَ من هنا ولكن من الخارج، ربما من باريس. لو أنها اشتُريت من هنا لتقدم إلينا تاجر جواهر وأبلغنا عنها، فقد نُشرت صورة العلبة وأوصافها في الصحف. نعم، نعم، باريس. ربما من بلد أجنبي آخر، لكني أعتقد أنها من باريس. أرجوك أن تحقق في هذا الأمر؛ أريد أن أعرف من يكون «د» الغامض هذا؟

قال جاب مبتهجاً: ليس في هذا ضرر. لست متحمساً جداً لهذا الأمر لكني سأبذل ما بوسعي؛ فكلما عرفنا أكثر كلما كان هذا أفضل.

قال ذلك، ثم تركنا وهو يومئ لنا برأسه مبتهجاً.

* * *

الفصل الثالث والعشرون

الرسالة

قال بوارو: "والآن سنخرج للغداء". ثم وضع يده على ذراعي وقال وهو يبتسم في وجهي: عندي أمل.

أحسست بالسرور لأنه عاد إلى عادته القديمة رغم أنني ما زلت على قناعتي بأن رونالد هو القاتل، بل تصورت أن بوارو نفسه ربما اقتنع بذلك بعدما استمع إلى نقاش جاب. ربما كان البحث عن مشتري تلك العلبة هو المحاولة الأخيرة لحفظ ماء وجهه.

ذهبنا لتناول الغداء معاً بهدوء. ولشدة فرحتي وجدت بريان مارتن وجيني درايفر يأكلان على طاولة في الجانب الآخر من المطعم، وعندما تذكرت ما قاله جاب اشتبهت بوجود علاقة حب بين الاثنين.

شاهدانا، ولوحت جيني بيدها. وعندما كنا نشرب القهوة تركت مرافقها وجاءت إلى طاولتنا، وكانت تبدو -كعادتها- حيوية ونشيطة. قالت: هل يمكنني الجلوس والحديث معك قليلاً يا سيد بوارو؟

- بالتأكيد يا آنسة، سأكون مسروراً بذلك.

- كنتَ ترجو أن تعثر على صديق لها. أليس هذا صحيحاً؟

- بلى، بلى.

- لقد فكرت وفكرت. أحياناً لا تستطيع تذكر هذه الأشياء مباشرة، فعندما تريد معرفتها عليك أن تعود بذاكرتك إلى الوراء... تتذكر الكثير من الكلمات الصغيرة والعبارات التي ربما لم تلتفت إليها عندما قيلت. وهذا ما كنت أفعله: أفكر وأفكر. وأتذكر ما قالته. وقد توصلت إلى نتيجة معينة.

- نعم يا آنسة؟

- أظن أن الرجل الذي كانت تهتم به (أو بدأت تهتم به...) كان رونالد مارش، الرجل الذي ورث لقب اللورد.

- ما الذي يجعلك تعتقدين أنه هو يا آنسة؟

- سبب واحد؛ وهو أن كارلوتا كانت تتكلم كلاماً عاماً ذات يوم عن رجل عاثر الحظ وكيف أن ذلك يؤثر في شخصيته. إن أول شيء تخدع المرأة فيه نفسها هو أن تضعف أمام رجل، لقد سمعت هذا المثل القديم كثيراً. كانت كارلوتا فتاة واعية، ومع ذلك كانت تخرج مع هذا الرجل كأنها فتاة مغفلة تماماً لا تعرف شيئاً عن الحياة. هي لم تذكر اسمه، بل كان كلامها عاماً، لكنها تحدثت بعد ذلك عن رونالد مارش وقالت إنها تعتقد أنه عومل معاملة سيئة. ولم أربط بين

هذين الموضوعين في ذلك الوقت، لكني بدأت أتساءل الآن... يبدو لي أن رونالد هو الذي كانت تعنيه. ما رأيك يا سيد بوارو؟

نظرت إليه باهتمام فقال: أظن -يا آنسة- أنك قدمتِ لي بعض المعلومات القيمة.

أطبقت جيني يديها قائلة: رائع!

نظر بوارو بهدوء قائلاً: لعلك لا تعرفين أن الرجل الذي تتحدثين عنه قد اعتُقل لتوه.

فغرت فاها من الدهشة: آه! إذن فقد جاء تفكيري متأخراً قليلاً.

- لم يكن متأخراً أبداً، أشكرك يا آنسة.

تركتنا لتعود إلى باريان مارتن. وقلت: هذا سيغير فكرتك بالتأكيد يا بوارو.

- لا يا هيستنغز؛ على العكس... إنه يؤكدها.

ورغم هذا التأكيد الشجاع فقد اعتقدت أنه ضعف في داخله.

لم يذكر قضية إدجْوير في الأيام التي تلت ذلك أبداً، وكان يجيب باقتضاب ودون اهتمام إذا تحدثتُ أنا عنها، وبمعنى آخر ظهر كأنه غسل يديه من القضية! ومهما كان الذي أبقاه في ذهنه الرائع، فقد أُجبر الآن على الاعتراف بأن اعتقاده الأول عن القضية كان صحيحاً لأن رونالد مارش كان متهماً حقيقة بارتكاب الجريمة،

ولم يستطع الإقرار علناً بأن هذا صحيح لكونه بوارو فقط، ولذلك تظاهر بأنه فقد اهتمامه بالقضية!

هذا -حسب اعتقادي- هو تفسيري لموقفه. لم يهتم أدنى اهتمام بإجراءات محكمة الشرطة التي كانت أقرب إلى الإجراء الشكلي، وقد شغل نفسه بقضايا أخرى. وكما قلت: لم يظهر أي اهتمام عندما كان الموضوع يُذكَر أمامه.

ولكن بعد أسبوعين تقريباً من أحداث الفصل الأخير الذي كتبته بدأت أدرك أن تفسيري لموقفه كان خاطئاً. كان ذلك ساعة الإفطار، وكان يقلب بأصابعه كومة كبيرة من الرسائل كانت مكدسة أمامه كالعادة عندما صاح -فجأة- صيحة استمتاع سريعة والتقط رسالة عليها طابع أمريكي.

فتحها بسكين الرسائل الصغيرة، ونظرت إليه بارتياب وهو يبدو سعيداً جداً برؤيته لها. قرأ الرسالة مرتين ثم رفع بصره قائلاً: هل تحب أن ترى هذه يا هيستنغز؟

أخذتها منه، وقرأت ما يلي:

عزيزي السيد بوارو،

لقد تأثرت كثيراً برسالتك اللطيفة وشعرت بالحيرة من كل شيء. وبعيداً عن حزني الكبير، كنت أشعر بالإهانة بسبب الأشياء التي أشارت إلى كارلوتا تلميحاً... أختي كارلوتا العزيزة الأثيرة على قلبي. لا يا سيد بوارو، لم تكن تتعاطى المخدرات؛ أنا متأكدة من هذا. كانت تخاف كثيراً من هذا الشيء، وقد سمعتها تقول ذلك

كثيراً. إن كانت قد لعبت دوراً في وفاة ذلك الرجل المسكين فإنه دور بريء تماماً، ورسالتها لي تثبت هذا. أرفق لك الرسالة ذاتها بناء على طلبك. أكره التخلي عن آخر رسالة كَتَبَتْها إليّ، لكني أعرف أنك ستعتني بها وتعيدها إلي. وبما أنها قد تساعدك في كشف شيء من اللغز الذي يكتنف وفاتها -كما تقول- فيجب أن أرسلها إليك بالطبع.

لقد سألتني إن كانت كارلوتا قد تحدث في رسائلها إلي عن أصدقاء خاصين لها. لقد ذكرت لي أسماء أشخاص عديدين بالطبع، لكنها لم تذكر لي أحداً باهتمام خاص. لقد ذكرت لي اسم بريان مارتن الذي نعرفه منذ سنوات، وفتاة تدعى جيني درايفر، والكابتن رونالد مارش، حيث أعتقدُ أنها كانت تراهم أكثر من أي أحد آخر.

أتمنى لو أن باستطاعتي عمل شيء لمساعدتك. لقد كتبت رسالتك بلطف كبير، ويبدو أنك تدرك ماذا كنّا (أنا وكارلوتا) كل بالنسبة للآخر.

المخلصة: لوسي آدمز

"ملاحظة: لقد جاء -للتو- ضابطٌ يسأل عن الرسالة فأخبرته أنني أرسلتها لك بالبريد؛ فقد شعرت (بطريقة أو بأخرى) بأن من الأفضل أن تراها أنت أولاً. يبدو أن الشرطة عندكم يريدونها دليلاً ضد القاتل. يمكنك أن تأخذها إليهم ولكن أرجو أن تتأكد من أنهم لن يحتفظوا

بها وأن تعيدها إليّ يوماً ما؛ فهي -كما ترى- آخر كلمات كتبتْها لي كارلوتا".

قلت وأنا أضع الرسالة على الطاولة: إذن فقد كتبتَ لها رسالة. لِمَ فعلت هذا يا بوارو؟ ولماذا طلبت رسالة كارلوتا الأصلية؟

- الحقيقة أنني لا أعرف السبب يا هيستنغز، غير أنني رجوت -يائساً- أن توضح الرسالة الأصلية ما لم توضحه البرقية التي تضمنت نصّها.

- وما الذي يمكن أن تستخلصه من هذه الرسالة؟ لقد أعطتها كارلوتا نفسها للخادمة لكي ترسلها بالبريد، ولم يكن في الأمر أي خداع... إنها تبدو رسالة حقيقية عادية تماماً.

تنهد بوارو وقال: أعرف، أعرف. وهذا ما يجعل الأمر صعباً جداً؛ لأن هذه الرسالة لا تنسجم مع الحقائق يا هيستنغز.

- هُراء.

- أجل، أجل، الأمر كذلك. فكما كشفتُ هذا بالمنطق، فلا بد أن تكون أمور معينة كما ظننت، لأنها منسجمة في الأسلوب والترتيب بأسلوب مفهوم. أما هذه الرسالة فإنها لا تنسجم مع الحقائق التي ذكرت، من يكون المخطئ إذن: هيركيول بوارو أم الرسالة؟

قلت بلطف قدر استطاعتي: ألا تعتقد أن من الممكن أن يكون المخطئ هو هيركيول بوارو؟

نظر بوارو إليّ نظرة توبيخ وقال: أحياناً أخطئ، ولكن ليس هذه

المرة! من الواضح أن الرسالة تبدو مستحيلة، لا بد أننا قد غفلنا عن حقيقة فيها، وأنا أحاول أن أكشف هذه الحقيقة الآن.

وما لبث أن استأنف فحص الرسالة باستخدام عدسة جيب مكبرة، وعندما انتهى من فحص كل ورقة أعطاني إياها. لم أستطع معرفة أي شيء غريب فيها، فقد كانت مكتوبة بخط يد ثابت مقروء، كما كانت مكتوبة كلمة كلمة وكأنها برقية.

تنهد بوارو بعمق وهو يقول: ليس فيها أي تزوير... أبداً؛ كلها مكتوبة بنفس اليد. ومع ذلك، وبما أنني أعتقد أنها مستحيلة...

سكت، وأشار إليّ بيده أن أعطيه الأوراق، فسلمته إياها، ثم بدأ يتفحصها ثانية... وفجأة صاح! كنت قد تركت -في تلك اللحظة- طاولة الإفطار ووقفت أنظر من النافذة، ولكني التفتّ بحدة لدى سماع صرخته.

بدا بوارو مشدوهاً وقد بدت عيناه خضراوين كعيني قط، وارتعش أصبعه الذي كان يشير به وهو يقول: أترى هنا يا هيستنغز؟ انظر هنا... بسرعة... تعال وانظر.

أسرعت إلى جانبه. كان يضع أمامه إحدى الصفحات الوسطى من الرسالة، ولم أرَ أي شيء غير عادي فيها.

- ألا ترى؟ كل الأوراق الأخرى ذات حواف مستوية ونظيفة لأنها أوراق مستقلة، أما هذه... انظر، فأحد طرفيها ممزق. لقد قُطعت وفصلت من ورقة مزدوجة. هل تفهم ما أعنيه؟ **كانت هذه**

الرسالة مكتوبة على ورقة مزدوجة، وهكذا فإن إحدى صفحات الرسالة مفقودة!

حدّقت فيه ببلاهة: ولكن كيف يحدث هذا؟ هل هذا معقول؟

- نعم، نعم؛ هذا معقول. يكمن الذكاء في هذه الفكرة. اقرأ، وسوف ترى. إنها تتحدث عن الكابتن مارش وتقول إنه قد استمتع بعرضها كثيراً... وهنا تنتهي الورقة، وفي أول الورقة الجديدة تكمل قائلة: "وقد تناقشنا في ذلك ملياً وقال: أعتقد أن تقليدك لزوجته سينطلي عليه هو شخصياً. هل تقبلين التحدي مقابل مبلغ؟"... هنا صفحة مفقودة يا صديقي. إن الضمير الغائب في الصفحة الثانية قد لا يعود على نفس الشخص الذي ذُكر في الصفحة الأولى، **وهو في الواقع ليس كذلك!** إنه رجل آخر تماماً وهو الذي نفّذ هذه الخدعة. لاحظ أن الاسم لم يُذكر في أي مكان بعد ذلك. آه؛ هذا رائع! لقد أمسك مجرمنا بالرسالة بطريقة أو بأخرى، ولمّا كانت تكشفه فقد فكر في إخفائها تماماً، ولكنه ما لبث أن وجد أسلوباً أفضل للتعامل معها: بحذف صفحة واحدة فتتحول الرسالة إلى اتهام خطير لرجل آخر... رجل له دافع، هو الآخر، لقتل اللورد إدجوير. كانت فرصة لا تُعوّض! وهكذا مزّق الورقة ثم أعاد الرسالة مكانها.

نظرت إلى بوارو نظرة إعجاب، رغم أنني لم أكن مقتنعاً تماماً بحقيقة نظريته. رأيت الاحتمال الأرجح أن كارلوتا استخدمت نصف ورقة مفردة كانت ممزقة من طرفها من قبل، لكن بوارو كان يشرق

بهجة ولذلك لم أجرؤ على طرح هذا الاحتمال العادي، كما أنه قد يكون مصيباً.

ومع ذلك فقد غامرت وأشرت إلى وجود بعض الصعوبات التي تعترض تحقيق نظريته. قلت: ولكن كيف وقعت يد هذا الرجل على الرسالة؟ لقد أخذتْها كارلوتا آدمز من حقيبتها وأعطتها بنفسها للخادمة لترسلها بالبريد... الخادمة أخبرتنا بهذا.

- ولهذا السبب يجب أن نفترض أحد احتمالين: إمّا أن الخادمة كذبت أو أن كارلوتا آدمز قابلت المجرم في تلك الليلة.

أومأت برأسي، فقال مستطرداً: يبدو لي أن الاحتمال الثاني هو الأرجح، فنحن ما زلنا نجهل أين كانت كارلوتا آدمز بين الساعة التي تركت فيها الشقة والساعة التاسعة عندما تركت حقيبتها في محطة يوستون. أنا أميل إلى الظن بأنها التقت المجرم خلال هذه الفترة في مكان محدّد، وربما تناولا الطعام معاً حيث أعطاها تعليماته الأخيرة. لا نعرف ما الذي حدث بالضبط بخصوص الرسالة، ولكن قد نستطيع التخمين. ربما كانت تحملها معها لتضعها في البريد، وقد تكون وضعتها على الطاولة في المطعم فلاحظ القاتل العنوان واشتمّ منها رائحة خطر محتمل، وقد يكون التقطها بدهاء وتعذّر بعذرٍ ما لمغادرة الطاولة حيث فتحها وقرأها ومزق الورقة، ثم ربما أعادها بعد ذلك إلى مكانها على الطاولة أو ربما أعطاها لها عندما غادرت متعللاً بأنها أسقطتها من يدها دون أن تلاحظ. ليس مهمّاً معرفة الطريقة التي حدثت بالضبط، ولكنْ لدينا شيئان اثنان يبدوان واضحين: الأول أن كارلوتا آدمز التقت المجرم في تلك الليلة إمّا قبل أو بعد قتله اللورد إدجوير (لا تَنْسَ أنه كان ثمة وقت يمكنها فيه

أن تلتقي القاتل لقاء قصيراً بعد خروجها من مطعم كورنر). والأمر الثاني (رغم أنني قد لا أكون مصيباً) أن القاتل هو الذي أعطاها العلبة الذهبية، وربما كانت تذكاراً عاطفياً عن لقائهما الأول، وإذا كان هذا صحيحاً فإن القاتل هو «د».

- لا أفهم مغزى العلبة الذهبية.

- اسمع يا هيستنغز، لم تكن كارلوتا آدمز مدمنة على الفيرونال. إن لوسي آدمز تقول هذا وأنا أعتقد أنه صحيح. كان واضحاً أنها فتاة تتمتع بصحة جيدة ولم يكن عندها ميل لمثل هذه الأشياء، كما أنّ خادمتها لم تتعرّف على العلبة، ولا أي واحد من أصدقائها ومعارفها، فمن أين جاءت وسط أغراضها -بعد وفاتها- إذن؟ لكي ينشأ انطباع أنها أخذت الفيرونال فعلاً وأنها كانت تأخذه منذ وقت طويل، منذ ستة أشهر على الأقل! دعنا نفترض أنها التقت بالقاتل بعد ارتكابه الجريمة، ولو لبضع دقائق. ولعلهما تناولا معاً شراباً ما، وهناك وضع في كأسها الفيرونال اللازم لضمان أنها لن تستيقظ من نومها صباح اليوم التالي.

قلت وأنا أرتجف: هذا رهيب!

قال بوارو بجدية: نعم؛ لم يكن الأمر شاعرياً أبداً.

سألته بعد وقت قصير: هل ستخبر جاب بكل هذا؟

- ليس الآن. ماذا عندي حتى أخبره به؟ سيقول جاب الرائع: "هذا وهم آخر... الفتاة كتبت على ورقة مفردة!".

نظرت إلى الأرض شاعراً بالذنب. وسكت بوارو، وكانت

تعبيرات حالمة ما زالت مرتسمة على وجهه، ثم قال متأملاً: تخيل -يا هيستنغز- لو أن ذلك الرجل كان ذا أسلوب منهجي في التخطيط والتفكير، لكان قد قطع تلك الورقة بسكين مثلاً ولم يمزقها، وما كنا لنلاحظ أي شيء عند ذلك... أي شيء أبداً!

قلت مبتسماً: إذن نستنتج من ذلك أنه رجل غير مرتب وأنه كان يفتقر إلى الحذر.

- لا، لا. ربما كان مستعجلاً. لاحظ أنها كانت ممزقة بطريقة مهملة للغاية. آه! لا شك أنه كان يسابق الزمن.

سكت ثم قال: أرجو أن تلاحظ شيئاً واحداً، هذا الرجل لا بد أن يملك دليلاً قوياً على وجوده في مكان غير مكان الجريمة تلك الليلة.

- لا أفهم كيف يمكن أن يملك مثل هذا الدليل إن كان قد أمضى أولاً وقتاً في ريجنت غيت، حيث ارتكب جريمة القتل، ثم أمضى بقية الوقت في تلك الليلة مع كارلوتا آدمز.

قال بوارو: بالضبط، هذا ما أقصده. إنه بحاجة ماسة لدليل يثبت مكان وجوده في تلك الليلة، وما من شكٍّ في أنه قد أعدّ واحداً. نقطة أخرى: هل يبدأ اسمه -حقاً- بحرف د؟ أم أن «د» بداية للقب كانت كارلوتا تعرفه به؟

سكت ثم قال بهدوء: يجب أن نعثر على رجل يبدأ اسمه الأول أو لقبه بالحرف «د» يا هيستنغز. نعم، يجب أن نعثر عليه.

* * *

الفصل الرابع والعشرون

خبر من باريس

في اليوم التالي جاءتنا زائرة غير متوقعة: جيرالدين مارش. شعرت بالأسى لحالها وأنا أنظر إليها، وحياها بوارو وقدم لها كرسياً.

بدت عيناها الواسعتان السوداوان أوسع وأكثر سواداً من قبل. وقد ظهرت حولهما هالة سوداء وكأنها لم تذق طعماً للنوم منذ ليال، وبدا وجهها منهكاً خائفاً خوف طفل صغير! قالت: لقد جئت لرؤيتك -يا سيد بوارو- لأني لا أعرف كيف أتصرف؟ إنني في أشد حالات الضيق والانزعاج.

قال بوارو متعاطفاً: ما الأمر يا آنسة؟

- أخبرني رونالد بما قلته له ذلك اليوم... أقصد في ذلك اليوم الرهيب الذي اعتقل فيه.

وانتابتها رعشة، ثم أضافت: أخبرني أنك تقدمت نحوه فجأة

عندما قال إنه يعتقد بعدم وجود أي واحد يصدقه، وأنك قلت له: "أنا أصدقك". هل هذا صحيح يا سيد بوارو؟

- نعم؛ صحيح يا آنسة، هذا ما قلته له.

- أعرف، لكني قصدت: هل صحيحٌ ما عنيته بكلامك هذا؟ أقصد: هل صدقت أقواله؟

بدت قلقة جداً وهي تميل بجسدها إلى الأمام ويداها متشابكتان بقوة. وقال بوارو بهدو: كان كلامي صادقاً يا آنسة. لا أعتقد أن ابن عمك قتل اللورد إدجْوير.

احمرّ وجهها واتسعت حدقتاها وهي تقول: آه! إذن لا بد أنك تعتقد أن شخصاً آخر فعلها!

ابتسم وقال: بالطبع يا آنسة.

- إنني غبية وأقول أشياء غير مناسبة. ما أعنيه هو... هل تظن أنك تعرف من هو ذلك الشخص؟

مالت إلى الأمام متلهفة فقال: من الطبيعي أن تكون لديّ أفكار صغيرة أو ما نسميه شكوكاً.

- ألن تخبرني؟ أرجوك... أرجوك.

هز بوارو رأسه قائلاً: ليس من العدل أن أخبرك يا آنسة.

- إذن فلديك شك واضح بشخص معين؟

هز بوارو رأسه على نحو غامض، فتوسلت الفتاة: لو عرفت

شيئاً قليلاً لصار الأمر أسهل بالنسبة لي وقد أستطيع مساعدتك، نعم، قد أستطيع مساعدتك.

كان توسلها لطيفاً لكن بوارو استمر في هز رأسه رافضاً.

قالت الفتاة متأملة: "دوقة ميرتون ما زالت مقتنعة بأن القاتل هو زوجة أبي". ولاحت منها التفاتة متسائلة إلى بوارو، ولكن أي رد فعل لم يظهر عليه، فأضافت قائلة: لكني لا أعرف كيف يمكن ذلك؟

- ما رأيك فيها؟ أقصد زوجة أبيك؟

- أنا لا أكاد أعرفها. كنت في مدرسة في باريس عندما تزوجها أبي، وعندما جئت إلى البيت كانت لطيفة... أقصد أنها لم تكن تلحظ وجودي هناك. ولكني كنت أرى أنها غبية وجشعة.

أومأ بوارو برأسه وقال: لقد تكلمت عن دوقة ميرتون، فهل كنت ترينها كثيراً؟

- نعم، وقد كانت لطيفة جداً معي. لقد عايشتها كثيراً خلال الأسبوعين الأخيرين، فقد كانت ظروفي صعبة للغاية بسبب الأحاديث والصحافيين ووجود رونالد في السجن.

ارتعشت، ثم قالت: أشعر أنه لا يوجد لي أصدقاء حقيقيون. لكن الدوقة كانت رائعة، وكان رائعاً هو الآخر... أعني ابنها.

- هل يعجبك؟

- إنه خَجِل، وهو كذلك فظ صعب التفاهم، لكن أمه تتحدث عنه كثيراً ولذلك أشعر أنني أعرفه بعض الشيء.

- فهمت. أخبريني يا آنسة، هل تحبين ابن عمك كثيراً؟

- رونالد؟ بالطبع. إنه... لم أره كثيراً في السنتين الأخيرتين، لكنه كان يعيش في البيت قبل ذلك، وكنت... كنت أعتقد أنه شخص رائع. كان يمزح دائماً ويفكر بعمل أشياء جنونية. آه، لقد كان يضفي على بيتنا الكئيب جواً من المرح.

أومأ بوارو برأسه متعاطفاً، لكنه أكمل كلامه بعبارة قاسية صدمتني: إذن فأنت لا تريدين رؤيته مشنوقاً؟

ارتجفت الفتاة رجفة عنيفة: لا، لا. ليس ذاك. آه! كنت أتمنى أن تكون هي... زوجة أبي. لا بد أنها هي؛ الدوقة تقول هذا.

قال بوارو: لو أن الكابتن مارش بقي في سيارة الأجرة!

طرفت عيناها وقالت باستغراب: نعم... ما الذي تقصده؟

- لو لم يتبع ذلك الرجل إلى داخل البيت. على فكرة، هل سمعت صوتاً يدل على دخول أي واحدٍ البيت؟

- لا، لم أسمع أي شيء.

- ماذا فعلتِ عندما دخلتِ البيت؟

- صعدت إلى الطابق العلوي مسرعة لأحضر العقد كما تعرف.

- ولكن يبدو أن ذلك استغرق منك وقتاً طويلاً؟

- نعم؛ فلم أعثر على مفتاح حقيبة جواهري بسرعة.

- هذا يحدث كثيراً؛ كلما كان المرء في عجلة من أمره كانت سرعته أقل. لم تنزلي من غرفتك إلا بعد وقت طويل، ثم وجدت ابن عمك في الصالة، أليس كذلك؟

- بلى، كان قادماً من المكتبة.

- فهمت، وكان ذلك صدمة بالنسبة لك؟

- نعم، كان كذلك. لقد أجفلني.

- تماماً، تماماً.

- لقد قال روني فقط: مرحباً دينا، هل أحضرته؟ قالها من ورائي، مما جعلني أثب من الذعر. وقد كان دائماً يناديني تلطفاً بهذا الاسم «دينا».

قال بوارو بهدوء: نعم. كما قلتُ من قبل؛ فإنه أمر مؤسف ألا يكون قد انتظرك في الخارج، لأن سائق سيارة الأجرة كان سيشهد على أنه لم يدخل البيت أبداً.

أومأت موافقة، وبدأت دموعها تنهمر بغزارة، ثم نهضت واقفة فأمسك بوارو بيدها قائلاً: تريدين أن أنقذه من أجلك، أهذا صحيح؟

- نعم، نعم، أرجوك. نعم، أنت لا تعرف...

سكتت وهي تحاول جاهدة ضبط نفسها مطبقة يديها واحدة على الأخرى، فقال بوارو بلطف: لم تكن حياتك سهلة يا آنسة... أنا أقدّر هذا. هيستنغز، هلا أحضرت سيارة أجرة للآنسة؟

نزلت مع الفتاة ورافقتها حتى ركبت سيارة الأجرة، وكانت قد تمالكت نفسها وشكرتني كثيراً. ثم رجعت فوجدت بوارو يذرع الغرفة جيئةً وذهاباً مستغرقاً في التفكير. ثم رن جرس الهاتف فسررت لأنه قد قطع عليه تفكيره.

- من المتكلم؟ آه، إنه جاب. صباح الخير يا صديقي.

سألته وأنا أقترب من الهاتف: ماذا يقول؟

ولكنه كان يصغي بانتباه ويصدر صيحات دهشة بن حين وآخر، وأخيراً تكلم قائلاً: نعم، ومن زاره؟ هل يعرف؟

أيّاً كانت الإجابة فإنها لم تكن ما توقعه؛ فقد انقلب وجهه انقلاباً غريباً وهو يسأل: هل أنت متأكد؟

بعد ذلك لم أسمع سوى تعليقات بوارو المتقطعة: لا، إنه مزعج قليلاً؟ هذا كل ما في الأمر... نعم، يجب أن أعيد ترتيب أفكاري... حقاً؟... ومع ذلك كنت مصيباً في هذا الأمر. نعم، معلومة صغيرة كما تقول... كلا، ولا زلت أصرّ على نفس الرأي. أرجوك أن تواصل التحقيق والاستعلام عن المطاعم في المنطقة القريبة من ريجنت غيت ومن محطة يوستون، وشارع توتنهام كورت وربما شارع أكسفورد أيضاً... نعم، امرأة مع رجل. وأيضاً في المنطقة القريبة من ستراند، قبل منتصف الليل بقليل. كيف ذلك؟... نعم، أعرف أن الكابتن مارش كان مع عائلة دورثيمر. ولكن يوجد أناس آخرون في العالم غير الكابتن مارش... ليس جميلاً أن تسفني بالعناد، أرجوك أن تخدمني في هذه المسألة...

وأخيراً وضع بوارو السماعة، فسألته وقد نفد صبري: حسناً؟

- أرجو أن يكون الأمر حسناً. لقد اشتُريتْ تلك العلبة الذهبية من باريس يا هيستنغز، وهي قد طُلبتْ بالبريد وجاءت من محل مشهور في باريس متخصص في مثل هذه الأشياء. يُفترض أن الذي أرسل الرسالة سيدة تدعى الليدي أكرلي، فقد وقعت باسم «المخلصة أكرلي»، ولكن من الطبيعي الافتراض أنه لا توجد واحدة بهذا الاسم. لقد استلم المحل الطلب برسالة وصلت بالبريد قبل يومين من وقوع الجريمة، وكانت تطلب كتابة الحروف الأولى تلك بالياقوت، وأن يكون النقش من الداخل، وكان طلباً مستعجلاً لأن الرسالة أصرت على أن يكون الاستلام في اليوم التالي، أي اليوم الذي سبق الجريمة.

- وهل ذهب أحد لاستلامها؟

- نعم، ذهب شخص ودفع ثمنها نقداً واستلمها.

سألته منفعلاً: ومن الذي ذهب لاستلامها؟

أحسست بأننا كنا نقترب من الحقيقة، وأجابني قائلاً: امرأة ذهبت لاستلامها يا صديقي.

قلت مدهوشاً: امرأة؟

- أجل؛ امرأة... قصيرة، ومتوسطة العمر، وتلبس نظارة!

نظر كلٌّ منّا إلى الآخر متحيراً.

* * *

الفصل الخامس والعشرون

حفل غداء

ذهبنا في اليوم التالي إلى حفل غداء أقامته عائلة ويدبيرن في كلاريدج. لم يكن أي منا مهتماً بحضور ذلك الحفل، ولكن السيدة ويدبيرن وجهت لنا الدعوة لحضوره ست مرات. كانت امرأة لحوحة مغرمة بالأشخاص المشهورين، ولم تستجب لرفضنا المتكرر، بل عرضت علينا -في النهاية- عدة مواعيد يتعذر معها الاستمرار بالرفض، وبناء على ذلك لم يكن لدينا خيار آخر غير الاستجابة للدعوة.

كان بوارو ما يزال متحفظاً منذ سماعه تلك التفصيلات بخصوص علبة الجواهر التي اشتُريَتْ من باريس، وكلما علّقتُ على الموضوع كان يكرر الإجابة ذاتها تقريبا قائلاً: "في هذه المسألة شيء لا أفهمه". وكان يهمس لنفسه أحياناً مردداً: "نظارة... نظارة في باريس... نظارة في حقيبة كارلوتا آدمز..."، ولذلك أعترف أنني أحسست ببعض الرضا لأن حفل الغداء كان وسيلة لصرف انتباهه إلى شيء آخر.

رأيت دونالد روس الشاب في حفل الغداء، وقد جاء إليّ وحياني بحرارة وجلس بجانبي على الطاولة. وكانت جين ويلكنسون تجلس مقابلنا تقريباً، وإلى جانبها جلس دوق ميرتون الشاب متوسطاً بينها وبين السيدة ويدبيرن.

وقد بدا لي (وربما كان ذلك مجرد خيال من ناحيتي بالطبع) أنه كان يبدو منزعجاً. لم ينسجم مع الجماعة التي وجد نفسه وسطها، فقد كانت شاباً متحفظاً كأنه قادم من العصور الوسطى، وكان افتتانه بجين ويلكنسون العصرية جداً إحدى المفارقات العجيبة!

ومضى الحديث في موضوعات شتى، ثم تحدث شخصٌ (لم أعد أذكر من هو الآن) عن أذواق باريس فارتفع -فوراً- صوت جين ويلكنسون المرح وهي تقول بطريقة بدت خرقاء إلى حدٍّ ما: باريس؟ ليس لها أي تأثير هذه الأيام. لندن ونيويورك هما المعتبَرتان الآن.

وكما يحدث أحياناً، أدت هذه الكلمات إلى الخوض في حديث ممل لبعض الوقت، وسمعتُ دونالد روس على يميني يسحب أنفاسه بحدة، ثم بدأت السيدة ويدبيرن تتحدث عن أوبرا روسية بحماسة. كل واحد قال شيئاً لواحد آخر باستعجال. جين وحدها التي رفعت بصرها إلى أعلى بهدوء ثم أنزلته إلى الطاولة دون أن تدرك أنها ثرثرت بكلمات غير لائقة.

في تلك اللحظة لاحظت الدوق. كان يزم شفتيه وقد احمرت وجنتاه، وبدا لي وكأنه ابتعد عن جين قليلاً. لا بد أنه سيدرك أن رجلاً سيتزوج جين ويلكنسون قد يواجه بعض الأحداث الخرقاء المؤسفة.



بعد قليل لاحظت وجود بريان مارتن في الحفل، ولا بد أنه قد وصل متأخراً لأني لم أره من قبل. كان يجلس على نفس الجانب الذي أجلس فيه على الطاولة ولكن بعيداً عني بعض الشيء، وكان يميل بجسمه فوق الطاولة ويتبادل الحديث بحماسة مع الضيف الجالس إلى جواره. لقد مضى وقت طويل لم أره فيه عن قرب، وقد لاحظت -على الفور- وجود تحسن كبير في مظهره؛ فقد اختفت ملامح الإنهاك التي كانت واضحة عليه، وبدا أصغر عمراً وأكثر قوة، وقد بدت معنوياته مرتفعة.

لم يكن عندي الوقت الكافي لكي أراقبه أكثر من ذلك، ففي تلك اللحظة استأذنتني جارتي البدينة الجالسة إلى جواري لكي أصغي إلى حديث طويل منها عن جمال حفلات الأطفال التي كانت تنظمها لصالح الأعمال الخيرية.

وكان على بوارو أن يغادر مبكراً حيث كان ملتزماً بموعد، فقد كان يحقق في حادث الاختفاء الغريب لخادم أحد السفراء وكان مرتبطاً بموعد لأجل ذلك في الساعة الثانية والنصف، وقد كلفني بشكر السيدة ويدبيرن نيابة عنه. وبينما كنت أتحين الفرصة المناسبة لذلك (حيث لم يكن الأمر سهلاً لأنها كانت في تلك اللحظة محاطة بأصدقائها الذين كانوا يودعونها مغادرين) إذا بواحد يربت على كتفي. كان ذلك هو الشاب روس، وقال متسائلاً: أليس السيد بوارو موجوداً هنا؟ كنت أريد التحدث معه.

أوضحت له أن بوارو قد غادر لتوه فبدت عليه خيبة الأمل. وعندما نظرت إليه عن قرب أكثر رأيت على وجهه علامات الانزعاج،

وقد بدا شاحباً متوتراً وكنت أرى نظرة غريبة غير واضحة في عينيه. سألته: هل أردت رؤيته لأمر خاص؟

أجاب ببطء: إنني... لا أعرف.

كانت إجابة غريبة مما جعلني أحدق إليه دَهِشاً، فقال وقد احمرّ وجهه: أعرف أن هذا يبدو غريباً. الحقيقة هي أن شيئاً غريباً قد حدث، شيئاً لا أستطيع فهمه. أحب... أحب أخذ نصيحة السيد بوارو في الأمر لأنني لا أعرف ماذا أفعل. لا أريد إزعاجه، ولكن...

بدا مرتبكاً جداً وحزيناً فأسرعت إلى طمأنته قائلاً: لقد ذهب بوارو إلى موعد، لكني أعرف أنه يعتزم العودة في الساعة الخامسة، لِمَ لا تتصل به تلفونياً في تلك الساعة أو تأتي لتراه؟

- أشكرك، سأفعل... الساعة الخامسة.

قلت: من الأفضل أن تتصل أولاً لتتأكد من وجوده قبل حضورك.

- حسناً، سأفعل. شكراً يا هيستنغز، فالأمر مهم جداً كما أظن.

أومأت له والتفت ثانية حيث كانت السيدة ويدبيرن توزع الكلمات المعسولة بتصافح الزوار مودعة. قمت بأداء واجبي، وكنت على وشك ار يل عندما أمسكت يدٌ بذراعي، وسمعت صوتاً مرحاً يقول: لا تد ماه ني.

كانت جيني دريفر، وقد بدت أنيقة لأبعد حد. قلت: مرحباً، من أين قفزت؟

-كنت أتناول غدائي على الطاولة المجاورة لطاولتك.

- لم أرك. كيف عملك؟

- في ازدهار، أشكرك.

- هل بيع أطباق الشُّرْبة جيد؟

- بيع أطباق الشُّرْبة -كما تسميها بوقاحة- يسير جيداً، ولو أن الناس شعروا بالملل من قبعاتي فسوف يكون الوضع سيئاً بالنسبة لي.

ثم ضحكت وابتعدت وهي تقول: وداعاً. سآخذ راحة من العمل هذا المساء وأذهب في رحلة إلى الريف.

قلت مستحسناً: فكرة جميلة ؛ فالجو خانق في لندن اليوم.

أما أنا فقد قضيت الوقت أتمشى في الحديقة، ثم وصلت البيت في الرابعة تقريباً، ولم يكن بوارو قد عاد بعد. وعندما رجع في الساعة الخامسة إلا ثلثاً كان يتحرك بنشاط وبهجة.

قلت: أرى يا شيرلوك هولمز وكأنك كشفت مكان خادم السفير.

- كانت قضية تهريب كوكايين. يا له من عمل بارع! وقد كنت خلال الساعة الأخيرة في صالون لتجميل السيدات، وكانت هناك فتاة حمراء الشعر لو رأيتها لأسرت فؤادك الحساس على الفور.

كان بوارو يعتقد دائماً أنني سريع التأثر بالشعر الأحمر، ولم

أكلف نفسي عناء مجادلته في هذا الأمر. بعد ذلك رنّ جرس الهاتف، وقلت وأنا أتجه للرد عليه: ربما كان هذا دونالد روس.

- دونالد روس؟

- نعم، الشاب الصغير الذي التقيناه في تشيسويك. إنه يريد أن يراك في أمر معين.

رفعت السماعة قائلاً: مرحباً، معك الكابتن هيستنغز.

كان روس هو المتكلم، وسمعته يقول: أهذا أنت يا هيستنغز؟ هل جاء السيد بوارو؟

- نعم؛ إنه هنا الآن. هل تود الحديث معه أم أنك ستأتي بنفسك؟

- ليس عندي الكثير ؛ يمكنني أن أخبره عن الأمر بالهاتف.

- حسناً، انتظر.

جاء بوارو وأخذ السماعة، وكنت قريباً منه بحيث كنت أسمع صوت روس ضعيفاً، وسمعت صوته المتلهف: هل هذا السيد بوارو؟

- نعم، أنا هو.

- لا أريد أن أزعجك، ولكن يوجد شيء يبدو لي غريباً بعض الشيء وهو يتعلق بمقتل اللورد إدجوير.

رأيت التوتر على وجه بوارو وهو يقول: نعم، نعم، أكمل...

- قد يبدو هذا لك هراء...

- لا، لا. أخبرني.

- كلمة « باريس » هي التي جعلتني أفكر على هذا النحو...

وفي تلك اللحظة سمعتُ من خلال السماعة صوت جرسٍ خافت، وقال روس: لحظة من فضلك، لقد رن جرس الباب.

سمعت صوت السماعة توضع على الهاتف. وانتظرنا، وكان بوارو يحمل السماعة وأنا واقف إلى جانبه.

مرت دقيقتان... ثلاث دقائق... أربع دقائق... خمس دقائق.

حرك بوارو قدميه خائفاً، ورفع بصره إلى ساعة الحائط، ثم ضغط على زر الهاتف وتكلم مع البدالة. التفت إليّ قائلاً: لا زالت السماعة على الطرف الآخر معلقة ولكن أحداً لا يرد... لا يستطيعون الحصول على إجابة. أسرع يا هيستنغز، ابحث عن عنوان روس في دليل الهاتف. يجب أن نذهب إلى هناك على الفور.

* * *

الفصل السادس والعشرون

باريس؟

بعد دقائق قليلة كنا نقفز في سيارة أجرة، وكان بوارو متجهم الوجه. قال: إنني خائف يا هيستنغز... إنني خائف.

قلت: هل تعني...

- إننا نواجه شخصاً ارتكب جريمتين من قبل، ولن يتردد في الضرب مرة أخرى. إنه يدور ويتقلب كالجُرَذ يصارع من أجل البقاء. إن روس في خطر!

قلت مرتاباً: هل كان الذي سيقوله بهذه الأهمية؟ إنه لم يكن يعتقد ذلك.

- إذن فقد كان مخطئاً. لا شك أن ما كان يريد قوله لنا في غاية الأهمية.

- ولكن كيف نستطيع أن نعرف؟

- قلتَ إنه تكلم معك، هناك في كلاريدج، وكان هناك

أشخاص حولكما؟ جنون! جنون تام! آه، لِمَ لَمْ تحضره معك إلى هنا... تحرسه... إلى أن أسمع ما يريد قوله؟

قلت متلعثماً: لم أفكر بذلك أبداً. لم...

أشار بوارو بيده إشارة سريعة: لا تَلُمْ نفسك. كيف كان لك أن تعرف؟ أنا كنت سأعرف. إن القاتل -يا هيستنغز- ماكر كالنمر وعديم الشفقة... آه! ألن نصل أبداً؟

وصلنا إلى هناك في النهاية. كان روس يعيش في بيت صغير في ساحة كبيرة في كنسنغتون، وكانت بطاقةٌ ملصقةٌ بجانب جرس الباب تدل على اسم صاحب البيت، وكان باب الصالة مفتوحاً وفي الداخل درج كبير. قال بوارو وهو يصعد الدرج مسرعاً: الدخول سهل جداً؛ لا أحد موجود.

وجدنا على باب الشقة في الطابق الأول بطاقة باسم دونالد روس. توقفنا هناك، وكان كل شيء حولنا صامتاً تماماً. ودفعتُ الباب، ولشدة دهشتي فُتح على الفور!

دخلنا، ووجدنا أمامنا باباً مفتوحاً يقود إلى غرفة الجلوس، وكانت غرفة متواضعة الأثاث، وعلى طاولة صغيرة رأينا الهاتف وقد وضعت السماعة بجانبه، ولم يكن روس هناك. تقدم بوارو خطوة سريعة إلى الأمام ونظر حوله ثم هز رأسه: ليس هنا، هيا يا هيستنغز.

تراجعنا إلى الوراء وعبرنا الباب الآخر إلى الصالة. كانت الغرفة غرفة طعام ضيقة، وكان روس منكباً على الطاولة وهو جالس على

أحد الكراسي. انحنى بوارو عليه، ثم انتصب واقفاً وقد شحب وجهه وقال: إنه ميت؛ لقد طُعِن في أسفل الجمجمة!

بقيتُ أحداث ذلك المساء في ذهني كالكابوس لفترة طويلة، ولم أستطع أن أتخلص من الشعور بالمسؤولية عن هذا الحادث.

في تلك الليلة، بعد الحادث بساعات، كنت جالساً وحدي مع بوارو فحدثته بما يجول في نفسي من تأنيب للضمير، وكان رده سريعاً: لا، لا، لا تلم نفسك. كيف كنت ستشك في الأمر؟ إن الله لم يمنحك طبيعة الشك.

- هل كنت أنت سترتاب؟

- هذا أمر مختلف. إنني أتعقب المجرمين طوال حياتي وأعرف كيف يصبح الدافع إلى القتل أقوى في كل مرة إلى أن يصبح سهلاً لأبسط سبب.

منذ أن كشفنا ذلك الحادث الرهيب، وطوال وجود الشرطة الذين كانوا يستجوبون الناس الآخرين في البيت ويحصلون على عشرات المعلومات التقليدية المتعلقة بالجريمة، بقي بوارو هادئاً، هادئاً جداً... ومغرقاً في التأمل.

قال بهدوء: لا وقت لدينا لنضيعه في الأسف يا هيستنغز، لا وقت لدينا لنقول: «لو»... كان لدى ذلك الشاب المسكين الميت شيء يريد قوله لنا، وقد عرفنا الآن أن ذلك الشيء لا بد أن يكون عظيم الأهمية، وإلا لما كان قُتل. وحيث أنه لا يستطيع إخبارنا فيجب

أن نخمّن. يجب علينا أن نخمن مع وجود مفتاح واحد صغير فقط نسترشد به.

قلت: باريس؟

قال: نعم، باريس.

نهض وبدأ يمشي في الغرفة جيئة وذهاباً، ثم قال: لقد ذُكرت كلمة «باريس» مرات عدة في هذه القضية، ولكن لا توجد أية رابطة بينها لسوء الحظ. كلمة باريس محفورة على العلبة الذهبية: "باريس في تشرين الثاني الماضي". إذن فقد كانت الآنسة آدمز هناك، وربما كان روس هناك أيضا. هل كان هناك شخص آخر يعرف روس؟ من هو الذي يمكن أن يكون قد رآه مع الآنسة آدمز في ظروف غريبة؟

قلت: لا نستطيع أن نعرف ذلك أبداً.

- بل يمكننا أن نعرف... سوف نعرف! إن قدرة العقل الإنساني غير محدودة تقريباً يا هيستنغز. ما علاقة باريس بالقضية؟ ومن هي المرأة القصيرة التي تضع النظارة الأنفية والتي جاءت لاستلام العلبة الذهبية من محل الجواهر هناك. هل كان روس يعرفها؟ كان دوق ميرتون في باريس عندما ارتكبت الجريمة. باريس، باريس، باريس. كان اللورد إدجوير ذاهباً إلى باريس... آه! ربما لدينا شيء هناك. هل قتل حتى يُمنع من الذهاب إلى باريس؟

جلس ثانية وقطب حاجبيه، وكنت أشعر بتركيزه الشديد في التفكير.

همس قائلاً: ما الذي حدث في حفل الغداء؟ لا بد أن دونالد روس قد سمع كلمة أو عبارة عرضية تشير إلى شيء كان يعرفه من قبل دون أن يكون له دلالة معينة. هل ذُكر اسم باريس في الحفلة؟ أعني على الطاولة التي كنت تجلس عليها؟

قلت: "لقد ذكر اسم باريس فعلاً". وحدثته عما جرى وعن تعليق جين ويلكنسون الذي بدا مستهجَناً ودلّ على سطحية تفكيرها عندما أوحت لها باريس بالموضة أو الأزياء فحسب.

قال متأملاً: ربما يوضح هذا الأمرَ. كانت كلمة « باريس » كافية لو تم ربطها مع شيء آخر، ولكن ما هو ذلك الشيء الآخر؟ ما الذي كان روس ينظر إليه؟ أو عن أي شيء كان يتحدث عندما قيلت تلك الكلمة؟

- كان يتكلم عن الخرافات الإسكتلندية.

- وأين كان ينظر؟

- لست متأكداً. أظن أنه كان يرفع بصره باتجاه رأس الطاولة حيث كانت السيدة ويدبيرن تجلس.

- من كان يجلس بجانبها؟

- دوق ميرتون، ثم جين ويلكنسون، ثم شخص لم أكن أعرفه.

- السيد الدوق؟ ربما كان ينظر إلى السيد الدوق عندما قيلت كلمة باريس. تذكر بأن الدوق كان موجوداً في باريس أو كان يُفترَض

أن يكون في باريس وقت الجريمة. افترض أن روس تذكر فجأة شيئاً دلّ على أن ميرتون لم يكن في باريس.

- يا عزيزي بوارو!

- نعم، أنت تعتبر أن هذه الفكرة سخيفة، والكل يرونها كذلك. هل كان لدى السيد الدوق دافع لارتكاب الجريمة؟ نعم، دافع قوي جداً. لنفترض أنه ارتكبها! إنه غني جداً وصاحب مركز مرموق ورجل ذو شخصية نبيلة ومعروفة. لا أحد سيدقق في مكان وجوده ساعة الجريمة، كما أن تلفيق دليل وجوده في فندق كبير ليس أمراً بالغ الصعوبة. أخبرني يا هيستنغز: ألم يقل روس شيئاً عندما ذُكر اسم باريس؟ ألم يظهر عليه أي انفعال؟

- أذكر أنه سحب نفساً عميقاً.

- وماذا عن سلوكه عندما تحدث معك بعدها؟ هل كان مرتبكاً؟ مشوشاً؟

- نعم، كان مرتبكاً بالتأكيد.

أجاب بوارو متأملاً: لقد خطرت له فكرة اعتقد أنها منافية للعقل... سخيفة... وتردد في البوح بها. كان يريد أن يتحدث إليّ أولاً، ولكن للأسف! عندما قرر ذلك كنت قد غادرت المكان.

قلت متأسفاً: نعم، ليته قال لي شيئاً آخر ولو قليلاً!

- نعم؛ ليته... مَن كان يقف قريباً منك في ذلك الوقت؟

- الجميع تقريباً. كانوا يودعون السيدة ويدبيرن، ولم ألحظ أحداً على وجه الخصوص.

نهض بوارو ثانية، وهمس عندما بدأ يذرع المكان مشياً مرة أخرى: هل كنتُ مخطئاً من البداية؟ هل كنت مخطئاً طوال الوقت؟

نظرت إليه متعاطفاً ولم أعرف الأفكار التي كانت تجول في خاطره بالضبط. لقد وصفه جاب بأنه متقوقع على نفسه كالمحارة، وكان ذلك وصفاً دقيقاً وصادقاً تماماً، وأدركت أنه كان في صراع مع نفسه في تلك اللحظة. قلت: على أية حال لا يمكن تسجيل هذه الجريمة على رونالد مارش.

قال صديقي بذهن شارد: إنها نقطة في صالحه، لكن هذا لا يعنينا في الوقت الحالي.

جلس فجأة كما كان من قبل وقال: لا يمكن أن أكون مخطئاً تماماً. هل تتذكر -يا هيستنغز- أنني طرحت على نفسي خمسة أسئلة.

- يبدو أنني أتذكر شيئاً كهذا.

- كانت على الوجه التالي: لماذا غير اللورد إدجْوير رأيه في موضوع الطلاق؟ ما هو تفسير الرسالة التي قال إنه كتبها لزوجته والتي قالت إنها لم تتلقَّها أبداً؟ لماذا كانت ملامح الاهتياج بادية على وجهه عندما غادرنا بيته ذلك اليوم؟ لماذا كانت النظارة في

حقيبة يد كارلوتا آدمز؟ لماذا اتصل شخص بالليدي إدجوير هاتفياً في تشيسويك ووضع السماعة على الفور؟

قلت: نعم، تلك هي الأسئلة؛ أتذكّرها الآن.

قال بوارو: كانت في ذهني فكرة صغيرة معينة منذ البداية يا هيستنغز. فكرة عن هوية الرجل، الرجل الذي يقف وراء هذا العمل. لقد أجبت عن ثلاثة من هذه الأسئلة، وكانت الإجابة تتوافق مع فكرتي الصغيرة، ولكن بقي سؤالان لا أستطيع الإجابة عنهما. أتعرف ما يعنيه هذا؟ إما أنني مخطئ في هذا الشخص، وبالتالي لا يمكن أن يكون هو الشخص الذي أشك فيه، أو أن الإجابة عن السؤالين اللذين لا أستطيع الإجابة عنهما موجودة هناك منذ البداية. أيهما يا هيستنغز؟ أيهما؟

نهض وذهب إلى مكتبه وفتح درجه ثم أخرج الرسالة التي كانت قد وصلته من لوسي آدمز من أمريكا، وكان قد طلب من جاب أن يتركها معه يوماً أو يومين ووافق جاب على ذلك. وضعها بوارو على الطاولة أمامه وانكب عليها.

مرت الدقائق. وتثاءبت وحملت كتاباً، ولم أعتقد أن بوارو سيحصل على نتيجة كبيرة من دراسته تلك، فقد قرأنا الرسالة معاً المرة تلو الأخرى. ومع أننا سلمنا -جدلاً- بأنها لم تكن تشير إلى رونالد مارش إلا أنه لم يكن فيها ما يدل على أنها تشير إلى أي شخص آخر.

قلبت صفحات كتابي، وربما غلبني النعاس... وفجأة صاح

بوارو صيحة مكبوتة فانتصبت في جلستي بخفة. كان ينظر إليّ نظرات غير معبرة وعيناه الخضراوان تلمعان: هيستنغز، هيستنغز...

- نعم، ما الأمر؟

- هل تتذكر عندما قلت لك إن القاتل لو كان مرتباً منهجي الأسلوب لكان سيقطع هذه الصفحة ولن يمزقها؟

- نعم.

- لقد كنت مخطئاً؛ في هذا العمل تخطيط وترتيب... **كان يجب تمزيق الصفحة وليس قطعها!** انظر بنفسك.

نظرت، فسألني قائلاً: حسناً، هل ترى؟

هززت رأسي متسائلاً: أتعني أنه كان في عجلة من أمره؟

- عجلة أو غيرها، نفس الشيء. ألا ترى يا صديقي؟ كان يجب تمزيق الصفحة!

هززت رأسي، وقال بوارو بصوت منخفض: كنت أحمق، أعمى. ولكن **الآن**... **الآن**... سوف ننجح!

* * *

الفصل السابع والعشرون

النظارة

بعد دقيقة تغير مزاجه. فقد قفز واقفاً، وقفزت أنا الآخر واقفاً غير مدرك لما يجري تماماً، لكنه كان عملاً تلقائياً. قال: سنأخذ سيارة أجرة. الساعة الآن التاسعة فقط؛ الوقت ليس متأخراً كثيراً للقيام بزيارة.

أسرعت نازلاً الدرج وراءه وأنا أسأل: نزور مَن؟

- سنذهب إلى ريجنت غيت.

رأيت أن من الحكمة الحفاظ على هدوئي، ولاحظت أن بوارو لم يكن في مزاج يتقبل معه السؤال؛ فقد كان منفعلاً إلى حد ما، وعندما جلسنا في سيارة الأجرة جنباً إلى جنب كان يضرب بأصابعه على ركبتيه بعصبية مخالفاً طبيعته الهادئة المعهودة. قلبت تفكيري في كل كلمة قالتها كارلوتا آدمز في رسالتها إلى أختها، فقد كنت أحفظها الآن عن ظهر قلب. كررت كلمات بوارو عن الصفحة الممزقة المرة تلو الأخرى، ولكن بلا فائدة، فبالنسبة لي لم تكن كلمات بوارو ذات معنى. لماذا كان يجب تمزيق صفحة؟ لا، لم أستطع فهم هذا.

فتح لنا بابَ البيت في ريجنت غيت خادمٌ جديد، وطلب بوارو رؤية الآنسة كارول. وبينما كنا نتبع الخادم على الدرج تساءلت للمرة الخمسين: أين يمكن أن يكون الخادم الوسيم السابق؟ فحتى تلك اللحظة فشلت الشرطة في العثور على أي أثر له. وارتعشت أوصالي فجأة وأنا أفكر في أنه ربما قُتل هو الآخر.

أنقذتني رؤية الآنسة كارول الرشيقة الأنيقة العاقلة من تأملاتي الغريبة هذه، وكان واضحاً أنها فوجئت كثيراً برؤيتنا.

قال بوارو باحترام: أنا مسرور لأنك ما زلت هنا يا آنسة؛ كنت أخشى أن تكوني قد غادرت المنزل.

قالت الآنسة كارول: لم تكن جيرالدين لتقبل أن أترك البيت. لقد توسلتْ إليّ للبقاء هنا، والحقيقة أن الطفلة المسكينة تحتاج شخصاً يبقى معها في وقت كهذا. إذا كانت لا تحتاج لأي شيء آخر فإنها تحتاج لشخص يخفف عنها مصابها، ويمكنني أن أؤكد لك -يا سيد بوارو- أنني مواسية قديرة عند الضرورة.

- أنت تبدين لي دائماً نموذجاً للكفاءة يا آنسة، وأنا معجب كثيراً بكفاءتك النادرة. أما الآنسة مارش فإنها تفتقر إلى الكفاءة اللازمة.

قالت الآنسة كارول: إنها فتاة حالمة غير واقعية، وهي هكذا دائماً. إنها محظوظة لأنه لا يتوجب عليها كسب عيشها بجهدها.

- نعم، هذا صحيح.

- لكني لا أظن أنك جئت إلى هنا للحديث عن كون الناس واقعيين أم لا. ما الذي أستطيع عمله لك يا سيد بوارو؟

لا أعتقد أن بوارو كان يحب أن يطلب أحدٌ منه الدخولَ في الموضوع بهذه الطريقة؛ فقد كان يحب الدخول الملتوي وغير المباشر، ومع ذلك لم يكن هذا المسلك ممكناً مع الآنسة كارول.

طرفت عيناها وهي تنظر إليه بارتياب من وراء نظارتها، فقال: ثمة نقاط أريد معلومات محددة عنها، وأعرف إن بإمكاني الاعتماد على ذاكرتك يا آنسة كارول.

قالت الآنسة كارول متجهمة: لو لم تكن تستطيع الاعتماد عليّ لما كنت سكرتيرة مفيدة.

- هل كان اللورد إدجوير في باريس في تشرين الثاني الماضي؟

- نعم.

- هل يمكنك أن تحددي لي تاريخ زيارته لها؟

- يجب أن أبحث عن ذلك.

نهضت وفتحت أحد الأدراج وأخرجت منه دفتراً صغيراً وقلبت صفحاته، ثم قالت أخيراً: ذهب اللورد إدجوير إلى باريس في الثالث من تشرين الثاني وعاد في السابع منه، كما أنه ذهب إلى هناك أيضاً في العشرين من تشرين الثاني وعاد في الرابع من كانون الأول. هل تريد شيئاً آخر؟

- نعم. ما الغرض من ذهابه إلى هناك؟

- في المرة الأولى ذهب لرؤية بعض التحف التي كان يفكر بشرائها والتي كانت ستعرض في المزاد العلني هناك، ولم يكن لديه غرض محدد في زيارته الثانية حسب علمي.

- هل رافقت الآنسة مارش أباها في أي من الزيارتين؟

- لم تكن ترافق أباها في أي زيارة أبداً يا سيد بوارو، ولم يكن اللورد إدجوير يفكر في مثل هذا الشيء على الإطلاق. كانت تعيش في ذلك الوقت في إحدى المدارس الخاصة في باريس، لكني لا أظن أن والدها ذهب لرؤيتها، بل كنت سأستغرب كثيراً لو فعل ذلك.

- ألم تصحبيه أنت؟

- لم أفعل.

نظرت إليه بفضول ثم قالت فجأة: لماذا تسألني هذه الأسئلة يا سيد بوارو؟ ما الغرض منها؟

لم يجبها بوارو عن هذا السؤال، وبدلاً من ذلك قال: الآنسة مارش تحب ابن عمها كثيراً. أليس كذلك؟

- الحق يا سيد بوارو أنني لا أفهم ما علاقتك بهذا الأمر.

- لقد جاءت لرؤيتي أمس، هل عرفتِ بهذا؟

- لا، لم أعرف.

بدت عليها الدهشة وسألت: وما الذي قالته؟

- قالت لي إنها تحب ابن عمها كثيراً، رغم إنني لم أنقل كلماتها الحرفية بالضبط الآن.

- حسناً، إذن لماذا تسألني؟

- لأنني أريد رأيك.

قررت الآنسة كارول أن تجيب عن سؤاله هذه المرة: نعم، أعتقد أنها تحبه كثيراً. لقد أحبته دائماً.

- ألا تحبين اللورد إدجوير الجديد؟

- لا أقول هذا. إنني غير مفيدة له وهذا كل ما في الأمر؛ فهو إنسان غير جاد. لا أنكر أنه دمث ومرح ويستطيع أن يقنعك بوجهة نظره، لكني كنت أفضّل رؤية جيرالدين مهتمة بشخص أكثر نضجاً وجدية.

- مثل دوق ميرتون؟

- أنا لا أعرف الدوق، ولكن الظاهر أنه أهل للمركز الاجتماعي الذي يعيشه، باستثناء ركضه خلف تلك المرأة... جين ويلكنسون!

- إن أمه...

- أعتقد أن أمه كانت تفضل أن يتزوج جيرالدين، ولكن ماذا تستطيع الأمهات أن يفعلن؟ فالأولاد لا يقبلون أبداً الزواج بالفتيات اللاتي ترشحهن الأمهات هذه الأيام.

- هل تعتقدين أن ابن عم الآنسة مارش يهتم بها؟

- وما الفرق إن كان يهتم أو لا يهتم وهو في مثل هذه الحالة؟

- إذن، أنت تعتقدين أنه سوف يُدان؟

- لا، لا أعتقد أنه القاتل.

- لكنه مع ذلك قد يُدان؟

لم تردَّ الآنسة كارول على سؤاله، فنهض بوارو قائلاً: لا أريد أن أؤخرك. على فكرة، هل كنت تعرفين كارلوتا آدمز؟

- رأيتها وهي تمثل، وقد كانت بارعة جداً.

قال: "نعم، كانت بارعة". وما لبث أن أضاف وقد بدا عليه الاستغراق في التفكير: آه! لقد خلعت قفازاتي.

وعندما تقدم لكي يأخذها عن الطاولة التي كان قد وضعها عليها أمسك طرف كمّه بسلسلة نظارة الآنسة كارول وسحبها معه، ولكنه أعادها مكانها مقدماً اعتذاره الشديد كما رفع القفازات التي أسقطها عن الأرض، وأنهى ذلك قائلاً: أريد أن أعتذر لك مرة أخرى عن إزعاجي، لكني كنت أتصور إمكانية وجود مفتاح للغز النزاع الذي دار بين اللورد إدجوير مع أحد الأشخاص في السنة الماضية، ولهذا السبب كانت أسئلتي عن باريس. أخشى أنها مهمة يائسة، لكن الآنسة كانت تبدو واثقة تماماً من أن القاتل لم يكن ابن عمها...

كانت واثقة لدرجة ملفتة للنظر. حسناً، طابت ليلتك -يا آنسة- وألف معذرة على إزعاجي لك.

كنّا قد وصلنا إلى الباب عندما نادتنا الآنسة كارول: سيد بوارو، هذه ليست نظارتي، لا أستطيع أن أرى من خلالها.

- حقاً؟

حدق بوارو فيها مذهولاً، ثم عادت الابتسامة إلى وجهه وقال: يا لي من مغفل! لقد وقعت نظارتي من جيبي عندما انحنيت لأخذ القفازات ورفع نظارتك، ويبدو أنني قد خلطت بين النظارتين... فهما تبدوان متشابهتين.

تبادلا النظارتين وهما يبتسمان ثم غادرنا. وبعد أن خرجنا مبتعدَيْن قلت لبوارو بدهشة: بوارو، إنك لا تلبس نظارة أبداً!

نظر إليّ مبتسماً، ففهمت وقلت على الفور: إنك خارق! لقد فهمت المغزى بسرعة، هل هذه النظارة هي التي وجدتها في حقيبة كارلوتا آدمز؟

- صحيح.

- لماذا ظننت أنها ربما تكون نظارة الآنسة كارول؟

هز بوارو كتفيه قائلاً: إنها الوحيدة ذات الصلة بالقضية والتي تلبس نظارة.

قلت متأملاً: ومع ذلك فهي ليست نظارتها.

- هذا ما تؤكده هي.

- إنك عجوز شكاك.

- أبداً. ربما كانت تقول الحقيقة، بل أعتقد أنها كانت صادقة فعلاً، وإلا فإنني أشك أنها كانت ستلاحظ استبدال النظارة. لقد فعلت ذلك بطريقة بارعة يا صديقي.

كنا نتمشى في الشوارع دون وجهة محددة، واقترحت على بوارو أن نأخذ سيارة أجرة لكنه هز رأسه بالنفي قائلاً: أحتاج إلى التفكير يا صديقي، والمشي يساعدني على ذلك.

ثم أقل شيئاً. كان الليل يقترب ولم أكن مستعجلاً للعودة إلى البيت. وسألته بفضول: هل كانت أسئلتك عن باريس لمجرد التمويه؟

- ليس تماماً.

قلت متأملاً: نحن لم نحل لغز الحرف «د» حتى الآن. الغريب أنه لا يوجد أحدٌ له علاقة بالقضية يبدأ اسمه بهذا الحرف، سواء اسمه الأول أو اسم العائلة، ما عدا... آه! نعم، هذا غريب... ما عدا دونالد روس نفسه، وهو ميت.

قال بوارو بصوت هادئ: نعم، إنه ميت.

تذكرت تلك الأمسية عندما كنا ثلاثتنا نسير في الليل، وتذكرت شيئاً آخر أيضاً وسحبت نفساً عميقاً. قلت: بوارو، هل تتذكر؟

- أتذكر ماذا يا صديقي؟

- ما قاله روس عن الثلاثة عشر حول الطاولة، وأنه كان أول المغادرين.

لم يرد بوارو، وأحسست ببعض الانزعاج كما يشعر المرء دائماً عندما يتحقق توقعه المتشائم. قلت بصوت منخفض: هذا غريب، يجب أن تعترف بأن هذا غريب.

- ماذا تقول؟

- قلت إن هذا غريب... أقصد عن روس والثلاثة عشر. ما الذي تفكر فيه يا بوارو؟

ولشدة دهشتي، بل ومما أثار حفيظتي، بدأ بوارو يضحك فجأة ضحكات عالية ويهتز من الضحك. كان واضحاً أن شيئاً قد سبب له المرح. قلت مغتاظاً: ما الذي يضحكك؟

- آه، آه! لا شيء. لقد فكرت في لغز سمعته أمس. سأخبرك به: ما هو الشيء الذي له ساقان وريش وينبح كالكلب؟

قلت محاذراً: الدجاجة بالطبع، لقد عرفت ذلك وأنا في الحضانة.

- أنت واسع الاطلاع يا هيستنغز. ولكن كان يجب أن تقول: "لا أعرف"، ثم أقول أنا بعد ذلك: "دجاجة"، ثم تقول أنت: "لكن الدجاجة لا تنبح كالكلب"، فأقول لك: "آه، لقد قلتُ ذلك حتى

أجعل اللغز أكثر صعوبة!". افترض أن لدينا تفسيراً للحرف «د» يا هيستنغز.

- أي هراء هذا!

- نعم، هذا هراء لمعظم الناس ما عدا صاحب نوع معين من التفكير. آه! لو أستطيع سؤال أحد...

مررنا من أمام دار سينما كبيرة، وكان الناس يخرجون منها وهم يناقشون شؤونهم الخاصة وأمور خدمهم وأصدقائهم ويناقشون الفِلم الذي شاهدوه لتوهم مناقشة عرَضية.

عبرنا مع مجموعة منهم شارع بوستون، وإلى جوارنا فتاة تقول لرجل يرافقها: لقد أحببت الفلم. أعتقد أن بريان مارتن رائع جداً، ولقد شاهدت أفلامه كلها. أعجبتني الطريقة التي كان ينزل فيها المنحدر الصخري ويصل إلى هناك في الوقت المحدد ومعه الأوراق.

كان مرافقها أقلّ حماسة منها، وقال يردُّ عليها: قصة سخيفة. لو كان عندهم ذرة من عقل لسألوا إليس مباشرة، وهو ما كان سيفعله أي شخص له عقل...

لم نسمع بقية الكلام، وعندما وصلت إلى الرصيف التفتُّ ورائي فرأيت بوارو يقف وسط الطريق والحافلات تندفع نحوه من كل جانب، وبطريقة غريزية وضعت يديّ على عينيّ. كنت أسمع أصوات الكوابح وشتائم سائق إحدى الحافلات، ثم مشى بوارو إلى حافة الطريق مشياً وقوراً، وكان يبدو مثل رجل يمشي في نومه.

قلت: هل فقدت عقلك يا بوارو؟

- لا يا صديقي؛ كل ما في الأمر أن شيئاً خطر ببالي هناك في تلك اللحظة.

قلت: كانت على وشك أن تكون لحظتك الأخيرة.

- لا يهم. آه... كنتُ يا صديقي أعمى وأصمّ ولا أدرك ما حولي! لقد عرفت -الآن- الإجابات عن جميع تلك الأسئلة. نعم، الأسئلة الخمسة جميعها! نعم، عرفتها جميعاً. إنها بسيطة جداً... بسيطة لدرجة السخافة!

* * *

الفصل الثامن والعشرون
بوارو يوجه بعض الأسئلة

عدنا إلى البيت مشياً.

كان واضحاً أن بوارو يتبع قطاراً من الأفكار يجري في عقله، وكان يهمس -من وقت لآخر- ببعض الكلمات. لم أسمع كل ما قاله، ولكني سمعته يهمس وسمعت بعضاً من تلك الكلمات. ذات مرة قال: «شموع»، ومرة أخرى قال شيئاً بدا مثل: «اثنا عشر». لو كنت ذكياً حقاً لكنت قد عرفت مجرى تفكيره، فقد كان واضحاً، ومع ذلك بدت لي كلماته غامضةً في تلك اللحظة.

وحالما دخلنا إلى البيت أمسك الهاتف واتصل بفندق السافوي وطلب أن يتحدث مع الليدي إدجوير. قلت ضاحكاً: لا أمل لك أيها العجوز.

كان بوارو -كما كنت أقول له غالباً- من أكثر الناس جهلاً بحقيقة الأمور في العالم. وأكملت حديثي: ألا تعرف؟ إنها تمثل مسرحية جديدة. ستجدها في المسرح، فالساعة الآن العاشرة والنصف.

لم يلتفت بوارو إليّ وهو يتحدث مع موظف الفندق حيث كان واضحاً أنه يقول له نفس الكلام الذي قلته أنا للتو. وردّ عليه قائلاً: آه، حقاً؟ إذن أريد الحديث مع خادمة الليدي إدجْوير.

وبعد بضع دقائق كانت الخادمة تتحدث، وسمعت الجزء الذي كان يتفوه به من الحديث المتبادل: هل أنت خادمة الليدي إدجْوير؟ معك بوارو، هيركيول بوارو. هل تتذكرينني؟... عظيم، لقد ظهر شيء على درجة من الأهمية وأريدك أن تأتي لرؤيتي على الفور... نعم، مهم جداً. سأعطيك العنوان؛ اسمعي بانتباه...

كرر العنوان لها مرتين، ثم وضع السماعة وهو يتأمل. وسألته بفضول: ما الغرض من ذلك؟ هل حصلت على معلومات حقاً؟

- لا يا هيستنغز، هي التي سوف تعطيني المعلومات.

- أي معلومات؟

- معلومات عن شخص معين.

- جين ويلكنسون؟

- بالنسبة لها فعندي كل المعلومات التي أحتاجها عنها. أعرف عنها الوجه الآخر من قبل.

- مَن إذن؟

نظر إليّ بابتسامة أغاظتني كثيراً وطلب مني الانتظار والصبر، ثم أشغل نفسه بترتيب الغرفة بكثير من التأني والدقة. وبعد ذلك بعشر دقائق وصلت الخادمة، وكانت تبدو عصبية المزاج ومتشككة بعض

الشيء. كانت امرأة ضئيلة الحجم وبدت أنيقة في الثوب الأسود الذي ترتديه. نظرتْ حولها نظرات ارتياب، وأسرع بوارو إليها قائلاً: ها قد وصلت. منتهى اللطف منك. تفضلي بالجلوس هنا يا آنسة إليس.

جلست على الكرسي الذي قدمه إليها بوارو ويداها متشابكتان في حجرها تُنقّل بصرها بيننا. كان وجهها الصغير الشاحب هادئاً وقد زمت شفتيها الرفيعتين.

قال بوارو: في البداية يا آنسة إليس، منذ متى وأنت تعملين مع الليدي إدجْوير؟

- منذ ثلاث سنوات يا سيدي.

- ظننت ذلك. إذن فأنت تعرفين عن علاقاتها جيداً.

لم تردَّ عليه إليس وبدت مستاءة، فكرر السؤال بشكل آخر: ما أعنيه هو أنك -لا بد- تعرفين جيداً من هم أعداؤها المحتملون.

زمّتْ إليس شفتيها أكثر وهي تقول: لقد حاولتْ معظم النساء الإساءة إليها بحقد يا سيدي. كلهن كنّ يكرهنها بسبب الغيرة البغيضة؛ فهي امرأة جميلة تحصل دائماً على ما تريد، والكثير من الغيرة توجد في أوساط التمثيل المسرحي.

قال بوارو مبتسماً: "أوافقك الرأي". ثم قال بنبرة صوت مختلفة: هل تعرفين السيد بريان مارتن، الممثل السينمائي؟

- نعم يا سيدي.

- معرفة جيدة؟

- معرفة جيدة تماماً.

- أعتقد أنني لست مخطئاً عندما أقول إن السيد بريان مارتن كان غارقاً في حبه لسيدتك قبل أقل من سنة.

- غارقاً حتى الأذنين يا سيدي، ولو أردتَ رأيي فسوف أقول لك إنه لا زال كذلك.

- هل كان يعتقد -في ذلك الوقت- أنها سوف تتزوجه؟

- نعم يا سيدي.

- وهل فكرت هي في الزواج به تفكيراً جاداً؟

- لقد فكرتْ في هذا يا سيدي، وأحسب أنها كانت ستفعل ذلك لو أنها استطاعت الحصول على حريتها من اللورد.

- ثم بعد ذلك ظهر دوق ميرتون على مسرح الأحداث.

- نعم يا سيدي. كان يقوم بجولة في الولايات المتحدة، ووقعت في حبه من النظرة الأولى.

- وهكذا قالت وداعاً لحب بريان مارتن!

أومأت إليس موافقة ثم أوضحت: لقد جمع السيد مارتن ثروة كبيرة بالطبع، لكن دوق ميرتون كان يملك اللقب كذلك. إن السيدة حريصة جداً على اللقب، وهي ستكون واحدة من سيدات إنكلترا الأوائل عندما تتزوج من الدوق.

كان في صوت الخادمة شيء من الرضا، وقد أسعدني ذلك.

- إذن يمكننا القول إنها طوت صفحة السيد بريان مارتن. أليس كذلك؟ وهل تقبل هو هذا الأمر؟

- لقد تصرف تصرفاً أحمق يا سيدي.

- آه... حقاً؟

- هددها ذات مرة بمسدس. وقد أخافني كثيراً بحركاته التي قام بها. وكان يشرب كثيراً أيضاً، وقد انهار تماماً.

- لكنه هدأ في نهاية الأمر.

- هذا هو الظاهر، لكنه لا زال يلف ويدور، كما أنني لا أحب نظرات عينيه. لقد حذرتُ الليدي من ذلك، لكنها ضحكت فقط... إنها من النساء اللاتي يستمتعن بالإحساس بقوتهن.

قال بوارو متأملاً: نعم، فهمت ما تقصدينه.

- لم نره كثيراً في الآونة الأخيرة يا سيدي، وأعتقد أن هذا شيء جيد. أرجو أن يكون قد بدأ بالتغلب على مشكلته.

- ربما.

بدا أن طريقة لفظ بوارو لهذه الكلمة قد لفتت انتباهها، فقالت بقلق: هل تعتقد أنها في خطر يا سيدي؟

قال بوارو بهدوء: نعم. أعتقدُ أنها في خطر شديد. لكنها هي التي سببت ذلك الخطر لنفسها.



كانت يده تتحرك على رف الموقد بلا هدف، فضربت مزهرية فيها ورود وسقطت على الأرض، وبلل الماء وجه إليس ورأسها. لم أعرف عن بوارو أنه كان أخرق ولذلك استنتجتُ -من هذا الموقف- أنه كان في حالة شديدة من الاضطراب الذهني. وقد بدا منزعجاً جداً وأسرع يحضر منشفةً، وساعد الخادمة بلطف شديد في تجفيف وجهها ورأسها وهو يسرف في الاعتذار.

وفي النهاية وضع في يدها وهو يصافحها ورقة نقدية ورافقها نحو الباب شاكراً إياها على جميل صنعها في المجيء إليه. وقال وهو ينظر إلى ساعة الحائط: لا زال الوقت مبكراً. ستعودين قبل رجوع سيدتك.

- لا بأس بذلك يا سيدي. أعتقد أنها قد خرجت لتناول العشاء، وعلى أية حال فهي لا تتوقع مني العمل في البيت إلا إذا طلبت مني ذلك.

فجأة انحرف بوارو عن مجرى تفكيره: معذرة يا آنسة، إنك تمشين مضطربة.

- لا شيء يا سيدي... قدماي تؤلمانني قليلاً.

قال بوارو وكأنه يتبادل معها الشكوى من المرض: مسمار القدم؟

كان واضحاً أن ذلك بسبب مسمار القدم، فأسهب بوارو في وصف علاج معين لذلك الداء، وكان يرى أنه علاج يصنع المعجزات.

وأخيراً غادرت إليس. وكان الفضول قد بلغ مداه عندي فابتدرته قائلاً: حسناً يا بوارو؟

ابتسم وهو يرقب لهفتي: لا شيء أكثر مما سمعتَ يا صديقي. غداً صباحاً وفي وقت مبكر نتصل بجاب، وسنطلب منه أن يأتي إلينا. وسوف نخابر السيد برايان مارتن أيضاً. أعتقد أنه سيتمكن من إخبارنا بشيء مهم، كما أرجو أن أرد له ديناً عليّ.

- حقاً؟

نظرت إلى بوارو بطرف عيني، فإذا به يبتسم لنفسه بطريقة غريبة.

قلت: على أية حال، لا يمكنك أن تشك في أنه هو الذي قتل اللورد إدجوير، وخصوصاً بعد الذي سمعناه الليلة. ليس من المعقول أن يقتل الرجل زوج السيدة ليتركها بعد ذلك تتزوج برجل آخر... هذا منافٍ للمنطق!

- يا له من حكم عميق!

قلت منزعجاً بعض الشيء: لا تهزأ بي يا بوارو، ثم ما هذا الذي تعبث به طوال الوقت؟

رفع بوارو الشيء الذي كان يعبث به وقال: إنها نظارة إليس الطبية يا صديقي؛ لقد تركتها وراءها.

- هراء! كانت تضعها عندما خرجت.

هز رأسه بلطف وهو يقول: خطأ... خطأ تام! إن النظارة التي

خرجت وهي تضعها -يا عزيزي هيستنغز- هي تلك التي وجدناها في حقيبة كارلوتا آدمز.

شهقت من هول المفاجأة.

* * *

الفصل التاسع والعشرون

بوارو يتكلم

اتصلت صباح اليوم التالي بالمفتش جاب، وأحسست في صوته بنبرة حزن حين قال: آه، هذا أنت يا كابتن هيستنغز، ما الأمر؟

أبلغته رسالة بوارو فقال: آتي عندكم في الساعة الحادية عشرة؟ حسناً. أعتقد أن باستطاعتي ذلك. هل لديه ما يساعدنا في قضية مقتل الشاب روس؟ سأعترف -بأمانة- بأننا فشلنا في اكتشاف أي شيء. لا مفتاح لحل اللغز من أي نوع كان... إنه عمل بالغ الغموض.

قلت دون تحديد: أعتقد أن لديه شيئاً لك، وعلى أية حال فهو يبدو راضياً عن نفسه كثيراً.

- حسناً كابتن هيستنغز، سأكون هناك.

كانت مهمتي التالية الاتصال بالممثل بريان مارتن، وأبلغته بما طُلب مني قوله، وهو أن بوارو قد عرف شيئاً مثيرا يعتقد أن السيد مارتن يحب سماعه. وعندما سألني عن هذا الشيء، قلت له إنني

لا أعرف لأن بوارو لم يخبرني به، وبعد فترة صمت أجاب قائلاً: "حسناً، ها أنا ذا قادم"، ثم وضع السماعة.

وفي الحال، ولشدة دهشتي، اتصل بوارو بجيني درايفر وطلب منها الحضور هي الأخرى. كان هادئاً مستغرقاً في التفكير، ولم أوجه له أي سؤال.

كان بريان مارتن أول الواصلين، وقد بدا بصحة جيدة ومعنويات مرتفعة، ولكني (وربما كان ذلك مجرد وهم مني) رأيت أنه كان خائفاً بعض الشيء. ووصلت جيني درايفر على الفور تقريباً، وفوجئتْ بوجود بريان مارتن وقد بدا مشاركاً إياها في المفاجأة.

قدّم بوارو كرسيين وطلب منهما الجلوس، ثم نظر إلى ساعته قائلاً: أظن أن المفتش جاب سيكون هنا خلال دقيقة واحدة.

قال بريان وقد أخذته المفاجأة: المفتش جاب؟

- نعم. لقد طلبت منه الحضور إلى هنا... ليس بشكل رسمي ولكن باعتباره صديقاً.

- فهمت.

نظرت جيني إلى بريان نظرة سريعة ثم صرفت نظرها عنه. كانت تبدو هذا الصباح مشغولة البال بشيء ما، وبعد قليل دخل جاب الغرفة.

أظن أنه فوجئ قليلاً برؤية بريان مارتن وجيني درايفر، لكنه

لم يظهر أي شيء. حيّا بوارو بمزاحه المعتاد: حسناً يا سيد بوارو، ما كل هذا؟ أظن أن لديك كلاماً مهماً.

ابتسم بوارو قائلاً: لا يوجد شيء رائع على وجه الخصوص. إنها مجرد قصة صغيرة بسيطة... بسيطة لدرجة أنني أشعر بالخزي لأنني لم أفهمها على الفور. إذا أذنتم لي فإنني أريد أن آخذكم معي عبر القضية من بدايتها.

تنهد جاب ونظر إلى ساعته. قال: إن كنت لن تطيل أكثر من ساعة...

- اطمئن؛ لن يستغرق الأمر كل هذا الوقت. إنكم تريدون أن تعرفوا من قتل اللورد إدجوير ومن قتل الآنسة آدمز ومن قتل دونالد روس، أليس كذلك؟

قال جاب بحذر: أريد أن أعرف الذي قتل الأخير.

- استمع إليّ وسوف تعرف كل شيء، وسوف أكون متواضعاً... (هذا من غير المحتمل! لم أصدق ما قاله) وأريكم كل خطوة في الطريق وأكشف كيف كنت مخدوعاً وغبياً، وكيف احتاج الأمر مني لحديث مع صديقي هيستنغز، وكيف أن ملاحظة عابرة من شخص غريب تماماً قد وضعتني في المسار الصحيح.

سكت ثم بدأ يتحدث بعد أن تنحنح كأنه يلقي محاضرة: سأبدأ من حفل العشاء في فندق سافوي. دنت الليدي إدجوير مني وطلبت مني لقاء خاصاً. كانت تريد التخلص من زوجها. وفي ختام لقائنا قالت شيئاً ينمّ عن عدم حكمة كما اعتقدتُ. وهو أن الأمر قد يتطلب

منها أن تذهب في سيارة أجرة وتقتل زوجها بنفسها. وقد سمع السيد بريان مارتن كلماتها هذه عندما دخل علينا في تلك اللحظة.

استدار لكي ينظر إليه: أليس هذا صحيحاً؟

قال الممثل: كلنا سمعنا ذلك بالطبع؛ ويدبيرن وزوجته، ومارش، وكارلوتا... جميعنا.

- أنا متفق معك تماماً، هذا جيد. ولم يكن ممكناً أن أنسى كلمات الليدي إدجوير هذه؛ فقد زارني السيد بريان مارتن صباح اليوم التالي من أجل هدف خاص، وهو تركيز تلك الجملة بحيث تصبح غير قابلة للنسيان.

صاح بريان غاضباً: أبداً؛ لقد جئت...

رفع بوارو يده ليسكته واستأنف على الفور: لقد جئت -من حيث الظاهر- لتخبرني برواية غير قابلة للتصديق عن أنك شخص مطارد. رواية كان يمكن لأي طفل أن يدرك حقيقتها، وربما كنت قد أخذتها من فِلم قديم. فتاة كان عليك أن تحصل على موافقتها، ورجل تعرفتَ إليه من سن ذهبية.. يا صديقي، لا يوجد شاب يضع سناً ذهبية! هذا لا يحدث هذه الأيام... وخصوصاً في أمريكا! سن الذهب أصبح طرازاً قديماً في طب الأسنان. كانت القصة كلها مسرحية... سخيفة! وبعد أن أخبرتني بقصتك التي لا تُصدَّق دخلت في الحديث عن الغرض الحقيقي من زيارتك، وهو أن تسمم تفكيري لتؤلبني على الليدي إدجوير. وحتى أوضّح الأمر أكثر، فقد قمتَ بإعداد الأرضية المناسبة للخطّة التي تقتل هي فيها زوجها.

تمتم بريان مارتن وقد شحب وجهه: لا أعرف عمَّ تتكلم.

- لقد استخففت بفكرة موافقته على الطلاق! اعتقدت أنني سوف أراه في اليوم التالي، ولكن الموعد كان قد تغير في الواقع. ذهبتُ لرؤيته في نفس ذلك الصباح وقد وافق على الطلاق فعلاً، وانتهى أي دافع لقيام الليدي إدجوير بقتل زوجها. وأكثر من ذلك فقد أخبرني بأنه كان قد كتب رسالة للَيدي إدجوير يخبرها بذلك، لكن الليدي قالت إنها لم تستلم تلك الرسالة أبداً. فإما أن يكون أحد الاثنين (هي أو زوجها) كاذباً، أو أن شخصاً آخر أخفاها... من يكون هذا؟ والآن أسأل نفسي: لماذا يأتي السيد بريان مارتن ويكابد المتاعب ليخبرني بكل هذه الأكاذيب؟ ما الدوافع التي جعلته يفعل ذلك؟ تشكلت عندي فكرة -يا سيد مارتن- بأنك تحب تلك السيدة بجنون، كما أن اللورد إدجوير قال إن زوجته أخبرته أنها تنوي الزواج بممثل. لقد كان ذلك صحيحاً تماماً، ولكن السيدة غيرت رأيها، ففي اللحظة التي وصلت فيها إلى الليدي رسالة اللورد إدجوير تلك التي وافق فيها على الطلاق كانت تريد الزواج بشخص آخر... ليس أنت، وسيكون لك سبب -إذن- لكي تخفي تلك الرسالة.

- أنا لم...

- يمكنك أن تقول بعد قليل كل ما تريد قوله، أما الآن فاسمعني: إذن ماذا ستكون خطتك؟ ستكون نوعاً من الغضب والارتباك، رغبة في إلحاق الأذى بالليدي إدجوير قدر ما تستطيع، وأي أذى تستطيع عمله لها أكثر من وضعها في محل الاتهام، وربما إرسالها إلى حبل المشنقة بتهمة القتل؟

قال جاب: يا إلهي!

التفت إليه بوارو وقال: نعم، تلك كانت الفكرة الصغيرة التي بدأت تتشكل في ذهني، وقد جاءت عدة أمور لتدعمها. كان لكارلوتا آدمز صديقان من الرجال: الكابتن مارش وبريان مارتن. إذن من الممكن أن يكون بريان مارتن (وهو الرجل الغني) هو الذي اقترح عليها تلك الخدعة وعرض عليها عشرة آلاف دولار لتنفيذها. كان يبدو لي غيرَ محتمل من البداية أن تصدق الآنسة آدمز أن رونالد مارش يملك عشرة آلاف دولار لإعطائها لها، فقد كانت تعرف أنه معسر لدرجة كبيرة. ولذلك فإن بريان مارتن هو الحل الأكثر احتمالاً.

- أنا لم أفعل... افهمني...

خرجت هذه الكلمات من فم الممثل بصوته الأجش، ولكن بوارو استمر غير عابئ به: عندما وصلت محتويات رسالة الآنسة آدمز من واشنطن في برقية كنت متضايقاً جداً، فقد بدا أن تفسيري كان خاطئاً كلياً. لكني اكتشفت شيئاً -بعد ذلك- عندما أُرسلتْ إليّ الرسالة الحقيقية، إذ بدلاً من أن تكون متكاملة، كانت ورقة من الرسالة مفقودة، **وهكذا فإن الضمير قد يشير إلى رجل غير الكابتن مارش**. وكان عندي دليل آخر: عندما اعتُقل الكابتن مارش أعلن بوضوح أنه رأى بريان مارتن يدخل البيت، ولم يكن لكلامه هذا وزن كبير لأنه جاء من رجل متهم، كما أن السيد مارتن كان له دليل على وجوده في مكان آخر في تلك الساعة، وهذا أمر طبيعي... كان هذا متوقعاً! لو أن السيد مارتن ارتكب جريمة القتل فإن امتلاك دليل

على وجوده في مكان آخر يُعدّ ضرورياً دون شك. شخصٌ واحدٌ فقط أكد على هذا الدليل... وهو الآنسة درايفر!

قالت الفتاة بحدة: وماذا في هذا؟

قال بوارو مبتسماً: لا شيء يا آنسة، ما عدا أنني رأيتك في أحد الأيام تتناولين الغداء مع السيد مارتن فجئتِ على الفور إلى غارلندي وحاولتِ حملي على الاعتقاد بأن صديقتك الآنسة آدمز كانت مهتمة برونالد مارش اهتماماً خاصاً، وليس ببريان مارتن... وهو ما كنت متأكداً أنه الصحيح.

قال الممثل السينمائي بعناد: هذا ليس صحيحاً أبداً.

قال بوارو بهدوء: ربما لم تكن مدركاً حقيقة هذا الأمر يا سيد مارتن، لكني أعتقد أنه صحيح، وهذا يوضح أكثر من أي شيء آخر شعورها بالكراهية نحو الليدي إدجوير. كانت تلك الكراهية نيابة عنك. أنت أخبرتها كل شيء عن رفضك، أليس كذلك؟

- حسناً... بلى؛ شعرت أنني لا بد أن أتحدث مع شخص ما، كانت هي...

- كانت متعاطفة، نعم؛ كانت متعاطفة. لقد لاحظتُ ذلك بنفسي. هذا جيد... ما الذي حدث بعد ذلك؟ اعتُقل رونالد مارش، وعلى الفور ارتفعتْ معنوياتك، وكل القلق الذي كان يراودك انتهى. ورغم أن خطتك قد أخفقت بسبب تغيير الليدي إدجوير رأيها بخصوص ذهابها إلى إحدى الحفلات في اللحظة الأخيرة، إلا أن شخصاً آخر أصبح كبش الفداء وحررك من القلق. ثم -في حفل

الغداء- سمعت دونالد روس، ذلك الشاب المرح الغبي، وهو يقول لهيستنغز شيئاً دلّ على أنك لم تكن آمناً كثيراً.

صاح الممثل: هذا ليس صحيحاً...

كان العرق يتصبب على وجهه والرعب يملأ عينيه وهو يقول: أنا لم أسمع شيئاً... لا شيء... ولم أفعل شيئاً!

وفجأة، وفي تلك اللحظة بالذات، ألقى بوارو بأعظم مفاجآته لذلك الصياح، فقد قال ببطء وهدوء: هذا صحيح تماماً. أنت -فعلاً- لم تسمع شيئاً، ولم تصنع شيئاً... ولكن أرجو الآن أن تكون قد نلت جزاءك الكافي على مجيئك إلي أنا، هيركيول بوارو، حاملاً معك رواية ملفقة.

كتمنا أنفاسنا جميعاً، فيما أكمل بوارو حديثه بلهجة الحالم المتأمل:

سألت نفسي خمسة أسئلة، وهيستنغز يعرفها. الإجابات عن ثلاثة منها تطابقت جيداً: مَن أخفى تلك الرسالة؟ من الواضح أن بريان مارتن أجاب على ذلك السؤال إجابة جيدة. كان سؤال آخر عن الذي جعل اللورد إدجوير يغير رأيه فجأة ويوافق على الطلاق؟ حسناً، عندي فكرة تتعلق بهذا الأمر. إما أنه أراد الزواج ثانية (ولست أستطيع العثور على أي دليل يشير إلى ذلك) أو أن في الأمر شيئاً من الابتزاز. كان اللورد إدجوير صاحب أذواق شاذة، ومن المحتمل أن معلومات حول سلوكه قد كُشفت وهي -برغم أنها لا تؤهل زوجته للحصول على طلاق في المحاكم الإنكليزية- إلا أنها يمكن

استخدامها وسيلة للضغط والتهديد. أعتقد أن هذا ما حدث. لم يكن اللورد إدجوير راغباً في أن يرتبط اسمه بفضيحة عامة، فاستسلم موافقاً. ولكن غضبه ظهر جلياً في تلك النظرة الشرسة التي بدت على وجهه بُعيد لقائه معنا وهو يظن أن أحداً لا يراه. وهذا يفسر -أيضاً- السرعة المريبة التي قال فيها: "ليس بسبب أي شيء في الرسالة" وذلك قبل أن أقول له إن ذلك قد يكون الحال.

بقي سؤالان: مسألة وجود نظارة غريبة في حقيبة الآنسة آدمز لم تكن لها... ولماذا اتصل أحدهم بالليدي إدجوير بالهاتف عندما كانت في حفل عشاء في تشيسويك.

لم أستطع ربط السيد بريان مارتن بأي من هاتين المسألتين. ولذلك أُكرهت على استنتاج أنه إمّا أنني كنت مخطئاً بخصوص السيد مارتن أو مخطئاً بخصوص المسألتين. وقرأت رسالة الآنسة آدمز تلك مرة أخرى بانتباه قراءة متأنية، فوجدت شيئاً! نعم، وجدت شيئاً مدهشاً!

انظروا بأنفسكم. ها هي... هل ترون الورقة المقطوعة؟ إنها مقطوعة بطريقة غير مستوية كما يحدث غالباً، ولكن انظروا إلى آخر كلمة في السطر الأول التي وقع القطع عندها: «وقد تناقشنا في ذلك ملياً وقال...». لقد فهمنا -في البداية- أن الضمير في الفعل «قال» يعود على الكابتن مارش. ولكن ماذا لو أن الفعل لم يكن «قال» ولكن «قالت»؟ إن الورقة مقطوعة هنا... هل فهمتموها الآن؟ هنا الخدعة الكبيرة... **لقد كانت امرأة تلك التي اقترحتْ على كارلوتا آدمز خدعة التقليد، ولم يكن رجلاً أبداً!** لقد ضُلّلنا بشكل غبي! وعلى الفور

أعددت قائمة بجميع السيدات المرتبطات بالقضية إلى جانب جين ويلكنسون، فوجدت أربع نساء: جيرالدين مارش، والآنسة كارول، والآنسة درايفر، ودوقة ميرتون.

من بين هؤلاء أثارت اهتمامي أكثر من غيرها الآنسة كارول. فقد كانت تضع نظارة، وكانت في البيت تلك الليلة، وكانت غير دقيقة في شهادتها بسبب رغبتها في تجريم الليدي إدجوير، كما أنها امرأة قديرة قوية الأعصاب يمكنها تنفيذ مثل تلك الجريمة... كان الدافع غامضاً، لكنها عملت مع اللورد إدجوير لبضع سنوات وربما وُجد لديها دافع معين لا نعرفه.

شعرت -أيضاً- أنني لا أستطيع إبعاد جيرالدين مارش عن القضية. كانت تكره أباها، وهي أخبرتني بذلك، وكانت عصبية المزاج سريعة التوتر. افترضوا أنها -عندما دخلت البيت في تلك الليلة- طعنت والدها عمداً ثم صعدت إلى الطابق العلوي بأعصاب باردة لكي تحضر عقد اللؤلؤ. تخيلوا كربها عندما وجدت أن ابن عمها الذي أحبته حباً شديداً لم يبقَ خارج البيت في سيارة الأجرة لكنه دخل إلى البيت... على ضوء ذلك يمكن تفسير سلوكها الغاضب، كما يمكن لنفس العمل أن يدل على براءتها (ولكن عن طريق خوفها من أن يكون ابن عمها هو الذي ارتكب الجريمة حقيقة). وكانت توجد نقطة أخرى صغيرة، فقد كانت العلبة الذهبية التي وُجدت في حقيبة الآنسة آدمز تحمل الحرف «د»، وقد سمعت ابن عمها يناديها باسم التحبب «دينا»، كما أنها كانت في باريس في شهر تشرين الثاني الماضي وقد تكون التقت بكارلوتا آدمز هناك.

قد تظنون أن من الغريب إضافة اسم دوقة ميرتون إلى القائمة. لكنها زارتني وعرفت أنها من النوع المتعصب، وحبها للحياة يتركز كله في ابنها، وربما رسمت مؤامرة لتحطيم المرأة التي كانت على وشك تدمير حياة ابنها.

ثم فكرت بالآنسة درايفر...

سكت بوارو وهو ينظر إلى جيني، ورأيتها تنظر إليه بوقاحة، وسألته فوراً: وماذا لديك عني؟

- لا شيء -يا آنسة- سوى أنك كنت صديقة لبريان مارتن، واسم عائلتك يبدأ بالحرف «د».

- هذا لا يكفي.

- شيء آخر... أنت تملكين العقل والأعصاب لارتكاب مثل هذه الجريمة. أشكّ في أن أحداً غيرك يملك ذلك.

قالت الفتاة مبتهجة: أكمل.

- هل كان دليل وجود السيد مارتن حقيقياً أم لا؟ هذا ما كان عليّ أن أقرره. لو كان حقيقياً، فمَن كان الذي رآه رونالد مارش يدخل إلى البيت؟ وفجأة تذكرت شيئاً؛ لقد كان كبير الخدم الوسيم في ريجنت غيت يشبه السيد مارتن كثيراً، وغلب على ظني أنه هو الذي شاهده الكابتن مارش، وقد شكّلتُ نظرية في هذا: كشَفَ الخادم مقتل سيده في المساء، ووجد إلى جانبه مغلفاً يحتوي على أوراق نقدية فرنسية تعادل نحو مئة جنيه، وبلا تردد أخذ هذه النقود وتسلل

خارج البيت فأودعها عند صديق قريب ثم عاد ودخل مستخدماً مفتاح اللورد إدجوير (وفي تلك اللحظة شاهده الكابتن مارش الذي كان يراقب البيت)، وقرر الخادم أن يترك الجريمة لتكتشفها الخادمة في صباح اليوم التالي. لم يكن يشعر بأي خطر لأنه كان مقتنعاً تماماً بأن الليدي إدجوير هي التي ارتكبت الجريمة وأخذ النقود خارج البيت وأخفاها قبل أن يلحظ أحدٌ فقدانها، ولكن عندما ظهر أن الليدي إدجوير كانت تملك دليلاً على وجودها ساعة الجريمة في مكان آخر وبدأت سكوتلانديارد في التحقيق في ماضيه، فر واختفى.

أومأ جاب باستحسان، وأكمل بوارو: ما زال عندي موضوع النظارة الغريبة أريد حله. إذا كانت الآنسة كارول هي صاحبتها فإن القضية تبدو محلولة. كانت تستطيع كتمان أمر الرسالة، وعندما كانت ترتّب تفصيلات الخطة مع كارلوتا (أو عند مقابلتها مساء الجريمة...) ربما عرفت النظارة طريقها -دون قصد- إلى حقيبة كارلوتا آدمز. لكن بدا واضحاً (من تجربة صغيرة أجريتُها) أن النظارة ليس لها علاقة بالآنسة كارول. وحينما كنت أسير عائداً إلى البيت وأنا مكتئب بعض الشيء أحاول ترتيب الأمور في ذهني بأسلوب منهجي... حدثت المعجزة فجأة!

في البداية تحدث هيستنغز عن الأمور بترتيب معين: ذكر دونالد روس، وأنه كان أحد ثلاثة عشر شخصاً على طاولة العشاء في بيت السير كورنر، وأنه كان أول المغادرين. كنت أتتبع خيطاً من التفكير في ذهني ولم أنتبه لحديثه كثيراً، وقد خطر في ذهني -فجأة- أن ذلك لم يكن صحيحاً. قد يكون أول المغادرين في نهاية العشاء ولكن -في الواقع- كانت الليدي إدجوير هي أول القائمين

حيث أنها استُدعيتْ لترد على الهاتف. وعندما فكرت في هذه النقطة خطر لي لغز معين... لغز تصورت أنه كان يتناسب جيداً مع عقليتها الطفولية. ثم بدأت أتساءل بعدها: مَن يمكن أن يفيدني عن مشاعر السيد مارتن تجاه جين ويلكنسون، وأيقنت أنها ما كانت لتخبرني عن ذلك بنفسها. ثم، عندما كنا نعبر الشارع، سمعت عابر سبيل ينطق بعبارة بسيطة. قال الرجل لمرافقته إن شخصاً ما كان يجب عليه أن يسأل إليس... وعلى الفور عرفت كل شيء كوميض البرق!

نظر بوارو حوله ثم قال: نعم، نعم. النظارة... المكالمة الهاتفية... المرأة القصيرة التي ذهبت لاستلام العلبة الذهبية في باريس: **إليس**... بالطبع، خادمة جين ويلكنسون. وتتبعت كل خطوة: الشموع... والضوء الخافت... والسيدة فان دوزين... كل شيء. **ثم عرفت!**

* * *

الفصل الثلاثون

الحكاية

نظر حوله متنقلاً بصره بيننا، وقال بمودّة: هيا يا أصدقائي، دعوني أقص عليكم الحكاية الحقيقية لما حدث في تلك الليلة:

غادرت كارلوتا آدمز شقتها في الساعة السابعة مساء، ومن هناك أخذت سيارة أجرة وذهبت إلى فندق بيكاديللي بالاس.

صحت: ماذا؟

- إلى فندق بيكاديللي بالاس... ففي وقت سابق من نفس اليوم كانت قد حجزت غرفة هناك باسم السيدة فان دوزين. وقد وضعت على عينيها نظارة غليظة (وهي -كما نعرف- تغير المظهر تغييراً كبيراً)، وعند الساعة الثامنة والنصف وصلت الليدي إدجْوير وسألت عنها، وتوجهت فوراً إلى غرفتها حيث تبادلت المرأتان ملابسهما. وبعد أن وضعت كارلوتا آدمز باروكة شعر أشقر وارتدت ثوباً أبيض ومعطفاً من الفرو غادرت الفندق. **كانت كارلوتا (وليس جين ويلكنسون) هي التي غادرت الفندق وانطلقت بالسيارة إلى تشيسويك.**

نعم، نعم، هذا ممكن تماماً! لقد ذهبتُ أنا نفسي إلى ذلك البيت ذات مساء ورأيت كم هي خافتة المصابيح هناك وكيف أن طاولة العشاء مضاءة فقط بالشموع... وتذكّروا أن أياً من الحضور لم يكن يعرف جين ويلكنسون جيداً؛ كانوا يعرفونها بالشعر الذهبي وصوتها الأجش المعروف وطريقة تصرفها فقط. آه، لقد كان ذلك سهلاً تماماً! وإذا لم ينجح هذا العمل... إذا ما كشف شخص ما الخدعة... فإن ذلك محسوب حسابه بدقة؛ فالليدي إدجْوير تحركت بسيارة أجرة إلى محطة يوستون بعد أن وضعت باروكة سوداء وارتدت ملابس كارلوتا والنظارة، وهناك نزعت عن رأسها الباروكة السوداء ووضعت حقيبتها في غرفة الإيداع في محطة القطارات، وقبل أن تذهب إلى ريجنت غيت لتنفّذ جريمتها هاتفت تشيسويك وطلبت التحدث مع الليدي إدجْوير. كان ذلك قد تم ترتيبه بينهما، فإذا ما سار كل شيء بطريقة جيدة ولم يُكتشف أمر كارلوتا كان عليها أن تجيب ببساطة على الهاتف وتقول: "هذا صحيح".

لا حاجة بي إلى القول إن الآنسة آدمز كانت لا تعرف السبب الحقيقي للمكالمة الهاتفية. وبعد أن سمعت الليدي إدجْوير هذه الكلمات تابعت طريقها مطمئنة، فذهبت إلى ريجنت غيت وسألت عن اللورد إدجْوير معلنة شخصيتها ودخلت إلى المكتبة حيث **ارتكبت جريمة القتل الأولى**. لم تعرف -بالطبع- أن الآنسة كارول كانت تراقبها من أعلى، واعتقدتْ أن كل ما سيكون هو شهادة كبير الخدم (وتذكروا أنه لم يرها من قبل أبداً، كما أنها كانت تضع قبعة تخفي بها وجهها عن نظره) مقابل شهادة اثني عشر شخصاً معروفاً وبارزاً في المجتمع.

ثم غادرت البيت وعادت إلى محطة يوستون وغيرت شعرها بوضع الباروكة السوداء ثانية وأخذت حقيبتها. كان عليها أن تشغل نفسها لحين عودة كارلوتا آدمز من تشيسويك، وكانتا قد اتفقتا على موعد العودة على وجه التقريب. ذهبت إلى مطعم كورنر هاوس، وكانت تنظر إلى ساعتها من وقت لآخر حيث كان الوقت يسير بطيئاً، وهناك استعدت للجريمة الثانية؛ فوضعت العلبة الذهبية الصغيرة التي طلبتها من باريس في حقيبة كارلوتا آدمز (وكانت تحملها معها بالطبع). وربما وجدت الرسالة في تلك اللحظة، وربما قبل ذلك، وعلى أية حال فحين رأت العنوان اشتمت رائحة الخطر. فتحتها... وكان لشكوكها ما يبررها.

ربما اعتزمت إتلاف الرسالة في البداية، لكنها اكتشفت -بسرعة- طريقةً أفضل؛ فبتمزيق صفحة واحدة من الرسالة فإنها ستُقرأ على أنها اتهام لرونالد مارش، وهو رجل له دافع قوي للقتل. وحتى لو كان له دليل على وجوده في مكان آخر فإن الاتهام سيبقى مصروفاً إلى رجل، وليس إلى امرأة، لأنها -كما رأيتم- قد مزقت طرف الورقة الذي يشير إلى تاء التأنيث في الفعل «قالت». إذن، هذا ما فعلته، ثم أعادتها إلى الظرف ثانية وأعادت الظرف إلى الحقيبة وكأن شيئاً لم يكن.

وعندما اقترب الموعد المتفق عليه سارت في اتجاه فندق سافوي، وعندما رأت السيارة تصل وكارلوتا بداخلها (كما هو مفترض) سارعت في خطواتها ودخلت في نفس الوقت وذهبت مباشرة إلى الطابق العلوي. كانت تلبس الأسود، ومن غير المحتمل أن يلحظها أي شخص، وقد اتجهت إلى غرفتها مباشرة، وكانت

كارلوتا آدمز قد وصلتها لتوها، وهناك تبادلت المرأتان الملابس ثانية. وأظن أن الليدي إدجوير قد عرضت عليها عندئذ شراباً للاحتفال، وفي ذلك الشراب وضعت الفيرونال. وهنأت ضحيتها قائلة إنها سترسل لها الشيك في اليوم التالي. ذهبت كارلوتا آدمز إلى البيت وهي تحس بالنعاس الشديد، وحاولت الاتصال بصديق (قد يكون السيد مارتن أو الكابتن مارش) لكنها عدلت عن ذلك حيث كانت متعبة جداً؛ فقد بدأ الفيرونال يعطي مفعوله، وذهبت إلى النوم، **ولم تستيقظ أبداً**. لقد نُفّذت الجريمة الثانية بنجاح!

والآن إلى الجريمة الثالثة. بدأ الأمر في حفل الغداء، فقد أشار السيد مونتاغو كورنر إلى حوار جرى مع الليدي إدجوير ليلة ارتكاب الجريمة. كان ذلك بسيطاً جداً، لكن الانتقام الإلهي قد جاءها. ذُكرت -عرَضاً- مسألة أذواق باريس، فإذا بالليدي تعلق على باريس التي تعرفها: باريس الموضة والأزياء! ولكن كان يجلس مقابلها شاب كان قد حضر العشاء في تشيسويك. شاب كان قد سمع الليدي إدجوير وهي تناقش في تلك الليلة موضوع هوميروس والحضارة الإغريقية بشكل عام؛ فلقد كانت كارلوتا آدمز فتاة مثقفة واسعة الاطلاع... ولم يستطع التوفيق بين الحديثين. كيف تحدثت بكل ذلك إذا كان كل ما تعرفه عن باريس هو الأزياء والموضة؟ حدق إليها، وفجأة عرف: **هذه ليست هي نفس المرأة**. انزعج جداً، ولم يكن واثقاً من نفسه... لا بد أن يستشير أحداً.

فكر فيّ، وتكلم مع هيستنغز. لكن السيدة سمعته، وكانت سريعة وداهية بما يكفي لإدراك أنها قد كشفت نفسها بطريقة ما. وسمعت هيستنغز يقول إنني لن أعود إلى البيت حتى الساعة

الخامسة، وهكذا ذهبت، عند الساعة الخامسة إلا ثلثاً، إلى بيت روس، وقرعت الجرس ففتح لها الباب وفوجئ كثيراً برؤيتها من غير أن يساوره أي خوف، فشاب قوي الجسم صلب البنيان لا يمكن أن يخاف من امرأة. وذهب معها إلى غرفة الطعام، وربما لفقت له حكاية معينة ثم ألقت بذراعيها حول عنقه حيث قامت بضربتها بسرعة وثقة، كما حدث من قبل! ربما صاح صيحة مخنوقة... لا أكثر، فقد تم إسكاته هو الآخر.

صمت الجميع، ثم تكلم جاب بصوته الأجش: أتعني... أنها هي التي فعلت كل هذا؟

أومأ بوارو برأسه.

- ولكن لماذا، ما دام زوجها قد وافق على منحها الطلاق؟

- لأن دوق ميرتون من أعمدة الإنكليز الكاثوليك، وما كان أبداً ليتزوج امرأة لا زال زوجها على قيد الحياة. إنه شاب متعصب لمبادئه، وكونها أرملة فإنها متأكدة من أنه سيتزوجها. ولا شك أنها اقترحت الطلاق لكن هذا الاقتراح لم يلقَ لديه أي قبول.

- إذن لماذا أرسلتك إلى اللورد إدجوير؟

- لتخدعني! لتجعل مني شاهداً على عدم وجود دافع لديها للقتل! نعم، لقد تجرأت على جعلي أنا، هيركيول بوارو، أداة لها... والعجيب أنها نجحت في ذلك! عقلها غريب، يشبه عقل الطفل لكنه ماكر. وهي بارعة في التمثيل؛ لقد كانت بارعة عندما أظهرت المفاجأة حين أخبرتُها بأمر الرسالة التي أرسلها لها زوجها والتي

أكدت أنها لم تستلمها أبداً. هل شعرت بأي ذرة من ندم على أي جريمة ارتكبتها من الجرائم الثلاث؟ أكاد أقسم أنها لم تشعر!

صاح بريان مارتن: لقد أخبرتك عنها... أخبرتك. كنت أعرف أنها سوف تقتله؛ لقد أحسست بذلك! إنها ذكية... شيطانة، ذكية بنوع من الحماقة، وقد أردتها أن تعاني... أردت أن يشنقوها على هذا.

احمر وجهه وأصبح صوته غليظاً، وقالت جيني درايفر: "اهدأ، اهدأ..."، وقد تكلمت معه مثلما كنت أسمع الحاضنات وهن يتحدثن مع طفل صغير.

قال جاب: وماذا عن العلبة الذهبية التي عليها حرف «د» واسم باريس وتاريخ تشرين الثاني في داخلها؟

- لقد طلبتْها بالبريد وأرسلت خادمتها إليس لتحضرها، وذهبت إليس بطريقة طبيعية لإحضار طرد مدفوع القيمة دون أن تعرف ماذا بداخله. كما أن الليدي استعارت نظارة إليس لتساعدها في تقمص شخصية فان دوزين، وقد نسيت أمرها وتركتها في حقيبة كارلوتا آدمز... وكانت تلك غلطتها الوحيدة.

لقد أدركتُ ذلك... أدركت كل شيء بينما كنت أقف في وسط الشارع (ولم يكن سائق الحافلة مؤدباً فيما قاله لي، لكن ذلك لا يهم): إليس! نعم، إنها نظارة إليس، وإنها إليس التي ذهبت لإحضار العلبة الذهبية من باريس... ولكن إليس هي خادمة جين ويلكنسون... وهكذا أدركت أن جين ويلكنسون هي التي كانت وراء

ذلك كله! لقد استعارت نظارة خادمتها. ومن المحتمل جداً أن تكون قد استعارت منها شيئاً آخر غير النظارة.

- ماذا؟

- سكيناً صغيرة...

ارتعشتُ وسكت الجميع بعض الوقت، ثم قال جاب بنبرة إصرار: يا سيد بوارو، هل هذا صحيح؟

قال بوارو: إنه صحيح يا صديقي.

ثم تكلم بريان مارتن، وظننت أن كلماته كانت طبيعية جداً بالنسبة له، فقد قال مشاكساً: ولكن ماذا عني؟ لماذا أحضرتني إلى هنا اليوم؟ لماذا أصبتني بالذعر؟

نظر بوارو إليه ببرود وقال: لمعاقبتك يا سيد مارتن على وقاحتك! كيف تحاول اللعب مع هيركيول بوارو؟

ضحكت جيني درايفر كثيراً ثم قالت: "هذا يصلح لك تماماً يا بريان". ثم التفتت إلى بوارو قائلة: أنا مسرورة لأن روني مارش ليس هو القاتل، فقد كنت معجبة به دائماً. كما أنني في غاية السعادة لأن مقتل كارلوتا لن يذهب من دون عقاب. وبالنسبة لبريان هذا سأخبرك بشيء يا سيد بوارو: سأتزوجه، وإذا اعتقد أنه يستطيع الحصول على الطلاق ليتزوج كل سنتين أو ثلاث سنوات على طريقة هوليود المتعارف عليها فإنه سيرتكب أكبر غلطة في حياته. سيتزوج ويبقى معي!

نظر بوارو إليها بتمعن وقال: هذا ممكن جداً يا آنسة. لقد قلتُ إنك تملكين الأعصاب المناسبة لأي شيء... حتى لكي تتزوجي ممثلاً سينمائياً!

* * *

الفصل الحادي والثلاثون

وثيقة إنسانية

بعد أيام من ذلك استُدعيتُ فجأة إلى الأرجنتين؛ ولذلك لم أرَ جين ويلكنسون مرة أخرى، ولكنّ فقط تابعت أخبار محاكمتها وإدانتها في الصحف. وعلى خلاف ما كنت أتوقع، انهارت تماماً عندما ووجهتْ بالحقيقة. لقد تباهت طويلاً بذكائها وقامت بدورها دون أن تخطئ، ولكن عندما خذلتها ثقتها بنفسها (بسبب شخص كشف أمرها) أصبحت عاجزة عن إخفاء حيلها كعجز الطفل، وقد انهارت تماماً عند استجوابها.

كانت حفلة الغداء تلك آخر مرة أرى فيها جين ويلكنسون، ولكن عندما أفكر بها أراها بنفس الصورة دائماً: واقفة في غرفتها في فندق السافوي بثيابها السوداء الثمينة، وعلى وجهها نظرة الجِدّ والوقار. إنني على يقين أن ذلك لم يكن تكلفاً، بل كانت طبيعية تماماً. فقد نجحت؛ ولذلك لم تشك أو يساورها القلق. كما أنني على يقين أنها لم تُعانِ أبداً من وخز الضمير ولم تندم قط على جرائم القتل الثلاث التي ارتكبتها.

والآن، سوف أعرض وثيقةً طلبت إرسالها إلى بوارو بعد موتها، وأعتقد أنها رسالة تعكس نفسية تلك المرأة الجميلة عديمة الضمير.

عزيزي السيد بوارو،

كنت أقلب الأمور فأحسست بضرورة كتابة هذه الرسالة لك. أعرف أنك تنشر -أحياناً- تقارير عن القضايا التي تحقق فيها، ولكني أستبعد أن تكون قد نشرت من قبل أية وثيقة كتبها القاتل نفسه.

إنني راغبة في أن يعرف الجميع كيف فعلت ذلك كله بالضبط. لا زلت أعتقد أنني خططت لعملي جيداً. ولولاك أنت لكان كل شيء على ما يرام. لقد أحسست بالمرارة من ذلك، ولكن المرء لا يستطيع تجنب مصيره! أنا واثقة من أنني لو أرسلت لك هذه الرسالة فسوف تعطيها شهرة كبيرة. أليس كذلك؟ أحب أن أبقى في ذاكرة الناس، وأعتقدُ -فعلاً- بأنني فريدة؛ ويبدو أن الجميع هنا يعتقدون ذلك.

بدأت الفكرة في أمريكا عندما عرفت ميرتون. أدركت على الفور أنه سيتزوجني لو كنت أرملة فقط. ولسوء الحظ فإنه يرفض الطلاق رفضاً غريباً. حاولت تذليل ذلك لكن بلا فائدة، وكان يجب أن أكون حريصة لأنه شخص غريب الأطوار.

أدركت -على الفور- أن زوجي يجب أن يموت لكني لم أعرف كيف أبدأ بالعمل؟ تستطيع أن تتخيل

هذه الأشياء، وأنت في أمريكا أفضل من هنا. فكرت وفكرت، لكني لم أعرف كيف أدبر المسألة. وبعد ذلك، فجأة، رأيت كارلوتا آدمز وهي تقلدني... وبدأت أرى الطريق على الفور. أستطيع الحصول على دليل على وجودي في مكان مختلف ساعة الجريمة بمساعدتها.

وفي نفس تلك الليلة رأيتك. وخطر لي فجأة أنها ستكون فكرة رائعة لو أنني أرسلتك إلى زوجي لتطلب منه الطلاق لي. وفي نفس الوقت كنت سأتحدث عن قتل زوجي لأنني لاحظت دائماً أنك إن تكلمت عن الحقيقة بطريقة حمقاء فلن يصدقك أحد. كثيراً ما كنت أفعل ذلك بخصوص العقود، كما أنه أمر جيد أيضاً أن تبدو أغبى مما أنت عليه.

وعند لقائي الثاني مع كارلوتا آدمز بدأت الفكرة: عرضت عليها رهاناً قبلته فوراً. كان عليها أن تتظاهر بأنها أنا في حفلة معينة، وإذا نجحتْ في ذلك العمل فسوف تحصل على عشرة آلاف دولار. كانت متحمسة جداً وقدمت كثيراً من الأفكار حول تغيير الملابس وكل هذه الأشياء. ولم نستطع عمل ذلك هنا بسبب إليس ولم نستطع عمله في بيتها بسبب وجود خادمتها، وهي لم تفهم -بالطبع- لماذا لم نستطع عمل ذلك هناك. كان عملاً غريباً بعض الشيء، وقلت لها فقط: "لا". اعتقدتْ أنني غبية قليلاً بسبب ذلك لكنها أذعنت، وفكرنا في خطة الفندق، وأخذتُ أنا نظارة إليس.

وأدركتْ بسرعة -بالطبع- أنه يجب التخلص منه هي الأخرى. كان ذلك مؤسفاً، ولكنها كانت وقحة في تقليدها إياي، ولولا أن تقليدها وافق فكرتي لغضبت منها كثيراً. كنت أحتفظ ببعض الفيرونال عندي (رغم أنني لم أتناوله أبداً) ولذلك كان الأمر سهلاً تماماً. ثم جاءتني فكرة بارعة: كان من الأفضل كثيراً لو أمكن أن تبدو وكأنها معتادة على تناوله، فطلبت علبة ووضعت أحرف اسمها الأول عليها، وفكرت في أنني لو وضعت حرفاً أولياً غريباً واسم باريس وتاريخ تشرين الثاني بداخلها فسيبدو الأمر أكثر تعقيداً. وهكذا أرسلت في طلب العلبة بالبريد، ثم أرسلت إليس لإحضارها، ولم تكن تعرف ما هي بالطبع.

وسار كل شيء في الليل على ما يرام. أخذتُ واحدة من سكاكين إليس بينما كانت موجودة في باريس (لأنها كانت جميلة وحادة) ولم تلحظ ذلك أبداً لأنني أعدتها بعد ذلك إلى مكانها. وكان طبيبٌ في سان فرانسيسكو قد أراني ذات يوم أين يمكن أن أغرسها بالضبط... كان يتحدث عن الفقرات القطنية والثقوب في الأوعية الدموية، وقال إن على المرء أن يكون حريصاً جداً وإلا فإنه قد يقطع النخاع المستطيل حيث تتركز جميع الأعصاب الحيوية وذلك يسبب الوفاة على الفور. وقد تأكدت من تلك النقطة بالضبط عدة مرات، إذ اعتقدت أن ذلك قد يفيد ذات يوم.

وأخبرته أنني أريد استخدام هذه الفكرة في أحد الأفلام.

كانت كارلوتا آدمز غير أمينة عندما كتبت لأختها، فقد وعدتني بأنها لن تخبر أحداً. وأعتقدُ أنني كنت ذكية عندما فهمت فائدة تمزيق تلك الصفحة. فكرتُ بذلك كله وحدي، وأفتخرُ بهذا أكثر من أي شيء آخر. كان كل واحد يقول إنني أفتقر إلى الذكاء، لكني أعتقد أن التفكير على هذا النحو يحتاج إلى ذكاء حقيقي.

لقد فكرت في الأمور بحرص شديد، وفعلت بالضبط ما خططته عندما جاء رجل سكوتلانديارد. كم استمتعت بذلك الجزء من الخطة! ربما كنت قد فكرت بأنه سيعتقلني، ثم شعرت بالأمان لأنه توجب عليهم أن يصدقوا جميع هؤلاء الناس الذين حضروا العشاء، ولم أعتقد أن باستطاعتهم كشف مسألة تغيير الملابس بيني وبين كارلوتا. وبعد ذلك أحسست بالسعادة البالغة والرضا؛ لقد حالفني الحظ وأحسست حقاً بأن كل شيء سيسير على ما يرام. كانت الدوقة العجوز فظة في تعاملها معي، لكن ميرتون كان رائعاً، وقد أراد أن يتزوجني بأسرع وقت ممكن ولم يساوره أدنى شك.

لا أظن أنني شعرت بالسعادة مثلما شعرت بها في تلك الأسابيع القليلة. لقد أشعرني اعتقال ابن أخ زوجي بالأمان، كما كنت فخورة بنفسي أكثر من أي وقت

مضى لأنني فكرت في تمزيق تلك الصفحة ونزعها من رسالة كارلوتا آدمز.

أما مسألة دونالد فكانت مجرد سوء حظ. لست متأكدة تماماً الآن كيف كشفني. أعتقدُ أنه بسبب كلام قيل عن باريس، ولكن لست أدري -حتى هذه اللحظة- ماذا كان يجب عليّ أن أقول.

الغريب أن الحظ عندما ينقلب فإنه يستمر بذلك إلى النهاية! كان يتوجب عليّ عمل شيء بخصوص دونالد روس بسرعة، وقد سار ذلك على ما يرام. بعد ذلك أخبرتني إليس -بالطبع- أنك أرسلت في طلبها وسألتها، لكني اعتقدتُ أن ذلك كان يتعلق ببريان مارتن ولم أستطع معرفة ما كنت ترمي إليه. إنك لم تسألها إن كانت قد ذهبت لأخذ الطرد من باريس أم لا. أعتقدُ أنك فكرت أنها لو كرّرتْ ذلك على مسمعي فإنني كنت سأشتم رائحة الخطر.

لقد جاء الأمر مفاجئاً ولم أستطع تصديقه... كانت الطريقة التي عرفتَ فيها كل شيء فعلتُه غريبة تماماً!

وشعرتُ -فقط- بأنه لا فائدة؛ فأنت لا تستطيع أن تقاتل الحظ. كان حظاً سيئاً، أليس كذلك؟ ترى هل يشعر المرء بالأسف على ما فعله؟

لقد أردتُ أن أكون سعيدة على طريقتي الخاصة، ولولاي أنا لما كان لك أية علاقة بالقضية. لم أعتقد -أبداً- بأنك ستكون بهذا الذكاء الشديد... إنك لم تكن تبدو ذكياً إلى هذا الحد!

إنه لأمرٌ غريب، لكني لم أفقد هيبتي أبداً رغم كل تلك المحاكمة الفظيعة والأشياء المرعبة التي قالها لي الرجل الجالس في الجانب الآخر. والطريقة التي هاجمني فيها بوابل من الأسئلة.

إنني أبدو أكثر شحوباً ونحافة، لكن ذلك يزيدني جمالاً إلى حد ما، وهم يقولون إنني شجاعة بشكل رائع! إنهم لم يعودوا يشنقون المجرم في مكان عام. أليس كذلك؟ أعتقد أن هذا الأمر مؤسف. إنني متأكدة من أنه لم تظهر مجرمة مثلي من قبل أبداً.

أظن أنه يتوجب عليّ أن أقول: «وداعاً»، وأرجو أن تغفر لي لأن المرء يجب أن يغفر لأعدائه، أليس كذلك؟

جين وينكنسون

ملاحظة: هل تظن أنهم سيضعون لي تمثالاً من الشمع في متحف مدام توسو؟

* * *